العدد (٥٢٩) رمضان ١٤٣٠هـ - سبتمبر ٢٠٠٩م

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

وفاة العلامة الشيخ ابن جبرين

مواسم العمر

رمضان

منحة ربانية

أسرة تحرير الوعي الإسلامي
تهنئكم بحلول
شهر رمضان المبارك

الافتتاحية

مواسم العمر

جعل الله للأعمار مواسم، يربح فيها ممتثل المراسم، ويخسر فيها مضيّع الخير الحاسم، فهي موضوعة لبلوغ الأمل، ورفع الخلل، وما خلق الله الجن والإنس إلا لعبادته، فالطريق إليه واضح للقاصدين، والدليل عليه لائح للناظرين، فإن العبد ضعيف، والزمان صعب، والمعين قليل، والشغل كثير، والعمر قصير، وفي العمل تقصير، والناقد بصير، والأجل قريب، والسفر بعيد، والطاعة هي الزاد، فلابد منها، والعبادة ثمرة العلم وفائدة العمر، وبضاعة الأولياء، وطريق الأقوياء، وبهذا العمر اليسير يشترى الخلود الدائم في الجنان والبقاء الذي لا ينقطع عند الرحمن، ومن فرط في العمر وقع في الخسران، فواخيبة المفرط الحيران، وإن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها شرف المكان، المعمول فيه ذلك العمل، ومنها شرف الزمان كشهر رمضان، فلما كان الصيام في نفسه مضاعفا أجره بالنسبة الى سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفا على سائر الصيام، لشرف زمانه، فإن الله خص الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال لأن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها، لله عز وجل، ولا يوجد في عبادة أخرى غير الصيام، ولأن الصيام سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه غيره، لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وترك للشهوات التي يستخفى بتناولها في العادة، وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد منها كسر النفس، وتخلي القلب للفكر والذكر، وأن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيرا من الفقراء من فضول الطعام والشراب، وأن الصيام يضيق مجاري الدم، والصوم نصف الصبر، والصبر ثلاثة أنواع، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم، فإن فيه صبرا على طاعة الله، وصبرا عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبرا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن.

فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره، وأن ينظر لنفسه في أمره، فيغتنم ما يفوت استدراكه، وربما حصل بتضييعه هلاكه، فإن العمر بضاعة يسيرة يسافر بها إلى البقاء الدائم.

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا
ندمت على التفريط في زمن البذر

فمن عرف شرف العمر وقيمته، لم يفرط في لحظة منه، فلينظر الشاب في حراسة بضاعته، وليحفظ الكهل بقدر استطاعته، وليتزود الشيخ للحاق بجماعته، ولينظر الهرم أن يؤخذ في ساعته فالزمان يذهب والصحائف تختم.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

أصول التربية والتعليم 11

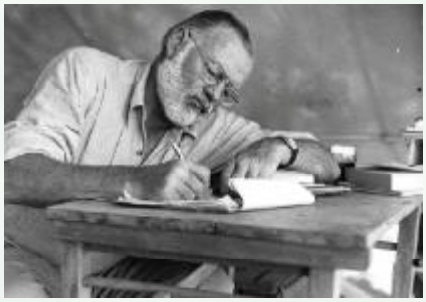

الصورة في الرواية 54

معالم المنهج الإسلامي 64

الأرض تغرق! 68

الشيخ يوسف بن عيسى 84

دار الافتاء المصرية 88

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٩

العام السادس والأربعون

رمضان ١٤٣٠ هـ

سبتمبر ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملتزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) • اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر • لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ • سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ • مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام • المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

موضوع الغلاف

شهر رمضان فيه من الإشراق والهيمنة والسلطان على النفوس ما فيه، ترى ذلك في الحنين الدائم إلى أجوائه، والأمل الجميل الذي يسكن ذكرياته، وعشق العاشقين لنسماته وللريح العطرة التي تعانق النفوس والقلوب.

داخل العدد

أثر النحو في اختلاف الفقهاء ٥٦
حوار مع كريمان حمزة ٦٢
العرب وهجرة العقول ٧٢
مسلمو مقدونيا والشيوعية ٨٢
المنتج الثقافي.. كيف يسوّق؟ ٨٧
أقوى سلاح ٩٨

كلمة العدد

رمضان.. عبرة دائمة

تستقبل الأمة الإسلامية شهر العزة والنصر.. شهر الفتوحات الإسلامية ونحن على أمل أن نستقي الزاد المعين من هذا النبع الرباني والمنحة الإلهية لنسلك طريق الأنبياء والصالحين ونقود البشرية إلى بر النجاة.

ففي مثل هذه الأيام كانت غزوة بدر، وفتح الأندلس، ومعركة «بلاط الشهداء»، وأول نصر للمسلمين على الصليبيين، وافتتاح الجامع الأزهر وغيرها من الأحداث المؤثرة في تاريخنا الحضاري.

ولكن كم من عام يمضي فيه رمضان ولا تتغير أحوالنا ونبقى على المعاصي عاكفين مؤجلين التوبة إلى الله، فلماذا لا نفر إلى الله في هذا الشهر المبارك؟ وإلى متى تظل قلوبنا أقسى من الحجر ونحن نصلي خلف الإمام في الصلاة؟

إن الأمة الإسلامية اليوم في حاجة ماسة إلى دراسة فاحصة للتاريخ الإسلامي في رمضان للعظة والعبرة والاستفادة من التجارب السابقة، وهذا يتمثل في الاستمرارية على التقرب إلى الله، والعمل الدائم على التربية الشخصية الشاملة، والتفكر والتأمل في الذات وتصحيح الاعوجاج، والمراجعة الدائمة وفق مقاييس رمضان، والاجتهاد في طلب العلم للتعبد بوعي، والتربية العملية ومجاهدة النفس.

وليكن شعارنا هذا العام «العبرة الدائمة» لنحقق الأمل المنشود في إرساء قواعد النهضة الشاملة في مجالات حياتنا لنقود البشرية إلى عالم الصلاح الدنيوي والفلاح الأخروي.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار والاشتراكات

الأسعار

•الكويت : ٥٠٠ فلسا •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريال •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- **داخل الكويت :** للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيا
- **الدول العربية :** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم :** للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات :** ٢٥ ديناراً كويتياً (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

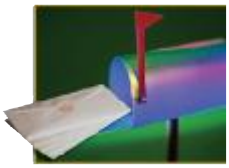

سيناء أرض الأنبياء

شرفت سيناء بكونها معبرا لأنبياء الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وعيسى وأمه البتول.

فلها مكانة عالية عند المولى عز وجل حيث أقسم بها في كتابه بقوله تعالى ﴿والتين والزيتون. وطور سينين﴾ (التين:١-٢) فـ «سينين» هي أرض سيناء وبها «جبل الطور» الذي أكرمه الله بأن ناجاه موسى عليه، كما أن من خصائص هذا الجبل أن رفعه الله عز وجل فوق اليهود عندما خانوا العهد ولم يؤمنوا فكان تخويفا وإرهابا لهم فآمنوا ثم أعرضوا كعادتهم فقال فيهم عز وجل ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾ (البقرة:٦٣).

وفيها الوادي المقدس «طوى» وهو البقعة الغالية التي قدسها الله تعالى فنادى فيها موسى قائلا: ﴿هل أتاك حديث موسى. إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾ (النازعات: ١٥-١٦)، ذلك الوادي الكريم الطاهر الذي قال فيه الله عز وجل لموسى ﷺ ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ (طه: ١٢).

كما أمر الله موسى أن يرحل ببني اسرائيل لقتال قوم ظالمين جبارين فلما وصلوا إلى «وادي التيه» بسيناء مكثوا فيه أربعين سنة تائهين فكان الله يظلهم بسحاب كالغمام ليقيهم حرارة الشمس وأنزل عليهم المن (طعام حلو) والسلوى (نوع من الطير) ليأكلوا وقال تعالى ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ (البقرة:٥٧)، فلما اصابهم الظمأ ولم يجدوا ماء طلبوا من موسى أن يدعو ربه ليرزقهم الماء ليرتووا فقال في ذلك عز وجل ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾ (البقرة:٦٠)، فهذه هي سيناء المباركة التي أنعم الله بها علينا.

هدى الكاشف

عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين

استنادا إلى أحدث البحوث الطبية العالمية اليوم فقد اقر علماء الطب الحديث في العالم اخيرا الاكتشاف العلمي الجديد الذي أظهر أن النوم العميق لساعات طويلة يسبب ترسيب المادة الخطيرة «الكوليسترول» في جدران شرايين عضلة القلب وشرايين تلافيف المخ والمراكز العصبية مسببة تصلب وتلف جدران الشرايين ومؤدية إلى الإصابة بالذبحة القلبية والسكتة القلبية نتيجة تلف أنسجة العضلة القلبية، والأمراض الدماغية الخطيرة، مثل انفجار شرايين المخ وحدوث النزيف الدموي المؤدي إلى الجلطة الدماغية الذي يعقبه إما الموت الدماغي أو الشلل النصفي.

ويوصي علماء الطب الحديث اليوم بقطع النوم العميق بعد منتصف الليل والنهوض بنشاط لايقاف سلسلة الرحلة السباتية وهجر الفراش والخروج لأداء ممارسات للحركات الرياضية كصعود السلالم أو الجري الموقعي أو التمارين السويدية ثم العودة الى النوم ثانية.

أما قيام الليل فمن خلاله يتم النهوض من الفراش وهجر النوم واعادة النشاط الجسدي والنفسي والروحي بإسباغ الوضوء الذي يطرد النعاس ويجدد نشاط الدورة الدموية والتنفس ثم القيام بصلاة الليل ركوعا وسجودا ونهوضا، حيث ان الصلاة تنشط ٣٦٠ مفصلا في الجسم البشري و٣٠٠٠ عضلة جسدية، ويتم

شكر وتقدير

تتقدم أسرة التحرير بالشكر والتقدير لصاحب ومدير عام دار النوادر في دمشق نور الدين طالب على جهوده الكبيرة وسعيه الحثيث في المساهمة لاصدار المجموعة الكاملة المصورة لمجلة «الوعي الإسلامي» خلال مسيرتها التاريخية والثقافية في خدمة الإعلام الهادف والمسؤول في ٤٦ عاماً.

وقد ساهمت الدار بشكل واضح في انجاز هذا المشروع التوثيقي الضخم بالتعاون مع إدارة المجلة.

هذا الاجراء الطبي الرائع في جو هادئ من الصفاء الذهني والجسماني، ونيل أعلى رتب الإيمان، ما يبين الفارق بين إنسان الدنيا الباحث عن الفوائد المادية للجسم وإنسان الدنيا والآخرة الذي يسعى للفوز بالصحة في الدنيا ورضاء الله في الآخرة ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ (النساء: ١٣٤).

د.إبراهيم الراوي

وكرم الزميل رئيس التحرير فيصل العلي مدير الدار وقدم له نسخة نهائية من المشروع مشيداً بدوره الكبير وحرصه على خدمة الثقافة والفكر والحضارة

ومن النقد ما ظلم

سعى النقاد ومؤرخو الأدب في العصر الحديث إلى إنكار دور الأدب العربي في إنشاء فن القصة القديم، وهذا إجحاف وظلم، وسارعوا لإنكار فن القصة من أدبنا وتراثنا وما كان ذلك الإنكار إلا لأننا وضعنا نصب أعيننا القصة الغربية في صياغتها الخاصة بها وإطارها المرسوم لها أصبحنا نتخذها المقياس والمعيار والميزان وفتشنا عن أمثالها في أدبنا العربي فإذا هو قد خلا منها أو يكاد، وما أعظم خطأنا في هذا المقياس.

فللأدب العربي قصص ذو صبغة خاصة به وإطار مرسوم له إذ هو يصور نفسية المجتمع العربي.

وكان الأولى أن نقتش ونبحث في تراثنا عن فن الحكاية وفق مقاييس نقدية عربية تتلاءم مع روح العصر القديم، فالظلم هنا أننا حكمنا بمقاييس نقدية حديثة وعصرية تتماشى مع روح العصر الحاضر إذ لكل عصر مقاييسه الخاصة به.

أرأيت كم كان النقد ظالما؟ وفي الأخير أقول لماذا لا نعترف بأن العرب في واقعهم القصصي يمثلون مرحلة الميلاد والنشأة لهذا الفن وعادة ما تكون هذه المرحلة ضبابية المعالم ثم تطورت الظروف وأخذت أوروبا وروسيا وأميركا ترسم الملامح الواضحة والمعالم الأساسية لهذا الفن الأصيل وأبدعت من روح ثقافتها ومجتمعاتها فأنتجت لنا قصصا فنيا من الدرجة الممتازة ذا إحكام دقيق وصياغة فنية عالية وصاحب ذلك بروز أعلام في كتابة هذا الفن أصلوا له على المستوى العالمي أمثال دي موسيه ولامارتين وجاي دي موباسان وتشيخوف.

إذن العرب أمة قد شاركت ولو بنسبة ضئيلة في الصياغة العالمية للقصة الفنية بأنواعها المختلفة، والنظرة المتوازنة في الرؤية النقدية تتيح للعقل الإنساني مجالا واسعا في حرية التفكير والإبداع على جميع المستويات وخاصة عندما يتلاشى شرط الاضطهاد والظلم والازدراء لكل ما هو عربي حتى لو كان أصيلا شهد الجميع بأصالته، والأصل في الرؤية النقدية أنها موضوعية لا تحابي أحدا.

محمد أبوعيد

رثاء

وفاة العلامة الشيخ عبدالله الجبرين

(١٣٤٩ - ١٤٣٠هـ)

أ. د.وليد عبدالله المنيس

تلقى العالم الإسلامي بعامة، ومنطقة إقليم الجزيرة والخليج العربي بخاصة خبر وفاة العلامة العامل الفقيه المتقن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين بعد ظهر يوم الاثنين ٢٠ رجب ١٤٣٠هـ (١٣/ ٧ /٢٠٠٩هـ)، وكان وقع خبر وفاته كبيرا ومؤثرا على عموم المسلمين، لأن فقد عالم بهذا المستوى من الفهم والعلم والحفظ والإتقان لا يعوض، وهو من علامات الساعة كما جاء في الحديث، ولابد أن نتحدث ولو قليلا عن سيرته الحافلة التي قضى أكثرها وجلها في الدعوة وتدريس العلم ونفع المسلمين.

اسمه ونسبه وبلدته

هو العلامة الشيخ د.عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم الجبرين، من قبيلة بني زيد، موطنهم شقراء في الأصل، ثم انتقلوا إلى القويعية حيث الجد عبدالله بن إبراهيم الجبرين الذي انتقل مع أبيه إبراهيم بن فهد بن حمد الجبرين إلى قرب قرية اسمها «مزعل» لأنها بلاد أخواله العرافة، ووالده ولد في قرية عرافة عام ١٣٢٠هـ.

طلبه للعلم في أوائل حياته

تعلم على أبيه وأخيه - أي أخي أبيه محمد بن عبدالله - بدايات العلم ومداخله، ثم تعلم القراءة والكتابة، ثم سافر إلى قطر عام ١٣٤٤هـ ودرس فيها مدة ثم عاد إلى مكة عام ١٣٤٧هـ، وبعد سنتين ولد الشيخ عبدالله أي عام ١٣٤٩هـ. وفي هذه الأثناء رغب الشيخ عبدالعزيز أبوحبيب من والد الشيخ أن ينتقل إلى «الرَّين» للإمامة والتعلم حوالي عام ١٣٥٠هـ، وأخذ يعلم الأولاد وقد أدرك الشيخ عبدالله هؤلاء الأولاد عام ١٣٥٢هـ وقال: ما أدركت أولئك الأولاد إلا كالحلم، لأنه كان له من العمر ٣ سنين آنذاك. وقد كان عدد الطلاب ما بين ٢٥- ٣٠ طالبا، منهم من قرأ القران ومنهم من حفظ إلى أن توقف التعليم عام ١٣٥٩وقد جلس الشيخ مع الذين يدرسون مع أخيه الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن وكذلك زملاؤه الذين بلغ عددهم ما بين ٢٠- ٢٥ يدرسون أولا سوراً قصيرة حفظا من الفاتحة إلى المعوذات إلى إتمام سورة الضحى كلها ثم تعلموا حروف الهجاء في ألواح ثم القراءة في الألواح ثم القراءة في المصحف وهكذا. واستمر الحال إلى أن قرأ جزءا ونصف الجزء، وكان في كل صيف ينتقل إلى بلدة الأخوال في قرى القويعية واسمها محيرقة وفيها أحد أعمام الشيخ، واسمه سعد بن عبدالله الجبرين وكان عمه سعد يعلم في وقت الصيف أيضاً، فقرأ الشيخ عليه إلى تمام ثلاثة أجزاء ونصف وكان عمر الشيخ حينذاك بين ١٠- ١١ سنة.

المدارس والمصاحف

لم يكن حينذاك مدارس إلا هذه الجماعات والحلقات حول المدرسين، يعلمونهم حروف الهجاء ثم قراءة القرآن في أجزاء ثم بالتالي في المصاحف. أما المصاحف فكانت طبعات هندية قديمة وطبعات مصرية وتركية والأخيرة قليلة.

العودة الى الرين

ثم رجع الشيخ عبدالله إلى الرين حيث والده واستمر في قراءة القرآن إلى سورة الزخرف، كان الوالد يقرئه ثم ينشغل إلى أن يسر الله تعالى أحد المعلمين واسمه الشيخ سعيد بن عبدالله بن الأجهر، قال الشيخ: ولايزال حيا، وقرأ عليه من وسط الزخرف إلى قرب سورة الكهف وكان عمر الشيخ حينها ١١ سنة عام ١٣٦٠هـ.

العودة إلى المحيرقة

ثم رجع الشيخ عبدالله إلى محيرقة وكان فيها أحد أقاربه وهو الشيخ عبدالعزيز الرشيد وكان يدرس وهو معوق يجتمع عليه كثير من الطلبة يدرسون عليه.

وواصل الشيخ القراءة عليه من البقرة إلى سورة يونس، وكان الوالد يحث الشيخ

أستاذ في جامعة الكويت

على التعلم خاصة تعلم القرآن والكتابة وكتابة الرسائل، ثم إن الشيخ عاد إلى الرين وأكمل بقية القرآن الكريم من يونس إلى الإسراء قراءة نظرية.

حفظ القرآن

شرع الشيخ عبدالله في حفظ القرآن بإشراف والده الشيخ عبدالرحمن الذي أمره بالحفظ من آخر القرآن فواصل الحفظ في عام ١٣٦١ كان عمره ١٢ عاما إلى عام ١٣٦٢ فحفظ ١٢ جزءا إلى سورة الشعراء. ثم فتر العزم فترة لعدم وجود من يقرئ القرآن لكنه عام ١٣٦٧ عزم من جديد على حفظ القرآن مع طلب العلم.

الشيخ عبدالعزيز أبوحبيب الشثري

كان الشيخ عبدالعزيز الشثري قاضيا للبلد وكان يشترط على طلبته تكميل القرآن قبل طلب العلم، وتيسر حفظه بحمد الله.

قراءة كتب العلم وفهمها على المشايخ

جلس الشيخ عبدالله إلى والده الشيخ عبدالرحمن يقرأ عليه أولا في النحو «الآجرومية» وكان يعلمه ويأمره بالإعراب فعرف بذلك مبادئ النحو، ثم شرع في الرسائل العلمية وكتب العلم مثل الرحبية في الفرائض، وعمدة الأحكام، والأربعين النووية. ثم إن الشيخ عبدالله قرأ الزاد على الشيخ عبدالعزيز الشثري وألفية ابن مالك، وقرأ كتب التاريخ، ثم الصحيحين وبعض كتب السنن عليه وكان الشيخ الشثري ضريرا رحمه الله، ثم قرأ الشيخ عبدالله على شيخ آخر هو الشيخ صالح بن مطلق إمام أحد مساجد الرين وكان عمر الشيخ ما بين ٢٠- ٢٤ سنة عام ١٣٧٤هـ.

الانتقال إلى الرياض والقراءة على الشيخ محمد بن إبراهيم

انتقل الشيخ عبدالله الجبرين إلى الرياض وهناك التقى بالعلامة البحر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فقرأ عليه القرآن، وفتح المجيد ومتن التوحيد والروض المربع والحموية، والواسطية. وبلوغ المرام، بعد العصر وبعد المغرب.

مشهد مهيب في جنازة الشيخ

من أقواله: على طالب العلم أن يأخذ العلم من أهله ولا يقدح بالعلماء ويحسن الظن بالآخرين إذا علم حسن معتقدهم ولا يعيب أحداً بقلة علم أو غفلة

القراءة على الشيخ عبدالعزيز بن باز

كما قرأ الشيخ عبدالله على العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز وهو أيضا تلميذ الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان يقرأ عليه المطولات وكان الشيخ عبدالعزيز يعلق ويشرح ويبين مدلولاتها له، وبعد المغرب يجلس للفرائض والنحو.

القراءة على الشيخ عبداللطيف ابن إبراهيم آل الشيخ

كما درس على الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ وهو شقيق العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بعد الفجر وبعد المغرب يقرأ عليه في النحو والفرائض والعلامة الشيخ عبدالله بن حميد وغيرهم.

الاستفادة من الزملاء في الطلب

كما استفاد الشيخ عبدالله من زملائه في طلب العلم وأشهرهم الشيخ عبدالرحمن الفريان، وعبدالرحمن بن مقرن، وفهد بن حميم وكانوا يجتمعون في غرفة الشيخ محمد بن إبراهيم بعد العشاء لمراجعة بعض الكتب كمتن البلوغ والزاد والروض مع قراءة الشرح.

أول مؤلف للشيخ

كان أول مؤلف للشيخ عبدالله في عام ١٣٦٨ هـ ومناسبته أنه كان يدرس في جامعة الإمام ثم عقد مؤتمر حول المدمنين ومكافحة المخدرات، فألف كتابا عن التدخين وعنوانه «التدخين وحكمه في الإسلام» وهو أول مؤلفاته.

الماجستير والدكتوراه

أكمل الشيخ عبدالله دراسة الجامعة، ثم شرع في الدراسات العليا، الماجستير وعنوانها الأخبار الآحاد في الحديث النبوي وأشرف على رسالته الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ثم الدكتوراه وأشرف عليه د.عبدالله الركبان وذلك في كتاب الزركشي وشرحه على مختصر الخرقي، ثم إن الشيخ أتم الكتاب بأكمله في ٧ مجلدات وهو مطبوع ومتداول وقد انتفع به العلماء وطلبة العلم وعموم الناس وطبعته الأولى عام ١٤١٠هـ.

دروسه اليومية

كان الشيخ عبدالله الجبرين رحمه الله حتى أواخر أيامه يدرس بهمة ونشاط ويبدأ برنامجه من بعد الفجر إلى ما بعد الشروق ثم يرتاح قليلا، ثم يغادر إلى عمله في الإفتاء والجامعة ثم يواصل بعد العصر للإجابة على أسئلة المستفتين، ودروسه مستمرة ربما بعد العصر وبعد المغرب ٥ أيام في الاسبوع وتصل إلى اكثر من ١٧ درسا وبعض الناس يقول إنها تصل أحيانا إلى ٤٠ درسا في الأسبوع ولا يستغرب ذلك على الشيخ ابن جبرين رحمه الله.

تفرغ الشيخ للتعليم

تفرغ الشيخ للتدريس ونشر العلم بعد ان أحيل إلى التقاعد منذ عام ١٤١٨هـ بعد أن عمل كعضو في الإفتاء منذ عام ١٤٠٢ هـ، فازدادت دروسه وانتفع الخلق به كثيرا وتنوعت فوائده ما بين إفتاء وشروح وتعليق ودورات علميه وبحوث، ونتج عن ذلك أن قام بعض تلامذته بتفريغ اشرطته وتعليقاته

وظهرت كشروح لمتون علمية مهمة من شرحه «لأخصر المختصرات» و«تعليقاته على منار السبيل» و«شرح منهج السالكين» و«كتاب التوحيد» و«الواسطية» كما شرح «أصول الاعتقاد للالكائي» و«الكافي»، كما أنه يستدعى لمناقشة الرسائل العلمية من ماجستير ودكتوراه في الجامعات، وكان يكلف من قبل ولاة الأمر ومن المشايخ بأداء ما ينفع المسلمين، وكانت له رحلات إلى أقاليم المملكة للدعوة والتدريس وإقامة الدورات العلمية المكثفة في الطائف والقصيم والشمال والجنوب.

قربه من الناس

مما عرف عن الشيخ عبدالله الجبرين انه كان قريبا من الناس يتودد إليهم يزورهم ويقضي حاجاتهم وينزل عند طلباتهم فتجده يكتب مقدمة لرسالة صغيرة يعدها طالب علم رغم بساطتها ويقول: استفدت منها ويشجع القراء والطلاب على ذلك وكان يزور المرضى ويعزي المصابين كما امتازت ردوده واجاباته بأنها وافية معززة بالأدلة وتصل إلى القلب مباشرة.

لقاؤه العلامة ابن عقيل

كانت آخر مرة رأيت فيها الشيخ العلامة عبدالله الجبرين في جمادى الثانية عام ١٤٣٠هـ حيث شاهدته يصلي في مسجد الشيخ عبدالله بن عقيل في الهدا الغربي في الرياض وكنا في زيارة لشيخنا العلامة عبدالله بن عقيل ولما قضيت الصلاة وكانت صلاة العشاء قام الشيخ عبدالله الجبرين بالذهاب الى الشيخ عبدالله العقيل وسلم عليه، ثم سلمت على الشيخ الجبرين وقبلت رأسه وعرض عليه الشيخ عبدالله العقيل أن يصاحبه إلى منزله حيث مجلس الأربعاء الموسع للشيخ عبدالله العقيل فاعتذر الشيخ عبدالله الجبرين وقال أنا ذاهب لأعزي أحد الإخوة ثم قال للشيخ ابن عقيل: هل ستذهب إلى مكة؟ فقال الشيخ ابن عقيل: نعم، على عادة الشيخ حيث يذهب في الايام البيض للعمرة ولصيامها في مكة.

مرضه ووفاته

تعرض الشيخ للمرض بدءا من صفر ١٤٣٠ هـ حيث أصيب رحمه الله بانسداد في الشرايين وتم إجراء عملية له لاستبدالها ثم إنه بعد العملية تعرض لمضاعفات استدعت نقله إلى ألمانيا ثم رتبت له العلاجات والأدوية ونقل إلى الرياض وبقي في المستشفى فترة إلى أن وافاه الأجل المحتوم بعد ظهر الاثنين ٢٠ رجب، ١٤٣٠هـ رحمه الله تعالى.

تواريخ في حياته

- عام ١٣٨١ هـ اختير مدرسا في معهد إمام الدعوة واستمر في التدريس فيه أكثر من ١٠سنوات.
- عام ١٣٨٩ هـ عين إماما في مسجد آل حماد في الرياض.
- عام ١٣٩٥ انتقل الى كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.
- عام ١٤٠٢ انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء كعضو افتاء.
- عام ١٤٠٢ هـ ابتدأ التدريس النظامي في الجامعة بعد الدكتوراه.
- عام ١٤١٨ هـ احيل على التقاعد في لجنة الافتاء وتبنى نشر علمه بتوسع في المساجد والمنتديات الشرعية والدورات العلمية.

أبرز سماته وشخصيته العلمية

سمعت كثيرا عن الشيخ ابن جبرين من أخص تلامذته وهو الأخ الشيخ د.عبدالعزيز السدحان الذي سعى في نشر علم شيخه مثل تعليقاته على «منار السبيل» ولعل ابرز ما عرف عن الشيخ العلامة ابن جبرين.

أولا: عنايته بمذهب الإمام أحمد واختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية ويظهر هذا واضحا جليا في إجاباته وكتاباته انظر مقدمته لشرح الزركشي ج ١ ص ١٥- ٢١ في الوقت الذي يتبع فيه ما ظهر له من دليل نظرا لمكانته القادرة على الاستنباط والترجيح وهو القائل في إحدى مقدماته «إن الذي يلزم العامي بالاستنباط كالذي يلزم العالم بالتقليد» مع أخذه بمذهب أحمد عموما.

ثانيا: اتصاله المستمر بالناس على جميع طبقاتهم ودرجاتهم فيجيب على أسئلتهم ويزور مرضاهم ويسعى في حل مشاكلهم ويشفع لهم عند المسؤولين مع زهد وتبسط.

ثالثا: شجاعته في الفتوى وقوته، ظهر هذا جليا في وقفته الشجاعة مع الحق الكويتي في فترة الغزو العراقي الغاشم، وفي كثير من المواقف الحرجة.

رابعا: قوة حفظه وحسن استدلاله بالآيات والأحاديث بما يشفي السامع حين يسمع ردوده وإجاباته الوافية.

خامسا: نصحه لطالب العلم، ومن أقواله: على طالب العلم أن يأخذ العلم من أهله، ولا يقدح بالعلماء ويحسن الظن بالآخرين إذا علم حسن معتقدهم ولا يعيب أحدا بقلة علم او غفلة.

وقد زاره خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في المستشفى، مما يدل على مكانته في البلاد رحمه الله.

جنازته والطلب من الشيخ العلامة ابن عقيل الصلاة عليه

نعاه الديوان الملكي يوم وفاته رسمياً، أما جنازته فقد شهدت تزاحما كبيرا من الناس قدره البعض بالآلاف وتزاحم الناس للصلاة عليه في مسجد الإمام تركي في الرياض وحضر جنازته نائب أمير الرياض الأمير سلطان بن عبدالعزيز وقد طلب ابن الشيخ عبدالله د. عبدالرحمن الجبرين من الشيخ العلامة عبدالله العقيل أن يتقدم للصلاة عليه، غير انه لما جاءت جنازة أخرى لإحدى نساء آل الشيخ آثر الشيخ ابن عقيل أن يصلي ابن المفتي على الجنازتين فتم ذلك.

استفتاء العلامة عبدالله العقيل في أمر الجنازة

لما أراد ابناء الشيخ ابن جبرين ومحبوه حمله على الأعناق والأكتاف إلى المقبرة سألوا الشيخ العلامة ابن عقيل أيهما افضل المشي أم ينقل بالسيارة؟ فقال الشيخ ابن عقيل: السنة الإسراع في الجنازة، والسيارة أسرع، فيحمل بالسيارة، فعملوا بقول الشيخ السديد حفظه الله.

نسأل الله تعالى أن يرحم الشيخ ويجعله في عليين وأن يجعل فيما خلفه نفعا كبيرا من علم وطلاب للسير على طريقته رحمه الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم وأثرها في بناء الشخصية واتزانها

(٣/١)

د.أحمد بن معمّر شرشال

قد اعتنى علماء التربية والتعليم في الكليات والمعاهد ومدارس تكوين المعلمين بقواعد التربية وعلم النفس اعتناء كبيرا، فكتبوا في ذلك كتبا كثيرة وأبحاثا جمة.

وإن مما يدعو للدهشة والاستغراب أنهم نقلوا فيها عن علماء التربية الغربية كل طارف وتالد، واقتبسوا أصولهم وفروعهم وتجاربهم وإذا كنا نقدر مدى أهمية الاستفادة من عمل الآخرين بعد تصفيته وغربلته مما يتعارض مع أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم، ومع مبادئنا وقيمنا الحضارية، فإن الذي نعيبه على كثير من علماء التربية وأساتذتها ومدرسيها هو تغافلهم، وعدم التفاتهم إلى ما يزخر به القرآن الكريم والسنة النبوية من دقائق علوم التربية والتعليم أصولا وفروعا.

القرآن الكريم حوى من ضروب المعرفة والقواعد الأخلاقية والأصول التربوية والتشريعية ما يجعلنا نستغني به عن النظريات البشرية القاصرة ولتعلم غير المسلمين من المسلمين.

ومن ثم اتجهت إلى المصدر الأصلي لفنون التربية والتعليم والكتاب الأم لأصول التربية والتعليم فقد رسم معالمها الكبرى، وبينتها السنة، وكل من اتجه إلى هذا المصدر يجد ضالته ويدرك بغيته.

وقد أسعفني في هذا التوجه قول الإمام الشاطبي: «لا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلا» وشد من أزري قول الشيخ الشنقيطي: قد اشتمل كتاب الله علي كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها.

إن صفة منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم قد رسم القرآن الكريم معالمها الكبرى واستقل ببيانها وفصلتها السته النبوية.

قال تعالى- في بيان صفه صفه هذا المعلم وأصوله - في سورة البقرة: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾(البقرة:١٥١).

وقال في سورة آل عمران ﴿لقد من الله على المؤمنين إذا بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

فقد صرحت هذه الآيات بالمنهج العام لأصول التربية والتعليم الذي لا منهج سواه، والذي لا ينبغي أن يتغير أو يتبدل، وهو منهج أصيل يسعد الإنسان في دنياه وأخراه، لأن منزله هو الخالق لهذا الإنسان العليم بطبيعة تكوينه الخبير بدروب نفسه ومنحنياتها.

وبهذه الطريقة والأصول التربوية أنقذ الله هذه الأمة من الضلال المبين، ولا ينقذها مما هي فيه من الهوان إلا برجوعها إلى ذكرها الذي يرفع شأنها.

وقد ذكر الله في هذه الآيات التي استخرجنا منها أصولا تربوية وجوها من نعمه تعالى على عباده.

علم الخط والرسم

إن القرآن الكريم، وهو المصدر لأصول التربية والتعليم نفى أن يكون ﷺ على دراية بعلم الخط ونفى عنه تلاوة أي كتاب قبل نزول القرآن، وكان هذا قطعا للارتياب ودفعا للشبهة، لو كان يكتب ويقرأ لقال المبطلون: إن هذا القرآن تعلمه وكتبه، فنفى عنه كل ذلك فقال: ﴿وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ (العنكبوت:٤٨).

ولذلك وصفه الله في كتب الأولين ونعته بالأمي وهو وصف كمال في حقه قال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (الأعراف: ١٥٧).

علم التلاوة والترتيل

بدأت جميع الآيات القرآنية بهذا الأصل وهو التلاوة والترتيل وقد جاء ترتيب هذه الأصول في الذكر على حسب ترتيب وجودها لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن، ثم يكون تعليم معانيه، ثم قال ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم

إن علينا بيانه﴾ (القيامة:١٨-١٩).

ثم العلم تحصل به التزكية، وهي العمل بإرشادات القرآن ، كما سيأتي.

أول صفات هذا المعلم أنه يتلو عليهم آياته: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته﴾، ومعناها القراءة المتتابعة المرتلة التي يكون بعضها تلو بعض والتلاوة المرتلة لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء على وجه من وجوه القراءات.

وأصل التلاوة من الاتباع، ومنه قولهم: تلاه: إذا تبعه، وهي ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظم تأليف القرآن وترتيبه ومنه قال تعالى: ﴿والقمر إذا تلاها﴾ (الشمس:٢).

والتلاوة وحدها كافية لإقامة الحجة، فهي الحجة، وهو المحجة فلا يعذر أحد بعد التلاوة بالجهل، فالقرآن يقيم بالتلاوة الحجة القاطعة على الخلق قال تعالى في بيان ذلك: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا﴾ (القصص:٥٩)، ومثلها في قوله تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ (العنكبوت:٥١).

وهكذا يجب على طالب العلم أن يهتدي ويقتدي بهذا الأدب، وينصت ويستمع ويتأنى في تلقي العلم، وألا يحمله الحرص على مبادرة المعلم بالأخذ منه قبل فراغه من كلامه ويجب عليه أن يحاكيه في التلاوة بعد الاستماع له.

التجويد أصل كلام العرب

اشتهر عند الناس جميعا أن موضوع علم التجويد هو القرآن الكريم فقط، وزاد بعضهم الحديث الشريف، ثم يصححون قول الجمهور، وهو أن موضوع التجويد

القرآن الكريم حوى من ضروب المعرفة والقواعد الأخلاقية والأصول التربوية والتشريعية ما يجعلنا نستغني به عن النظريات البشرية القاصرة

القرآن الكريم فقط لا غير.

وكل من ألف في علم التجويد يرددون هذا الادعاء حتى اشتهر عند جميع الناس واستقر في آذانهم أن مباحث علم التجويد لا تكون إلا في القرآن فقط وصار هذا من المسلمات .

وهذا تناقض عجيب وتنافر معيب وخطأ كبير، ووجه تناقضه أنه إذا كان علم التجويد موضوعه القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم هو لب كلام العرب.

قال الراغب الأصفهاني: «فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء، والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم...»، ثم قال: «وما عداها.. كالقشور» .

إذا كان- كما قالوا- التجويد موضوعه القرآن الكريم، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، فإن النتيجة أن التجويد موضوعه لسان العرب.

قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف:٢)

وقال: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (النحل:١٠٣)، وقال: ﴿نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٥).

أثبتت هذه الآيات وغيرها أن القرآن نزل بلغات العرب، وحينئذ تكون مباحث علم التجويد وموضوعه لغات العرب.

تفسير القرآن وبيانه

تعليم الكتاب منصوص عليه في هذه الأصول في قوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ عطفا على قوله ﴿يتلو عليهم آياته﴾، عطف جملة، وكما أن غاية علم الترتيل النطق الصحيح الفصيح لألفاظ القرآن الكريم، فإن غاية تعليم الكتاب وتفسيره وبيانه الفهم الصحيح لمعاني القرآن الكريم، ومن ثم عطف على التلاوة فكان ترتيبه في المحل الثاني في جميع الآيات القرآنية التي بنينا عليها هذه الأصول.

والارتباط بين هذا الأصل تعليم الكتاب، والأصل الذي عطف عليه وهو التلاوة واضح جلي، فلا يستقيم المعنى إلا إذا استقام اللفظ.

فمبنى الكلمة ومعناه مطلوبان ومتلازمان، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، بل مبناها هو الأصل والأساس الذي يقوم عليه المعنى، بل لا وجود للمعنى إلا بإقامة المبنى، ومن ثم وجب تصحيح النطق بألفاظ القرآن أولا محافظة على المعنى ثم يجب علينا أن نفهم ونتفقه بعد التلاوة الصحيحة في المعنى الذي يحمله اللفظ.

فيكون المعنى أن هذا المعلم ﷺ يتلو عليهم القرآن ويبين لهم معاني هذا الكتاب وما خفي عليهم من أسراره وأحكامه وحكمه وهذا من وظائفه ﷺ أن يبين ويعلم معاني الكتاب ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (النحل:٤٤) فكان مبلغا لكتاب الله العزيز، ومبينا لأحكام القرآن الكريم، وموضحا لآياته البينات.

ومما لاشك فيه ولا خلاف عند جميع المسلمين أن القرآن الكريم حوى بين دفتيه أنواعا من العلوم والمعارف يعجز البشر عن الإتيان بمثلها، وتضمن أحكاما وحكما وأخبارا بها يحقق الإنسان سعادته في الدنيا والآخرة.

ولا سبيل إلى معرفة هذه العلوم، وهذا التشريع وهذه الهدايات والوقوف عليها والعمل بها، والاتعاظ بها إلا بفهم القرآن، وتفسيره وتدبره والتفقه فيه، والاستغناء به عن غيره. كيف يتعظ الإنسان بما لا يفهم، لأن ملكة الفهم دخلها الفساد، فصار الناس لا يفهمون القرآن، ولا يفقهون ما فيه، وبدون فهم للقرآن وتفسيره لا يمكن الوصول إلى كنوزه ومعارفه مهما رددنا تلاوته وأقمنا حروفه.

الناس لم يعودوا يتأثرون بالقرآن الكريم، كما كان الجيل الأول يتأثرون به فقد حالت بينهم وبينه غيوم كثيفة وحجب وموانع ومن أشدها كثافة عدم فقه اللغة العربية التي هي وعاؤه، لأن اللسان العربي وملكة البيان دخلها الفساد.

إن القرآن الكريم فيه الكفاية وزيادة على ذلك، فجميع العلوم الإسلامية قد استقل ببيانها، وقد أدرك هذا المعنى الإمام القرطبي- رحمه الله- فقال: «فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع... رأيت أن أشتغل به مدى عمري وأستفرغ فيه قوتي».

وأضرب لذلك أمثلة واقعية لم يخالف فيها أحد على أننا نستطيع أن نستغني بالقرآن الكريم عن جميع المقررات.

أولا: مقرر التوحيد

من أبرز العلوم التي يتعلمها الناس في تفسير القرآن الكريم هو علم العقيدة، وهي رأس العلوم الإسلامية وقد أخذت حيزا كبيرا من كتاب الله تعالى.

قال ابن القيم: «وغالب سور القرآن متضمنه لأنواع التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادة الله فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته» .

ثانيا: مقرر الحديث

وإذا انتقلنا إلى الحديث النبوي الشريف نجد أنه نوع من التفسير، فإنه المبين لمراد الله تعالى من الآية ويشهد بما شهد به القرآن، وهو التطبيق العملي لمعنى الآية النظري، فالطالب في تفسير القرآن يتعلم الحديث، وأضافه عبدالعظيم الزرقاني إلى علوم القرآن فقال: «إذا أضفت إلى علوم القرآن ما جاء في الحديث النبوي الشريف وعلومه وكتبه وبحوثه باعتبارها من علوم القرآن نظرا إلى أن الحديث شارح للقرآن يبين مبهماته ويفصل مجملاته ويخصص عامه».

ثالثا: مقرر الفقه

وإذا عرجنا إلى مادة الفقه، ومقرراته نجد أن مقرر الفقه يندرج في علم التفسير، وهو جزء ضئيل جدا من التفسير، ولا يزال هناك في القرآن فقه ضخم لا يعرف إلا في التفسير.

قال رشيد رضا: «الأحكام العملية التي جرى الاصطلاح على تسميتها فقها هي أقل ما جاء في القرآن، وأن ما بقي فيه من التهذيب والتربية والفقه والأخلاق والآداب والعلوم والمعارف ما لا يستغنى عنه، وما هو أجدر بالدخول في الفقه الحقيقي» .

ومن سلبيات عرض مادة الفقه بالطريقة المستقلة عن القرآن وتفسيره انها لا تؤدي الغرض المطلوب حيث يؤدي مدرس المادة عرضه بذكر المسألة والتعريف بها ثم بأقوال العلماء فيها ثم يورد الدليل من القرآن أو السنة أو هما معا، فيقول: دليل هذه المسألة كذا ودليل هذا القول كذا، ودليل المخالفين كذا ويسرد الدليل، هذا إذا كان يذكر الدليل، وهو أحسن أحواله.

بهذه الطريقة والأصول التربوية أنقذ الله هذه الأمة من الضلال المبين

تعليم الحكمة

الأصل الرابع من هذا المنهج الدراسي الكامل تعليم الحكمة فهي في المرتبة الرابعة بعد تعليم الكتابة والخط وتلاوة القرآن وتعليم الكتاب ثم تعليم الحكمة، فمن صفات هذا المعلم ﷺ أنه يتلو عليهم الآيات القرآنية، ويعلمهم معاني الكتاب، وهو تفسيره وبيانه ثم يعلمهم الحكمة، وتأمل أخي هذا التركيب العجيب، وهذا الأسلوب البديع حيث أفرد لتلاوة الآيات فعلا، وهو ﴿يتلو﴾ وجاء بفعل آخر لتعليم الكتاب للدلالة على التباين بينهما، فان تعليم الكتاب غير التلاوة، فإن التلاوة تكون بقصد حفظ الحروف، وتعليم الكتاب يكون بقصد حفظ المعاني، وأشرك الحكمة في نسق التعليم بفعل واحد: ﴿ويعلمهم﴾ لأنها مربوطة بتعليم الكتاب، وتعلم كما يعلم الكتاب، فهما كالشيء الواحد، وحذف كل ذلك من التزكية لأن التزكية لا تعلم ولا تحفظ ولا تتلى، وإنما هي ثمرة من ثمرات التلاوة وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة، فإذا لم تثمر هذه الأصول الدراسية التزكية فهي كالعدو فإنما هي محض سلوك وعمل يظهر بعد التلاوة وبعد تعليم الكتاب وبعد تعليم الحكمة.

ونحن الآن نقوم بعملنا هذا بتعليم التزكية كالصناعة والحرفة التي يحتاجها الإنسان، ويقوم بها عند الحاجة لتدر عليه نفعا ما.. هذه حالنا ورب حال أفصح من لسان. من صفات هذا المعلم أن يعلمهم الكتاب والحكمة كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾.

والقرآن الكريم يبين لنا أن الله أنزل الحكمة كما أنزل القرآن، وأنها تتلى فقال: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (النساء: ١١٣).

وقال: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾ (البقرة:٢٣١).

وأمر الله أزواج النبي ﷺ أن يتذكروا ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة فقال: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ (الأحزاب:٣٤).

ودل الاستقراء والتتبع لكلمة «الحكمة» في القرآن الكريم أنها وردت في كتاب الله على نوعين: مفردة، ومقترنة بالكتاب.

أولا المفردة: فقد وقعت في تسعة مواضع.. وقد فسرت بالنبوة.. والفهم والقرآن وتفسير القرآن.

وفسرت الحكمة بعلوم القرآن وفقه ما فيه من علوم، ذكر ابن الجوزي أن من معاني الحكمة علوم القرآن.

ثانيا: الحكمة المقرونة بالكتاب

وكلمة الحكمة عادة تأتي بعد كتاب منزل، وجاءت في اختيارنا لهذه الأصول كلها مقترنة بالكتاب ومتصلة به، ومن ثم اشتركت الحكمة في نسق تعليم الكتاب: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وارتبطت به ارتباطا وثيقا فشاركت الكتاب في التعليم فيجب أن تعلم كما يعلم الكتاب.

واتفق علماء التفسير على أن الحكمة المتصلة بالكتاب هي السنة وفسرها بذلك الحافظ ابن كثير وعزاه إلى غير واحد من السلف وهي ما أخذ عن الرسول ﷺ سوى القرآن: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» ومصداق ذلك في كتابه الكريم: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى﴾ (النجم:٣- ٥).

«التكافل لرعاية السجناء» .. تجربة إسلامية ناجحة في إغاثة الفقراء الجدد

رجب الدمنهوري

لم يعد العمل الخيري الكويتي محصورا في النطاق الإغاثي التقليدي المتعارف عليه منذ قديم الزمان، والمتمثل في تقديم العون والمساعدة للفقراء والمعوزين الذين انقطعت بهم السبل فقط، فقد تجاوزت أنشطته هذا الاطار إلى آفاق أوسع وفضاءات أرحب جمعية التكافل لرعاية السجناء واحدة من المؤسسات الخيرية الكويتية التي امتثلت قول الرسول الكريم «خير الناس أنفعهم للناس» (رواه ابن حبان) حيث نشطت في مجال لم يكن مألوفا في السابق، ألا وهو رعاية الفقراء الجدد الذين أفقروا أنفسهم بأنفسهم، وتورطوا في قضايا مالية، وانتهى بهم المآل إلى السجون، وتركوا وراءهم أسرهم دون عائل أو معين، وبهذا المسعى تقدم الجمعية تجربة إسلامية جديرة بالتأمل والرصد لدورها المشهود في رعاية شريحة من السجناء والعمل على إصلاحهم وإعادة تأهيلهم، وإعالة أسرهم في إطار دعم الجهود الرامية إلى تماسك المجتمع والحيلولة دون انفراط عقده، وبالتعاون مع وزارات الأوقاف والداخلية والشؤون والعدل ومؤسسات خيرية واستثمارية مجسدة صورة رائعة من الحرص المشترك على معالجة تداعيات هذه الجرائم.

النشأة والأهداف الإنسانية

أسسها الشيخ مساعد مندني عام ٢٠٠٠م في صورة صندوق تكافل قبل أن تتحول الى جمعية، فعندما عنت له الفكرة أخذ يصول ويجول بها في أوساط الخيرين، وقابله فريق من الناس باستغراب حينما علموا أنه سيعمل في أوساط المسجونين على ذمة قضايا مالية، وبلغ الأمر ببعضهم أنهم قالوا له «إما أنك ستصبح أكبر مجرم على وجه الأرض لأنك ستحتك بالمجرمين، أو أن في عقلك شيئا غير طبيعي». لكن الشيخ مندني- الذي يترأس الجمعية حتى الآن- لم يعبأ بهذا الخطاب المحبط، ومضى في مشروعه بإصرار وكانت الفكرة واضحة في ذهنه، إذ يرى أن السجين ليس مجرما، حتى لو قتل أو شرب الخمر أو تعاطى المخدرات، ولكنه إنسان مريض، والمريض يحتاج إلى علاج ومساعدة.

وفي مقابل هذا الفريق المتحفظ على هذا النشاط وجد فريقا آخر يعينه على الخير، ويقدم له الدعم والمساعدة، ومن أبرزهم العم الراحل عبدالله المطوع صاحب السجل الوافر بالعطاء.

الشريحة المستهدفة

وليس كل السجناء في سلة واحدة- من منظور الجمعية- وحتى لا تتهم بأنها تحض على الإجرام، فقد حددت شريحة معينة، تمثل قرابة ٣٥ ٪ من السجناء، وهي شريحة المحتجزين الذين دخلوا السجن بسبب جريمة آخرين كالكفيل أو من يعمل توكيلا لوكيله، حيث يصبح الموكل مدانا بجميع تصرفات الوكيل، أو الذي دخل السجن بسبب ضعف راتبه وعدم قدرته على الوفاء بأقساطه والتزاماته، وهنا يظهر دور الجمعية حيث تدرس ظروف المدين، وإذا ثبت أنه يدخل ضمن الاشخاص الذين تنطبق عليهم شروط المساعدة كالكفلاء أو الموكلين أو أصحاب الدخل المحدود او النساء اللاتي دخلن السجن بسبب ازواجهن أو أبنائهن، أو كبار السن والمرضى وغيرهم فلا تتردد في تقديم العون لهم لمساعدتهم على الخروج من هذه الأزمة.

جانب من أنشطة الجمعية

التعاطي المنهجي

وعن طبيعة تعاطي الجمعية مع هذا الملف وضمان حصول المتورطين في هذه القضايا دون إرادتهم على المساعدات تبدأ الجمعية أولى خطواتها وضمن إطار منهجي بالتحقق من أن قضية هذا السجين او ذاك تدخل فعليا ضمن الشريحة المستهدفة حتى تمد له يد العون، ثم تأتي الخطوة الثانية وتتصل بالدائن لتسأله عن خلفيات القضية، وحجم الدين المستحق له على المدين، ونوعية النشاط الذي انعقد عنه هذا الدين، وعندما يثبت لها أنه عمل تجاري صحيح ولا ريب فيه، وقد جاء بناء على عمل شرعي صحيح أيضا، وأن

هذا الدين جاء عن طريق اتفاق صحيح مائة بالمائة، هنا تقوم الجمعية بدراسة هذه الحالة وتعمل على سداد الدين من التبرعات التي تجلبها من أهل الخير، وإذا كان المبلغ كبيرا والجمعية لا تقدر على سداده فإنها لا ترفع شعار العجز بل تقوم بعمل تسوية مع الدائن، وتطلب منه أن يتنازل عن جزء من المبلغ، كما تطلب من أهل السجين أن يسهموا في تدبير جزء آخر، وتقوم هي بدفع الجزء المتبقي، وإذا عجزت عن الوفاء به تطلب من القاضي و برضا الدائن ان يقسط هذا المبلغ المتبقي على المدين، ومن ثم يخرج السجين إلى المجتمع، وقد استفاد من التجربة ليبدأ حياة جديدة كعضو نافع ومنتج

توسيع مفهوم الفقر

والجمعية بهذا النشاط المؤسسي الجديد نجحت في توسيع مفهوم الفقر انطلاقا من أن الأسر الكويتية التي وقعت ضحية هذا النوع من الإجرام قد أفقرت نفسها بنفسها بسبب القروض والديون وعدم التخطيط الصحيح الذي جاءت نتائجه سلبية على الأسرة واقتصادياتها، فمؤسسات الإقراض- كما يقول الشيخ مندني- تشجع على النشاط الاستهلاكي الأمر الذي أدى إلى أن مؤسسات «التكييش» والتي وصفها بغير القانونية قد أودعت أسرا كويتية كثيرة في السجن، وأوقعت أخرى في شراك الديون التي تمتد إلى عقود من الزمن بمبالغ تفوق دخلها الشهري، ومن هنا فإن أي مواطن- في تقدير الجمعية- عليه أمر ضبط وإحضار من قبل السلطات نتيجة مطالبات مالية، يمكن تصنيفه على أنه فقير، لاسيما أن نسبة هؤلاء تتراوح ما بين ٨ إلى ١٠٪ من المواطنين، كما تشير الإحصاءات الصادرة عن وزارة العدل إلى أن عدد المطلوبين للقضاء في قضايا مالية والصادر بحقهم ضبط وإحضار يزيد على الـ ٩٠ ألف مواطن كويتي، وهو رقم كبير قياسا على عدد السكان.

سر النجاح

ولعل سر نجاح الجمعية في رسالتها من خلال رصد دورها المجتمعي أنها لم تنظر إلى مساعدة السجناء من زاوية الجرم المرتكب، بل من زاوية المرض الذي دفع الضحية إلى ارتكاب الجرم، في إشارة مهمة تكشف عن عزمها اقتلاعه من جذوره، والأكثر من ذلك أنها لم تتعامل بشكل عفوي مع الشريحة المستهدفة، وإنما أعدت الدراسات والأبحاث ونظرت إلى الحالة المرضية لهذه الفئة من ثلاث زوايا، الأولى هي المرض، والثانية هي تفاعل المرض والدافعية إلى ارتكاب الجريمة، أما الثالثة فهي تداعيات المرض وآثار الجرم الذي يرتكبه في تلك المرحلة، الأمر الذي تطلب من- وجهة نظر الجمعية- عدم الخلط وإصدار أحكام مسبقة على السجناء بأنهم مجرمون وبالتالي لا يستحقون المساعدة كما قد يرى البعض.

وقد حالف النجاح الجمعية بإفراجها حتى الآن عن أكثر من خمسة آلاف سجين وسجينة بفضل الله أولا، ثم مساعدة العديد من الشركات والوزارات والمؤسسات الحكومية والأهلية، ومن بينها بيت التمويل الكويتي، ودار الاستثمار، وشركة أعيان، والأمانة العامة للأوقاف، وبيت الزكاة وهو من أكبر الجهات الداعمة للجمعية بحوالي ٢٠٠ ألف دينار سنويا، فضلا عن أن الجمعية تحصل مثل هذا المبلغ من تبرعات أهل الخير.

الجمعية نجحت في الإفراج عن أكثر من خمسة آلاف سجين بفضل مساعدة العديد من المؤسسات الحكومية والأهلية

جهود دعوية

ولم يقتصر هذا النشاط على مسار تقديم الدعم المالي وحسب، فهناك أيضا جهد كبير تبذله الجمعية دعويا لكي ترفع من همة السجين وإيمانه وتنمي وعيه بقضيته وتداعياتها وتؤكد له أن السجن ليس نهاية المطاف، وإنما هو كبوة من الكبوات التي يمكن تجاوزها إلى فتح صفحة جديدة مع المجتمع، ووسائل الجمعية في ذلك كثيرة، منها دروس الوعظ والمحاضرات والدورات الإيمانية ومسابقات حفظ القرآن الكريم والثقافة الإسلامية والبرامج الإيمانية والترفيهية والدورات النفسية والاجتماعية، وتهدف هذه الأنشطة إلى تنمية الثقة في نفس السجين وإصلاحه وتأهيله ومساعدته على تجاوز محنته، كما تسعى الدورات النفسية والاجتماعية تحديدا إلى مساعدة السجين على التواصل مع أولاده وزوجته من داخل السجن وكأنه هو الذي يدير شؤونهم الأسرية والحياتية.

النشاط المتزايد في رمضان

ولأن شهر رمضان المبارك هو شهر الخيرات والجود والإقبال على الأعمال الصالحة ومضاعفة الحسنات، فإن نشاط رعاية السجناء يتزايد في هذا الشهر الفضيل أكثر من أي وقت آخر خلال العام، ويعود ذلك إلى الانتفاضة الإيمانية التي تشهدها مساجد الكويت ومبادرات أهل الخير وتسابق المحسنين والمؤسسات إلى إخراج الصدقات والزكوات والتبرعات كما أن كثيرا من المحسنين يجعلون من الشهر الكريم موعدا لإخراج الزكاة، ولهذا فقد دأبت الجمعية على تنظيم المؤتمرات الصحافية والاحتفالات للإعلان عن نشاطها وعدد السجناء الذين سيخرجون من ظلمة السجن إلى نور الحياة من خلال حملة «فرحة رمضان» فضلا عن تقديم المساعدات لأسر السجناء، فقد قدمت في رمضان الماضي مساعدات لألف أسرة حيث حصلت كل أسرة على ٥٠٠ دينار ليبلغ إجمالي المبلغ المصروف على هذا النشاط وحده نحو نصف مليون دينار.

التجربة تحظى بقبول خليجي

وبهذا النشاط النوعي تعتبر الكويت سباقة في مجال رعاية السجناء ومساعدة أسرهم، بل ومصدرة لمثل هذه التجارب الناجحة إلى دول الخليج، فقد كانت مملكة البحرين من أوائل الدول التي شرعت في تطبيق هذه التجربة بعد لقاء جمع بين الشيخ مندني وعدد من رجال الأعمال في المملكة، وقد أبدوا إعجابهم بدور العمل الخيري في رعاية السجناء وشرعوا في تنظيم عمل مؤسسي مشابه، ولتعميم الفائدة نقل الشيخ مندني خبرة الجمعية إلى قطر وعمان والإمارات والسعودية واليمن، وهي التجربة التي لاقت قبولا واستحسانا واسعين من جانب الجهات المعنية في هذه الدول.

المؤتمر الثالث للوحدة الإسلامية

إعداد: سلوى طلعت

بدأ المؤتمر الثالث للوحدة الإسلامية الذي افتتح في العاصمة البريطانية لندن، يوم الجمعة الموافق ١٢/ ٦/ ٢٠٠٩م بحضور علماء ومفكرين من مختلف الدول الإسلامية، تحت عنوان: «دور الأمة الإسلامية الواحدة في بناء حضارة إنسانية عادلة»، وقد افتتح المؤتمر بكلمات ترحيبية من الأمانة العامة لمنتدى الوحدة الإسلامية، حيث رحب د.كمال الهلباوي بالحضور وبضيوف المؤتمر من دول العالم المختلفة.

وشدد د.الهلباوي على أهمية هذا المؤتمر، وخاصة أنه يأتي في ظروف صعبة تمر بها الأمة الإسلامية، بسبب الضعف والوهن الذي أصيبت به الأمة.

بعد ذلك تحدث د.سعيد الشهابي، وبين بدوره أن منتدى الوحدة الإسلامية حريص على نشر ثقافة الوحدة بين صفوف الأمة، حتى تقوم الأمة بدورها تجاه العالم.

وقد حذر أئمة وعلماء دين وممثلو الحركات الإسلامية المشاركون في المؤتمر الثالث للوحدة الإسلامية الذي يقيمه منتدى الوحدة الإسلامية، من ظاهرة التطرف الديني (العنف) التي سادت العالم، موجهين اللوم إلى علماء المسلمين ممن قصروا في التصدي لمن يستبيح دماء المسلمين تحت دعوى الجهاد.

ولفت المشاركون في المؤتمر الأنظار إلى ضرورة البحث عن وسائل عملية لتطبيق الوحدة الإسلامية علي أرض الواقع، لمواجهة ما أسموه بالخطر المحدق من الخارج، والذي يهدف إلى تمزيق وحدة العالم الإسلامي لمحاولة استعماره مرة ثانية، والاستفادة من ضعفه.

وقال الشيخ عبد الهادي أوانج من ماليزيا: «من المهم مناقشة قضية الوحدة الإسلامية والبحث عن وسائل الاتصال الداخلي لجمع الشمل الإسلامي وسط عدد من التحديات والأزمات التي تعترض العالم أجمع، بداية من الأزمة الاقتصادية ومن قبلها الأزمات الأخرى في العقيدة والأخلاق والبناء الاجتماعي».

الملتقى العالمي الرابع لخريجي جامعة الأزهر: الأزهر والغرب.. ضوابط الحوار وحدوده

جرت في الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ يونيو ٢٠٠٩م على مدى ثلاثة أيام فعاليات الملتقى العالمي الرابع لخريجي جامعة الأزهر تحت رعاية شيخ الأزهر د.محمد سيد طنطاوي، وتحت عنوان: «الأزهر والغرب..ضوابط الحوار وحدوده»، وقال رئيس جامعة الأزهر د.أحمد الطيب: إن الملتقى يهدف إلى استطلاع آراء أكثر من ٩٣ شخصية من نخبة المفكرين ورجال الدين والثقافة من غير المسلمين الغربيين في الخطاب الإسلامي، لتأصيل قضية الحوار والتواصل بين الشعوب على مستوى العالم، خاصة العالم الغربي.

وقد استضاف الملتقى العالمي لخريجي الأزهر حوالي ١٠٠ عالم ومثقف وأكاديمي ورجل دين معظمهم من غير المسلمين، وناقش ٦٠ بحثًا وورقة عمل، وتناول قضايا الصراع والمواجهة بين الغرب والعالم والإسلامي.

الهيئة العربية الدولية لإعمار غزة معًا لإعمار غزة

عقد في مدينة اسطنبول التركية في يومي الأربعاء والخميس ١٨و١٩ يونيو الماضي أكبر ملتقى دولي لرجال الأعمال تنظمه «الهيئة العربية الدولية لإعمار غزة» برعاية تركية رسمية.

وشارك في هذه الفعالية أكثر من ألف رجل أعمال، وشخصيات نقابية وحقوقية من مختلف الدول العربية والإسلامية والأوروبية، بالإضافة إلى ممثل عن منظمة المؤتمر الإسلامي.

ويحمل الملتقى شعار «معا لإعمار غزة».

وقد اعترف جون أسبوزيتو بتطرف اللوبي الصهيوني في أميركا، معتبرًا إياه خطرا على السياسة الأميركية، مشيرًا إلى أن أكثر التحديات التي تواجه أميركا هي بسبب إسرائيل، وهو ما يتطلب رفض أي استثناءات، فلا تستثنى إسرائيل من القانون الدولي.

وأكد د.أحمد الطيب -رئيس جامعة الأزهر ورئيس مجلس إدارة الرابطة- أنه كتب علينا نحن المسلمين في الآونة الأخيرة أن نوضح جميعًا في قفص الاتهام بإسلامنا ونبينا الكريم -عليه أفضل الصلاة والسلام- من قبل مؤسسات غربية سياسية ودينية، واتهم الإسلام -زورًا وبهتانًا أو جهلاً- بأنه دين العنف والتطرف والسيف والحرب، وهي تهم قديمة بالية، كنا نظن أن العقل الغربي المعاصر قد تخطاها وضرب عنها صفحًا بعدما توفرت لديه الحقائق والوثائق العلمية والتاريخية عن زيف هذه الادعاءات.

وقد بذلت جهود ومحاولات من أجل توضيح الحقيقة على الجانبين؛

الغربي والإسلامي، لكنها لم تؤت ثمارها المرجوة، وحالت دون ذلك عقبات كثيرة أهمها: أن كثيرًا ممن يملكون صنع القرار في الغرب غير منصفين ولاجادين في فهم الإسلام وحضارته الإنسانية العالمية فهمًا صحيحًا، إنهم يتعاملون معه بألف مكيال ومكيال، بينما يتعاملون مع سائر الديانات والعقائد الأخرى بمكيال واحد، وقد صنعوا منه في الآونة الأخيرة عدوًا مشتركًا أو قربانًا يقدم على مذبح وحدة الغرب وتماسكه.

وقال د.أبو لبابة الطاهر-رئيس جامعة الزيتونة بتونس سابقًا ومدير مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان: «إنه من الفروض الواجبة أن تمتلك الأمة الإسلامية الأسلحة التي يمتلكها أعداؤها، ومنها النووية، وتابع الطاهر: لدى الأمة الإسلامية من الواقعية والرحمة ما يمنعها من استخدام هذه الأسلحة في المواقع التي لايجوز استخدامها فيها».

وفي بيانه الختامي اعتبر الملتقى أن حوار الحضارات مازال مجرد شعارات تتردد في المنتديات والمؤتمرات دون أن يتحول إلى منهج علمي يقود إلى التقارب، ودعا إلى وضع ميثاق للحوار يقوم على الاعتراف المتبادل بين الأديان السماوية، والبحث عن القواسم المشتركة وأوجه الاتفاق من أجل استثمارها في التقريب بين الأمم. ورأى البيان أن أكبر العوائق أمام نجاح الحوار بين الحضارات هو سياسة الظلم التي يمارسها الغرب ضد المجتمعات الإسلامية، وهو ما يضع على عاتق المجتمعات المسيحية مسؤولية دعوة ساستها إلى رفع هذا الظلم، والسعي إلى تحقيق العدالة التي تمثل روح الإيمان في رسالات السماء.

وقال المنظمون: إن الغاية من تنظيمه هي إعادة إعمار قطاع غزة الذي دمرته الحرب الإسرائيلية الأخيرة، وكذلك التعريف بالهيئة العربية الدولية لإعمار غزة ودورها في هذه العملية، وتحديد وحصر احتياجات القطاع من الأبنية والبنى التحتية والخدمات الهندسية، وأكدوا أن التحرك سيبدأ بغزة على أن يمتد إلى باقي الأراضي الفلسطينية.

وقال المنسق الإعلامي للملتقى زياد العالول: إن هذه الفعالية تحظى برعاية تركية رسمية ممثلة في حضور وزير الإسكان، إضافة لرئيس بلدية اسطنبول، وبرلمانيين. وأوضح أن الملتقى يسعى إلى إطلاق صندوق «الإعمار الأهلي» بحضور المنظمات والشركات الهندسية، ومنتديات ورجال الأعمال والمهندسين والمقاولين والشركات الكبرى وغيرها من المؤسسات الأهلية.

وأضاف المنسق الإعلامي أن الملتقى يسعى إلى تسويق مشاريع الإعمار والمساهمة المباشرة في تمويلها، وتقديم الخدمات الهندسية اللازمة لها، وتشجيع الاستثمار في فلسطين، والاطلاع على الواقع الهندسي في القطاع، ووضع الآليات والأطر المناسبة لتشغيل وتدريب وتأهيل الكوادر الهندسية والفنية فيه.

وأشار العالول إلى أن الملتقى يسعى كذلك-وعبر التنسيق مع مكتب الهيئة العربية الدولية في قطاع غزة-إلى إصدار دليل الإعمار الذي يحتوي على معلومات وبيانات تخص مشاريع مقترحة لإعمار

غزة، منها مشاريع إعادة بناء أو تأهيل مبان أو بنى تحتية دمرها العدوان الإسرائيلي، وأخرى مشاريع يحتاجها قطاع غزة في مختلف مجالات الإعمار، وهدف الدليل توفير عدد كبير من المشاريع لإعطاء فرصة للراغبين في تبني مشروعات محددة لإعمارها بالتنسيق مع الهيئة.

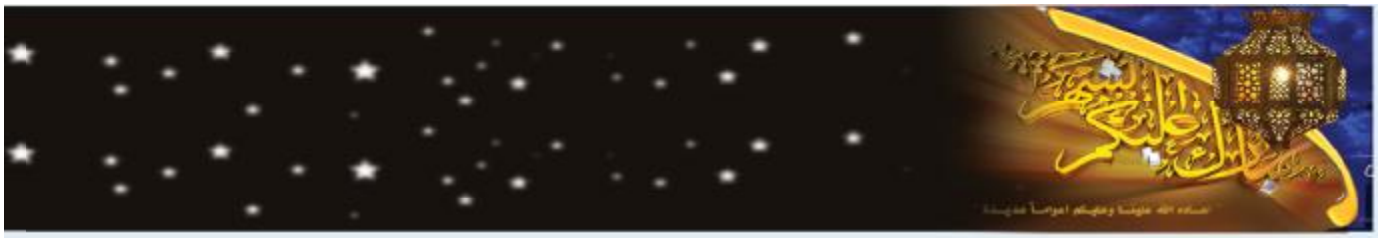

مجالس رمضان

هناك الكثير من الكتب التي ألفت في دروس وعظية لأيام شهر رمضان البهية، جعل فيها لكل يوم وعظ، وذكر فيها ما يناسب الحال والمقام، بعبارات سهلة قريبة، وألفاظ سلسة مطلوبة، مستنبطة من الكتاب والسنة، وهذا سمت سار عليه كثير ممن ألفوا في مجالس رمضان وفوائد الصيام، مؤلفات تستوعب كثيرا من أحكام الصيام والقيام والزكاة، وما يناسب المقام من ذكر الأحكام والآداب لحاجة الناس الى ذلك في هذا الشهر الفاضل، وحتى ينتفع بها الأئمة في المساجد، ألف في مجالس رمضان من علماء الكويت: العلامة الشيخ عبدالله خلف الدحيان (ت٣٤٩هـ) «مجالس رمضان الوعظية»، والشيخ عبدالله عبدالرحمن السند (ت١٣٩٧هـ) «مجالس رمضان فيها تذكرة وبيان»، والشيخ محمد أحمد الخلف (ت١٤٠٦ هـ) «المجالس السنية في البيان لأيام رمضان البهية»، والشيخ عبدالرحمن الكمالي «المواعظ السنية لأيام شهر رمضان البهية»، كذلك ألف ثلة من العلماء أمثال الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) ضمن كتابه القيم «لطائف المعارف»، والشيخ فيصل المبارك (ت١٣٧٦هـ) والشيخ أبو بكر الملا الأحسائي، والشيخ العلامة محمد صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) وهنا نورد باختصار المجلس الأول من «مجالس رمضان الوعظية» للعلامة عبدالله خلف الدحيان.

قال رحمه الله تعالى: عباد الله، اعلموا أن هذا الشهر مبارك الليالي والأيام، وصيامه سبب لمحو الذنوب والآثام، وقد فرض الله عليكم صيامه، وأوجب عليكم تعظيمه واحترامه، قال الله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾، هذا بيان من الله تعالى لحكم من الأحكام الشرعية، وهو فريضة الصوم وما فيها من الحكم المرعية، خاطب الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، الذين آمنوا به وبرسوله، تصديقا بقلوبهم، وإقرارا بألسنتهم، وناداهم بالنداء الآكد الأبلغ، تحريكا لهم، وبعثا لهممهم، وتنشيطا لاهتمامهم بما أمرهم به من فرائض دينه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، فيجب عليهم أن يتيقظوا لخطاب الله ويستجيبوا لندائه.

إن الله تعالى أكرم عباده بالتكليف، وخاطبهم بخطاب التشريف، وبشرهم بوعده وأنذرهم بوعيده، وقد قال تعالى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾، أي: هملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يحاسب ولا يعاقب؟ كلا بل إنه مأمور منهي، مجازى على الطاعة، معاقب على المعصية.

وقد خلق الله الجن والإنس ليعبدوه ويوحدوه، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾، فما أرسل تعالى رسله، وأنزل كتبه، وخلق السموات والأرض، إلا ليعرف ويوحد ويعبد، ويكون الدين كله له، والطاعة كلها له، والدعوة له.

قال تعالى ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾، وقال تعالى ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾، وقال تعالى ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾، فأخبر سبحانه وتعالى أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته، ويعبد وحده لا شريك له، وأن يقوم الناس بالقسط في جميع ما كلفهم الشرع، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾، وهو العدل ومن أعظم العدل التوحيد، بل هو رأس العدل وقوامه، كما أن الشرك أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

وقد جعل الله الإنسان- بما وهبه له من الحياة والعقل- أهلا للتكليف، ومحلا لتشريفه بالأمر والنهي، قال تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾، ففي هذه الآية دليل على فضل الحياة والعقل، وأن الإنسان إنما صار صالحا للتكليف بسببهما، وأن السموات والأرض والجبال، وإن كانت أعظم جثة وأشد قوة منه، لكنها لما كانت خالية من الحياة والعقل لم تصلح للتكليف.

فإن قوله تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ من باب التمثيل، أي: قابلنا بين حالها والتكليف، ﴿فأبين أن يحملنها﴾، مع عظمها، أي: فلم نجد

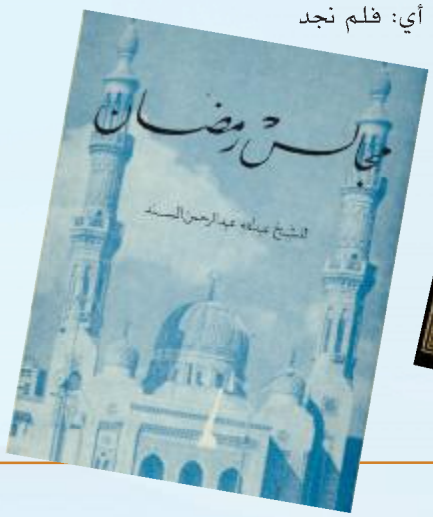

فيها محلا له، ﴿وأشفقن منها﴾، أي: وكن أضعف من ذلك، وأبعد من الصلاح له، لأن خلوها من الحياة والعقل يوجب خلوها من الاختيار، فلا يكون الفعل منها على سبيل التخيير، وقوله تعالى ﴿وحملها الإنسان﴾، أي: كان فيه محل للأمر والنهي، لوجود العقل والحياة فيه، وقوله تعالى: ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾، لم يرد به أنه حملها لأنه كان ظلوما جهولا، لأنه لم يخير في حمل أمانة التكليف، بل ألزمها، وإنما معنى ذلك، أي إنه بعد حملها يجهل موضع حظه، ويظلم نفسه، فيخالف الأمر، ويرتكب النهي، ويعرض نفسه للعقاب، ويحرمها الثواب.

وقد قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، والحسن البصري، وغير واحد: إن الأمانة هي الفرائض، وقال مالك، وزيد بن أسلم: الأمانة ثلاثة: الصلاة، الصوم، والاغتسال من الجنابة، وكل ما جاء في تفسير الأمانة، فإنه يرجع إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي.

وإن صوم رمضان من فرائض دين الله المحتمة، وأمانته التي ائتمن عباده عليها، وأمرهم برعايتها، وهو سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه إلا الله عز وجل، وقد اختار الله تعالى من الشهور شهر رمضان، وجعل صيامه أفضل الصيام، وهو أحد أركان الإسلام، وفي حديث مرفوع أخرجه ابن أبي الدنيا: «لو يعلم العباد ما في رمضان من الأجر والخير، لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها».

وكان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان، كما أخرجه الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه، يقول «قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم».

قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان .

قال معلى بن الفضل: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم، وقال يحيى بن كثير: كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلا.

واعلموا أن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه، ويدل عليه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجلان من بلي، وهي من قضاعة، أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما، وأخر الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: رأيت الجنة، فرأيت المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد فعجبت من ذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال «أليس صام من بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة، وكذا وكذا ركعة صلاة سنة».

وأخرج أحمد والترمذي وصححه، والحاكم عن أبي بكرة رضي الله عنه: أن رجلا قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قال: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله». فيستفاد من هذا فضل الحياة في طاعة الله وأن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا.

أتى رمضان مزرعة العباد
لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولا وفعلا
وزادك فاتخذه إلى المعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها
تأوه نادما يوم الحصاد

من رحم في رمضان فهو المرحوم، ومن لم يتزود لمعاده فهو ملوم.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب
حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما
فلا تصيره أيضا شهر عصيان
واتل القران وسبح فيه مجتهدا
فإنه شهر تسبيح وقرآن
واحمل على جسد ترجو النجاة له
فسوف تضرم أجساد بنيران
كم كنتَ تعرف ممن صام في سلف
ما بين أهل وجيران وإخوانِ
أفناهمُ الموتُ واستبقاك بعدهُم
حيًا فما أقربَ القاصي من الداني
ومعجب بثياب العيد يقطعها
فأصبحت في غد أثوابَ أكفانِ
حتى متى يعمر الإنسانُ مسكنه
مصيرُ مسكنه قبر لإنسانِ

القراءة في صلاة التراويح

جاد الله فرحات

ما إن يأتي شهر رمضان المبارك حتى نبدأ في التساؤل كيف نصلي التراويح والتهجد؟ وماذا نقرأ فيهما؟ هل نقرأ من قصار السور أو من بداية القرآن من سورة البقرة؟ وهل نقرأ من المصحف أو من الحفظ؟ ويثور الخلاف حول الأفضلية.

وهذا البحث يجيب عن هذه التساؤلات:

أولا: هل يجب ختم القرآن في صلاة التراويح في رمضان؟

ثانيا: هل يجوز القراءة من المصحف في الصلاة؟

ثالثا: هل الأفضل للإمام أن يقرأ من حفظه أو من المصحف؟

رابعا: هل يجوز للمأموم متابعة الإمام من المصحف؟

ختم القرآن

في رمضان في صلاة التراويح، فإنه مستحب فقط وليس واجبا وقد اعتاد أئمة الحرمين الشريفين ختم القرآن في صلاة التراويح وكان منذ سنوات عدة يتم ختم القرآن في التهجد في العشر الأواخر وحاليا يكتفي بنصف القرآن في التهجد في العشر الأواخر، ويجوز القراءة بأي قدر من القرآن تصح به الصلاة، وقد ورد في فقه السنة «ليس في القراءة في قيام رمضان شيء مسنون وورد عن السلف انهم كانوا يقرأون بالمائتين ويعتمدون على العصي من طول القيام، ولا ينصرفون إلا قبيل بزوغ الفجر فيستعجلون الخدم بالطعام مخافة أن يطلع عليهم، وكانوا يقومون بسورة البقرة في ثماني ركعات فإذا قرئ بها في اثنتي عشرة ركعة عد ذلك تخفيفاً، قال ابن قدامة: قال أحمد «يقرأ بالقوم في شهر رمضان ما يخف على الناس ولا يشق عليهم، ولاسيما في الليالي القصار» وقال القاضي: لا يستحب النقصان من ختمة في الشهر ليسمع الناس جميع القرآن، ولا يزيد على ختمه كراهية المشقة على من خلفه، والتقدير بحال الناس أولى، فإنه لو اتفق جماعة يرضون بالتطويل كان أفضل، كما قال أبوذر: «قمنا مع النبي ﷺ حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، يعني السحور، وكان القارئ يقرأ بالمئتين».

وروى الإمام مالك في كتابه الموطأ عن داود بن الحصين عن عبدالرحمن الأعرج قال: ما أدركت الناس الا وهم يلعنون الكفر في رمضان قال: وكان القارئ يقوم بسورة البقرة في ثماني ركعات، وإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف.

وروى مالك أيضا عن عبدالله بن أبي بكر أنه قال: سمعت أبي يقول: كنا ننصرف في رمضان من القيام فنستعجل بالسحور مخافة الفجر.

وقال الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير لسيدي أحمد الدردير: يندب للإمام ختم جميع القرآن في التراويح في الشهر كله ليسمعهم جميعه.

وتجزئ سورة في التراويح جميع الشهر، وكذا قراءة سورة في كل ركعة أو كل ركعتين من التراويح كل ليلة في جميع الشهر.

أما اذا كان يحفظ غيرها، أو كان هناك من يحفظ القرآن غيره فهو أحق بالامامة.

قال ابن عرفة فيها لمالك: وليس الختم بسنة، ولربيعة: لو أقيم بسورة أجزأ، وقيل: الختم أحسن، قال أبوالحسن: معناه إذا لم يكن يحفظ إلا هذه السورة، ولم يكن هناك من يحفظ القرآن، أو كان ولا يرضى حاله.

وقال ابن عابدين في حاشيته الدر المختار:

ختم القرآن مرة واحدة سنة، ومرتين فضيلة، وثلاثا أفضل، ولا يترك الختم لكسل القوم.

والأفضل في زماننا هذا قدر ما لا يثقل عليهم.

ففي فضائل رمضان للزاهدي:

أفتى أبو الفضل الكرماني والوبري: أنه اذا قرأ في التراويح الفاتحة وآية أو آيتين لا يكره.

وقال الجزيري- رحمه الله- في كتابه «الفقه على المذاهب الأربعة»: تسن قراءة القرآن بتمامه فيها بحيث يختمه آخر ليلة من الشهر إلا إذا تضرر المقتدون به، فالأفضل أن يراعي حالهم، بشرط ألا يسرع إسراعاً مخلاً بالصلاة، وهذا متفق عليه.

هل يجوز القراءة من المصحف في الصلاة؟

ورد في فقه السنة «باب ما يباح في الصلاة» القراءة من المصحف: فإن ذكوان مولى عائشة كان يؤمها في رمضان

من المصحف، رواه مالك، وهذا مذهب الشافعية - قال النووي: ولو قلب أوراقه أحياناً في صلاته لم تبطل ولو نظر في مكتوب غير القرآن وردد ما فيه في نفسه لم تبطل صلاته وإن طال، لكن يكره. نص عليه الشافعي في الإملاء.

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في كتاب الأذان:

«باب إمامة العبد والمولى، وكانت عائشة يؤمها عبدها ذكوان من المصحف» ا. هـ.

هكذا ساقه الإمام البخاري رحمه الله معلقاً (أي دون ذكر سنده فيه).

وقد بوب الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في كتابه العظيم «المصنف» باباً «في الرجل يؤم القوم وهو يقرأ في المصحف» وساق فيه الآثار الآتية:

٧٢١٤- عن أيوب قال: كان لا يرى بأساً أن يؤم الرجل القوم يقرأ في المصحف.

٧٢١٥- عن القاسم يقول: كان يؤم عائشة عبد يقرأ في المصحف.

٧٢١٦- أثر هشام بن عروة عن أبي بكر بن أبي مليكة، وقد تقدم.

٧٢١٧- أثر ابن سيرين عن عائشة بنة طلحة أنها كانت تأمر غلاما أو إنساناً يقرأ في المصحف يؤمها في رمضان.

٧٢١٨- أثر شعبة عن الحكم في الرجل يؤم في رمضان يقرأ في المصحف: رخص فيه.

٧٢١٩- عن الحسن ومحمد قالا: لا بأس به.

٧٢٢٠- عن عطاء قال: لا بأس به.

٧٢٢١- عن الحسن قال: لا بأس أن يؤم في المصحف إذا لم يجد، يعني من يقرأ ظاهراً.

٧٢٢٢- أثر ثابت البناني قال: كان أنس يصلي وغلامه يمسك المصحف خلفه، فإذا تعايا في آية فتح عليه.

ثم بوب رحمه الله باباً في «من كرهه» وساق فيه:

٧٢٢٣- أثر سليمان بن حنظلة البكري أنه مر على رجل يؤم قوما في المصحف فضربه برجله.

٧٢٢٤- أثر عطاء عن أبي عبد الرحمن أنه كره أن يؤم في المصحف.

٧٢٢٥- أثر الأعمش عن إبراهيم أنه كره أن يؤم الرجل في المصحف، كراهة أن يتشبهوا بأهل الكتاب.

٧٢٢٦- أثر إبراهيم أيضاً، قال: كانوا يكرهون أن يؤم الرجل وهو يقرأ في المصحف.

٧٢٢٧- أثر ليث عن مجاهد أنه كان يكره أن يؤم الرجل في المصحف.

٧٢٢٨- أثر قتادة عن سعيد بن المسيب قال: إذا كان معه من يقرأ رددوه ولم يؤم في المصحف.

٧٢٢٩- أثر الحسن أنه كرهه، وقال: هكذا يفعل النصارى.

٧٢٣٠- أثر شعبة عن حماد وقتادة في رجل يؤم القوم في رمضان في المصحف فكرهه.

٧٢٣١- أثر إسرائيل عن جابر عن عامر، قال لا يؤم في المصحف.

مذاهب الأئمة وأقوال العلماء

■ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في فتح الباري: وإلى صحة إمامة العبد ذهب الجمهور، وخالف مالك فقال: لا يؤم الأحرار إلا إن كان قارئا وهم لا يقرأون فيؤمهم، إلا في الجمعة لأنها لا تجب عليه وخالفه أشهب، واحتج بأنها تجزئه إذا حضرها.

ثم قال الحافظ:

قوله «في المصحف، استدل به على جواز قراءة المصلي من المصحف، ومنع منه آخرون، لكونه عملاً كثيراً في الصلاة» أ هـ.

■ وعلق العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز على هذا بقوله: «الصواب: الجواز، كما فعلت عائشة رضي الله عنها، لأن الحاجة قد تدعو إليه، والعمل الكثير إذا كان لحاجة ولم يتوال لم يضر الصلاة: لحمله ﷺ أمامة بنت زينب في الصلاة، وتقدمه وتأخره في صلاة الكسوف، ولأدلة مدونة في موضوعها والله أعلم» أ هـ.

تنبيه

عائشة كانت تفعل هذا بحضور عدد من الصحابة معها، ولم ينقل لنا- فيما اطلعت عليه- أن أحدا أنكر عليها أو عليهم، فاحفظ هذا.

■ وقد قال بجواز القراءة من المصحف في الصلاة جمع من الأئمة، منهم ابن سيرين، والحسن البصري في رواية عنه، والحكم وعطاء، وشيخ المحدثين والتابعين ابن شهاب الزهري.

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يصلي وغلام خلفه يمسك المصحف، وإذا تعايا في آية فتح عليه من المصحف.

■ وأجاز الإمام مالك القراءة من المصحف في قيام رمضان، وفي «المدونة» قال ابن وهب: قال ابن شهاب «كان خيارنا يقرأون في المصاحف في رمضان، وقال مالك والليث مثله» أ هـ.

■ وجوز الإمام الشافعي والإمام أحمد- في رواية عنه- القراءة في المصحف مطلقاً فرضاً ونفلاً.

■ وأما الإمام مالك، والإمام أحمد- في رواية اخرى- فقد جوزا ذلك في النوافل فقط.

■ وأما الإمام أبوحنيفة - رحمه الله تعالى- فقد منع من القراءة في المصحف في الصلاة: فرضاً أو نفلاً، لأنه عمل كثير عنده، وتفصيل مذهبه تجده في «بدائع الصنائع» للإمام الكاساني رحمه الله تعالى.

ويمكن أن يجاب عن ذلك بالآتي:

١- العمل الكثير في الصلاة، إذا كان لحاجة جاز ما لم يتوال، كما تقدم عن الشيخ ابن باز.

٢- العمل اذا كان لصالح الصلاة جاز، كإتمام الصفوف إذا تخللها فراغ ونحو ذلك.

الشافعي وأحمد جوّزا القراءة في المصحف مطلقاً فرضاً ونفلاً

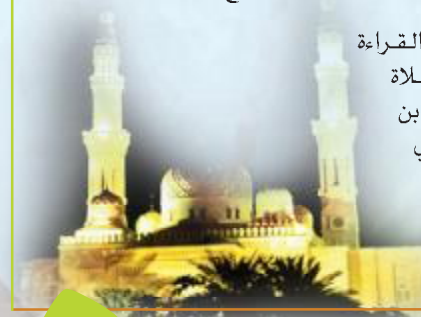

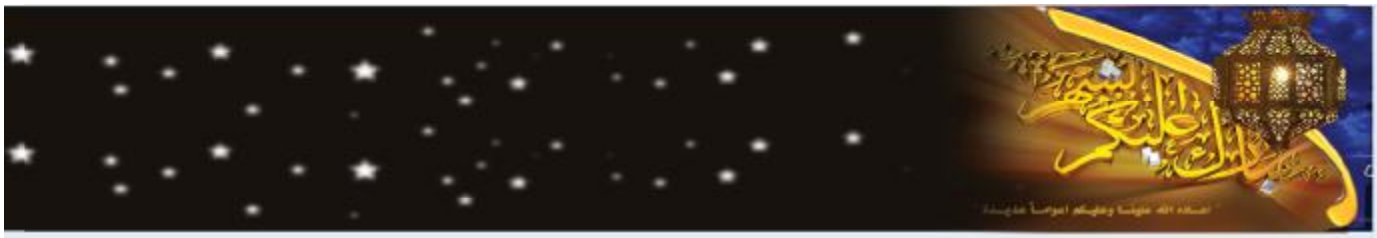

٣- كان هذا في السابق قبل اختراع المطابع وطبع المصاحف الصغيرة الحجم، الخفيفة الوزن مما سهل حملها والقراءة منها، دون تكلف، أو كثرة حركة. والله أعلم.

وللفقهاء في مسألتنا هذه ثلاثة أقوال:

الأول: المنع مطلقا في الفرض والنفل، وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وابن حزم الظاهري.

الثاني: الجواز مطلقا في الفرض والنفل، وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى، وابن حامد، من الحنابلة.

الثالث: الجواز في النوافل، والكراهية في الفرض، وهو قول الإمام مالك، ورواية عن الإمام أحمد.

ولعل القول الثالث هو الأولى والأصلح، لأن الفرض لا يحتاج- عادة- الى ذلك، كما قال الشيخ الموفق ابن قدامة رحمه الله تعالى، بخلاف النوافل حيث يحتاج الناس فيها الى القيام الطويل، وسماع القرآن، وقد لا يتيسر لهم وجود الحافظ المجود.

والنوافل يتجاوز فيها ما لا يتجاوز في الفرائض، كما هو مقرر ومعروف

- فصلاة النافلة يجوز أداؤها من قعود مع القدرة على القيام، ويجوز أن نصلي ركعة قياما وركعة قعودا.

- ويجوز أن يصلي على الدابة من غير عذر مطر أو حاجة، بل كان ﷺ يصلي النوافل في السفر على راحلته حيث توجهت به، أي دون اشتراط استقبال القبلة، وهذا- وما تقدم كله- لا يجوز في صلاة الفريضة الا بأعذار مشروطة.

■ ومن أمثلة ذلك في غير الصلاة، تبييت النية قبل الفجر في صيام الفريضة، واجب لا يصح الصوم الا به، وفي صوم التطوع ليس بواجب، وصائم التطوع يجوز له أن يفطر متى شاء ولا يتم صومه، ولا إثم عليه ولا قضاء، وأما صائم الفرض فليس له ذلك، وإن أفطر أثم وعليه القضاء.

وكل هذا ثابت في موضعه بالأحاديث الصحيحة المشهورة.

■ فيعلم مما تقدم- ومن غيره- أن الشارع الحكيم تساهل في شروط النوافل، وكيفيات أدائها، تيسيرا للمؤمنين، وتشجيعا وتسهيلا لهم، للمواظبة عليها والسعي الدائم إليها.

وقراءة القرآن في المصحف في النوافل - ومنها التراويح والقيام- من هذا الباب، وهذا واضح والحمد لله.

لا خلاف أن الأفضل القراءة من الحفظ

ولنعلم جميعا أن المؤمنين تتفاوت درجاتهم يوم القيامة في الجنة- علوا ورفعة- على قدر حفظهم لكتاب الله، يقال للحافظ: «اقرأ وارق» فلا يزال يرقى حتى يقف عند منتهى حفظه، كما ثبت في الحديث الصحيح.

■ ومما يؤسف له، ويضيق به الصدر، ترك شباب المسلمين حفظ كتاب الله تعالى، وعدم اهتمامهم به ورغبتهم عنه، وإهمال ذلك في المدارس الرسمية، الا قليلا لا يروي الغليل، ولا يشفي العليل!

مما يؤسف له ويضيق به الصدر ترك شباب المسلمين حفظ كتاب الله تعالى وعدم اهتمامهم به ورغبتهم عنه

مع أن الحفظ- كما هو معلوم- لا يثبت ولا يرسخ الا في الصغر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

■ ومن العار أن يعرض العرب، وهم أهل اللسان القرآني العربي المبين، عن حفظ كتاب الله، بينما يحفظه أطفال غير العرب من المسلمين، ويكابدون المشاق في النطق العربي، دون أن يعرفوا معناه!! ولاشك أن هذا من حفظ الله تعالى لكتابه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

وقال تعالى ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (محمد: ٣٨).

وأقول: ومع ذلك فقد نحتاج أحياناً الى القراءة من المصاحف في صلاة التراويح ونحوها من النوافل لأسباب متعددة، منها: عدم وجود الحافظ، فلا نضيع أجر القيام والتلاوة، وما لا يدرك كله لا يترك جله، وقد يوجد الحافظ ولكنه غير متقن للتلاوة وأصول التجويد، وغيره أتقن أداء، وأصح ضبطا وأفصح وأعذب صوتا، وأخشع صلاة، فيجوز في هذه الحالة- تقديمه على الحافظ- لمصلحة الصلاة والمصلين، والعبرة بالخشوع والخضوع، قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون: ١-٢).

هل يجوز للمأموم متابعة الإمام من المصحف في صلاة التراويح؟

سئل الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - عن ذلك فأجاب بقوله: «لا أعلم لهذا أصلا والأظهر: أن يخشع ويطمئن ولا يأخذ مصحفا بل يضع يمينه على شماله كما هي السنة (يضع يده اليمنى على كفه اليسرى الرسغ والساعد ويضعهما على صدره) هذا هو الأرجح والأفضل وأخذ المصحف يشغله عن هذه السنن، ثم قد يشغل قلبه وبصره في مراجعة الصفحات والآيات عن سماع الإمام، فالذي أرى أن ترك ذلك هو السنة وأن يستمع وينصت ولا يستعمل المصحف فإن كان عنده علم فتح على إمامه وإلا فتح غيره من الناس، ثم لو قدر أن الإمام غلط ولم يفتح عليه ما ضر ذلك في غير الفاتحة إنما يضر في الفاتحة خاصة لأن الفاتحة ركن لابد منها أما لو ترك بعض الآيات من غير الفاتحة ما ضره ذلك اذا لم يكن وراءه من ينبهه ولو كان واحد يحمل المصحف ويفتح على الإمام عند الحاجة فلعل هذا لا بأس به أما أن كل واحد يأخذ مصحفا فهذا خلاف السنة».

المراجع

١- فقه السنة للشيخ سيد سابق.
٢- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن ابي شيبة، طبعة دار الكتب العلمية ج٢.
٣- فقه الصوم وفضل رمضان، د. سيد العفاني، ج٣.
٤- الفقه على المذاهب الأربعة.
٥- رسالة في حكم القراءة من المصحف في الصلاة للشيخ نظام بن محمد بن صالح يعقوبي.

شهر القرآن

د.ياسر إبراهيم المزروعي

كان الناس في الأزمنة القديمة يجلون الأشهر الهجرية ويحرصون على تحري دخولها ليغنموا ما في الأيام والليالي التي ورد فيها من الفضائل التي وردت في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، ومن هذه الأشهر شهر رمضان المكرم الذي كانوا يستعدون لاستقباله ويعدون الأيام والليالي التي قبله حتى يغنموا ما فيه من الأجر وقبل أن يأتيهم يكونون له على أتم استعداد ولأعمالهم الصالحة متهيئون، فما إن يدخل الشهر إلا وتجد كلا منهم مغتنما لهذه الفرصة ومداوما على طاعة، ويكثر من الطاعات اغتناما لرحمة ومغفرة وعتق رب العالمين له، فليس للغوي عندهم مجال، ولا للغيبة عندهم مكان، بل كلهم حرص على اغتنام هذه الأوقات الثمينة، والتي يعدونها مضمار التزود للآخرة، وتحصيلا لثواب الدنيا قبل الآخرة، ورمضان محطة السنة التي يتزود فيها استعدادا لأعباء السنة بأكملها.

أما الآن فأصبح شهر رمضان مثله كمثل أي شهر آخر، لا يتغير فيه إلا أوقات الوجبات بالنسبة للبعض، وأصبح الناس في غفلة عما خلقوا له، من عبادة ربهم والإخلاص له، وكثرة التزود له بالعبادة، وشكره على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، وبسبب بعد الناس وهجرهم لكتاب الله ظهرت في وقتنا الحالي أمراض لم يكن يسمع بها فيما مضى من الأزمنة، وكثرت عندنا العيادات النفسية التي يتكرر عليها الناس لعلاج أنفسهم، وعلاجهم بين أيديهم وهو كتاب الله تعالى، ومفهوم ما قلناه في كتاب الله هو قوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾، وقال تعالى ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾، وقال تعالى ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾ وقال تعالى ﴿نسوا الله فنسيهم﴾.

إن الإعراض والتخلي عن كتاب الله وقراءته يعرض الشخص المسلم إلى هجر القرآن له، فإن أتى يقرأه يجد نفسه تضيق ولا يرتاح، ويود أن يقف عن القراءة، وهذا شيء مجرب، فمن يحصل له هذا الأمر فليعلم أن القرآن قد هجره، وعلاجه مداومته على قراءته والصلاة مع الجماعة لاستماع القرآن يتلى، والتفكر فيما يتلى عليه وتطبيقه قدر المستطاع، والابتعاد عن ملهيات الدنيا والتزود للآخرة التي هي دار القرار.

وندعو أهل القرآن وكل مسلم يعتز بدينه إلى أن يلتفتوا نحو كتاب ربهم الذي هو خطاب الله لنا، وبين أيدينا، ويرجعوا إليه، لتكون ثمرة هذا الشهر رجوعنا إليه للتفكر فيما منحنا الله من هدية وهداية في أمور دنيانا وآخرتنا، فمن أراد منا الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالقرآن.

وللقرآن آداب ينبغي التحلي بها وهي الطهارة معه على كل حال، ولا بأس بقراءة القرآن عن ظهر قلب من غير طهارة الأعضاء، بحيث لا يكون جنبا ولا تكون حائضا أو نفساء، وأن يحرص على أن ينظف فمه قبل القراءة، وأن يستقبل القبلة أثناء قراءته، وأن يكون ساتر العورة، وألا يمد رجله إلى القبلة أو إلى المصحف حال جلوسه مستقبل القبلة، فإن كانت به علة مدهما لكن عليه أن يشرق أو يغرب فى مد رجليه، وألا يضع المصحف على الأرض، بل يحاول قدر المستطاع أن يجله ويرفع قدره، وإذا مرت به آية سجدة سن السجود لها على الكيفية المعروفة، إن لم يكن وقت نهي، فإن كان وقت نهي أو لم يرد السجود لها قال «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، وألا يكثر الكلام الدنيوي أثناء قراءته للقرآن، وكذا الكلام الجانبي، ولا بأس إن أراد أن يثوب هذه القراءة لحي أو ميت من أقاربه أو صديقه، بحيث ينوي الثواب له عند ابتداء القراءة ليصل له كل حرف يقرأه له، كما يسن له عند الابتداء الاستعاذة والبسملة إن كان ابتداؤه من أول السورة، وإن كان من منتصفها استعاذ وابتدأ القراءة، وله الخيار في أن يبسمل في منتصفها أو لا، وإذا انتهى من القراءة صدق عليها كما ابتدأ بالبسملة، حيث يقول «صدق الله العظيم»، كما يسن له عند ختم القرآن أن يدعو الله بأحب الدعاء له ويطلب منه ما يتمناه لأنه موضع إجابة للدعاء، لما نص عليه حديث النبي ﷺ «عند كل ختمة دعوة مستجابة».

وما أحسن ما قاله إمامنا العلامة إبراهيم علي شحاتة السمنودي رحمه الله في شهر الصوم:

أهلا بشهر الإنابة ... والدعوة المستجابة
أهلا بخير طبيب ... يشفي النفوس المصابة
أهلا بأكرم ضيف ... قد استطلنا غيابه
قد أنزل الله فيه ... على العباد كتابه
هديا ونورا أمانا ... لذي الحنون صوابه
أهلا بأفضل شهر ... لسنا نحد ثوابه
ما فيك عيب ولكن ... في مفطريك الكآبة
ما فيك جوع ولكن ... عطف وشبه قرابة
إن جاع فيك غني ... أعطى الفقير طلابه

رئيس لجنة مراجعة المصاحف بوزارة الأوقاف

الشهر الماثل بالمغفرة

إن كان هناك شهر لا تنتهي نشوته، ولا تنفد بهجته، ولا يبلى الوجد عنده فهو شهر رمضان.. إن أيام شهر رمضان ولياليها التي تقدّم لنا بأعذب لغة لُباب وجوهر جميع المواسم والشهور العطرة للسنة وروحها ومعناها الحقيقي، وما يترشح منها من عصارة، تحيط كل لحظة القلوب بعذوبة وسعادة وبهجة لا مثيل لها، وتحتضنها بحنان وشفقة، وتربت عليها بكل محبة، وتستجيشها بأشواق الحياة.

فتح الله كولن

إن أيام رمضان في كل أرجاء العالم ولاسيما في البلدان الإسلامية وبين المسلمين، وبالأخص في دنيانا وفي جونا وعالمنا تكون مركزا لكل الاهتمامات، وميدانا لجميع الأذواق الروحية، ومسرحا لجميع العواطف الجياشة، وعمودا حلزونيا من النور للتسامي، وفرصة لتطوير كل الخصائص الإنسانية وتوسعتها وتطوير مزاياها.

إن أيام شهر رمضان الذي يطلع كل نهار فيه وكل ليل بمشاعر مختلفة تمس القلوب بروح جديدة، وبرفق قبل الرحيل، وتجمع أشتات المجتمع وتلملمها في بوتقة واحدة، وتفتح طريق الجماعة أمام المنزوين، وتزيل الغربة عن قلوبهم، وتقدم للجميع وليمة فكر ومشاعر مختلفة الأبعاد، وتهيئهم للحياة من جديد.

يتضمخ كل شيء في شهر رمضان بالعطر والنور.. بدءا من الكتابات بين مآذن الجوامع (١) إلى القناديل الموجودة على يمين وعلى يسار الطرق المؤدية إلى المساجد، إلى مصابيح بيوتنا، إلى الطهر البادي في وجوه المؤمنين، إلى النور في القلوب، أما أوقات السحور التي تهب عليها نسائم السحر في هذه الأيام التي يسترجع فيها الدين شبابه، والإفطار الذي يكون مظهرا لألطاف سرية، فهي أوقات ذات طعم وذات ضياء خاص ولهجة خاصة تخالط القلوب، ولا يصل إلى مرتبة هذه السعادة سوى العاشق الذي يطير بأجنحة أمل الوصال، كأنه كان هناك ستار بين الإنسان وبين شوقه إلى اللانهاية حتى مجيء شهر رمضان، وكأن هذا الستار ينفرج بالصوم، وكأن العشق والشوق اللذين كانا في غفوة في ركن من أركان القلب حتى تلك اللحظة يستيقظان فجأة، ويفوران ويستوليان على كيان الإنسان، وينقلبان إلى رغبة لا تقاوم في الوصال، وفي سبيل تحقيق هذه الرغبة المقدسة يحاول الإنسان اغتنام التجليات التي تهب في أوقات السحر، وتقييم أوقات الصلوات التي هي منافذ تنتظر الإنسان لمشاهدة آفاق وراء أفق هذه الدنيا، وفي صلوات التراويح تفور المشاعر وتتصاعد بالروح والريحان، وتعب الأرواح من النفحات الإلهية كؤوسا بعد كؤوس، فإذا بكل واحد- كل حسب درجته - قد انقلب إلى شخص أخروي، واقترب من طهر الملائكة.

لا يوجد شهر آخر مليء بالقرآن، يكون ليله بهذا النور ونهاره بهذا الضياء المضمخ بالعطر

ونظرا لكون شهر رمضان شهر القرآن يجد الإنسان- حتى الذي ابتعد عن القرآن طوال السنة- نفسه الظامئة في الجو النوراني للقرآن.. عند ذلك تنهمر عليه المعاني والأسرار القرآنية وألطافها، وتسقي كل وديان نفسه وروحه التي أوشكت أن تجف وتيبس، وتقلب عالم قلوبهم من أدناها إلى أقصاها إلى بساتين وحدائق زهور وورود، وتبعث فيهم فرحة الوجود، وتجعلهم يسمعون بالقرآن كل عالم الوجود ويحسون به، فيرتفعون بهذه الأحاسيس والأفكار ويسمون.. يحسون بأن الوجود كله والخلق كله يتنفس بالقرآن، فيرتجفون ويرتعشون ويكادون يغيبون عن أنفسهم، وفي أحيان كثيرة تنهمر دموعهم على خدودهم، ويشعرون بأن الستار يرتفع، وأنهم أصبحوا أقرب إلى مولاهم وخالقهم من كل قريب، فيحسون بلذة لا يستطيعون وصفها.

إن فهم المحتويات اللدنية للقرآن لا يتيسر إلا لمن يسمع في القرآن صوت الوجود كله، ويستمع في أعماقه إلى كل موسيقى روح الإنسان من خوف وأمل، ومن حزن وفرح، ومن غم وبهجة، والأرواح السامية

المتجاوزة للزمن التي تستمع إلى القرآن وكأنه أنزل عليها تجد فيه لذة فواكه الجنة وألوان وجمال حدائق الفردوس، وأنهار وشلالات سفوح الريّان ومناظرها، فتتوحد وتنساب معها، وأصحاب القلوب الصافية الذين ينكبون على القرآن في الأيام الشفافة لشهر رمضان، وبمقاييس القلب المملوء توقيرا واحتراما، وينزلون إلى أعماقه، يصلون كل لحظة إلى قيمة مختلفة من قيم الآخرة، ويتعرفون في كل آن على بعد آخر من أبعاد البقاء.. المادة في فكر هؤلاء وفي حياتهم تكمل ما وراء المادة، ويكون المعنى هو المحتوى الحقيقي للمادة وقيمتها، ويظهر كل شيء بقيمته المتخفية وراء الأستار.. ترى في أوجه هؤلاء- لكونهم متهيئين لاستقبال تجليات الأسماء الإلهية وصفاتها- قابلية خفية للحدس، وفهما متميزا وفريدا، ونضجا وكمالا متأتيا من امتزاجه بالقرآن والبكاء عند تلاوته، وارتباطه بالآخرة، وصفاءً وغنى وصدقا وإخلاصا ولطافة مزينة بالأذواق الذهبية للإيمان، وجاذبية وسحرا ومروءة وشهامة، وحتى لو لم ينطق هؤلاء أو يتكلموا فإن هذه المعاني تبدو وتظهر وتطفح على السطح من سلوكهم وتصرفاتهم وأطوارهم ونظراتهم وتنعكس وتجد صداها فيما حواليهم.

لا يوجد شهر آخر مليء بالقرآن، يكون ليله بهذا النور، ونهاره بهذا الضياء المضمخ بعطر القرآن، والإنسان في كل شهر رمضان جديد يرى من جديد نضارة القرآن ونبعه الآتي من وراء السموات، وما يحويه من

جمال شهر رمضان ونورانيته في العيون المتفتحة يجدان صداهما ضمن أطياف معينة وبدرجات مختلفة

زينة المعارف الإلهية، وإشاراته المنبثة في أرجاء الكون وأرجاء المكان، فيفور عنده العشق الإلهي، ويرى ويسمع ويحدث آثاره التي تبرق في وجوه المؤمنين به. أجل! ففي شهر رمضان يبرق القرآن ويلتمع في هذه الوجوه المضيئة التي نحتها القدر، وفي هذه العيون التي تبرق بأعمق المعاني المتعلقة بالآخرة، ونرى الجميع رجالا ونساء.. شيوخا وشبابا.. فقراء وأغنياء.. عامة الناس وخاصتهم.. علماء وأميين.. نراهم وقد أخذوا- من ناحية طراز المعيشة والحياة- نصيبهم من هذا الجزء من الشريط الزمني فامتزجوا بشهر رمضان وتشربوه وتنفسوا به.

أجل! كل إنسان- حسب قابليته واستعداده- يصعد به إلى بعد آخر، ويتخلص من العديد من الرذائل التي تحط من قيمة الإنسان، ويتطهر من الأدناس والأوساخ المعنوية، ويزداد نورا ويكون أهلا للجنة.. إن شهر رمضان بيُمْنه وبركته غنيّ إلى درجة أن كل من يلتجئ إلى ظله يستفيد من ثروته وغناه، ويستطيع الوصول إلى سلطنة الآخرة شابا كان أم شيخا.. مؤمنا قويا كان أم واهنا.. ذكيا كان أم أحمق.. عاقلا كان أم مجنونا.. عارفا بما وراء الأستار أم جاهلا به.. مؤهلا كان للعمل أم غير مؤهل.. مُوَسوِسا كان أم مقداما لا يبالي بشيء.. مخلوقا لكي يكون حاكما وزعيما، أم مخلوقا تابعا ومحكوما.. صامدا كان أمام جميع المصاعب، أم فَرقاً يسقط من أول هزة.. متشائما يئنّ طوال حياته أم محتفظا بأمله حتى وهو في جهنم.. طُفيْليا كان ومعتمدا على الآخرين طوال عمره أم صاحب إرادة لا يفلّها الحديد أمام جميع المصاعب والهموم.. أم إنسانا خطط حياته للأكل والشرب والنوم والراحة والكسل فقط. أجل! كل هذه الأصناف المختلفة بعضها عن بعض لابد أن يستفيدوا من الجو النوراني لشهر رمضان، وإن كانت الاستفادة بمقاييس ودرجات مختلفة، ويتغير شيء فيهم كل حسب حاله ويتميزوا، حتى يصلوا إلى حال وإلى مرتبة أخرى.

إن جمال شهر رمضان ونورانيته في العيون المتفتحة لهذا النور، وعظمة معنى الوجود التي يحتويها، تجد صداها السري ضمن أطياف معينة وبدرجات مختلفة على هذه المجموعات المختلفة، بروح وطعم وجو ومعنى خاص بهذا الشهر، وتسري في القلوب سريانا لا تستطيع أكثر الرؤوس عنادا أن تقاومه، بل تستسلم له.

ليالي شهر رمضان التي تلف بأسرارها كل شيء تكون مؤنسة وحلوة، ونهاره الذي يحتضن مشاعر الإنسان وأفكاره بلطف وحلاوة يكون دافئا وحريري الملمس.. تكون الصدور المؤمنة فوارة بالمشاعر العميقة.. والأصوات الداعية إلى الله تتضح بالحنان.. والمعاني التي تعبر عن كل هذا مؤثرة إلى درجة أن الذين يستطيعون فتح صدورهم وقلوبهم لشهر الغفران هذا يبتعدون- ولو بشكل مؤقت- عن القلق والهموم ويشعرون بسعادة الجنة.

(١) في أيام شهر رمضان يقوم كل جامع في المدن الكبرى في تركيا بكتابة عبارات الترحيب بالمصابيح الملونة بهذا الشهر بين المآذن. (المترجم).

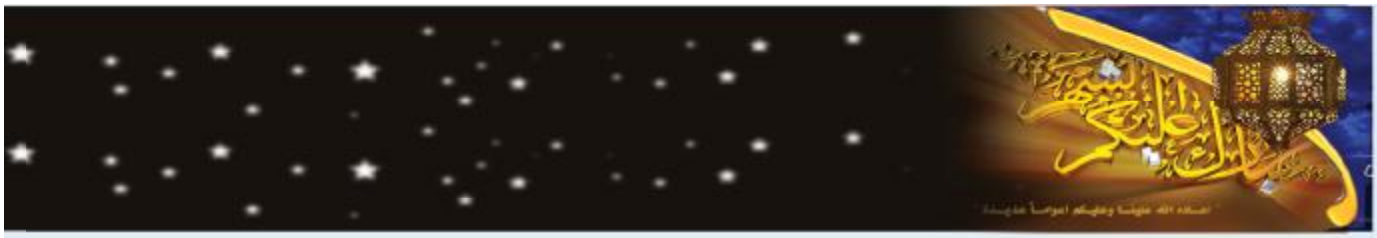

الصيام.. مدرسة التغيير للمجتمع

د.صلاح سلطان

إن مشوار الإصلاح والتغيير يبدأ بالنفس لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) والحق أنها هي الأصعب حيث استطاع إنسان القرن الحادي والعشرين أن يملك ما حوله لكنه فقد السيطرة على نفسه، يضغط على زر فتفتح له الأبواب للبيوت والسيارات، أو تفتح عينه على الفضائيات والبلاد والعباد عبر البحار والمحيطات على الإنترنت والتلفونات، لكنه ينهار أمام الشره على الطعام أو السعار على الجنس أو الحماقة في الغضب، أو البذاءة والثرثرة في اللسان، والصيام يعين الفرد على تجاوز هذا الضعف أمام هوى النفس التي قال عنها ربنا سبحانه ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف: ٥٣) أو التي قال عنها سفيان الثوري «ما عالجت أمرا أشد عليَّ من نفسي»، وقال عنها الحسن البصري «ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام من نفسك».

إن كبسولة الصيام تعالج في الفرد الروح والخلق والعقل والجسد في آن واحد على النحو التالي:

كبسولة الصيام وعلاج قسوة القلوب وجفاف الروح

إن التجرد بالصيام لله سر بين العبد وربه، ويعلمه أن يكون باطنه خيرا من ظاهره، وقراءةَ القرآن وطول الصلاة والقيام، ومضاعفة الحسنات، فالفريضة فيه بسبعين فريضة والنافلة بأجر الفريضة، والأذكارَ والدعاء والقنوت في أجواء مهيأة من تقييد مردة الشياطين، ونزول الرحمات، وتجول الملائكة، ووجود المسلم بين إخوانه، أو المسلمة بين أخواتها، الذين تتبع منهم كل أفعال الخير، هذا كله يجعل الروح تأخذ قسطها الوافي من العلاج الشافي من أمراض قسوة القلوب، وجفاف الروح، وجمود العين عن البكاء، وقصور اليد عن التضرع والدعاء، وخمول اللسان عن الذكر والثناء، ليتحول الفرد شابا وفتاة، رجلا وامرأة، حاكما ومحكوما، صغيرا وكبيرا إلى أشباه الملائكة في نورانية القلب بحب الله، وخشيته في السر والعلن، والتلذذ بذكره في الليل والنهار والأسحار، وهذه مفاتيح طمأنينة القلب وهدوء النفس، وانشراح الصدر لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

الصيام يضبط اللسان فيشغله بالذكر والقرآن عن الغيبة والبهتان

كبسولة الصيام وعلاج دنايا الأخلاق

إن الشهوات الأربع في كل إنسان هي لعمارة الأرض، واستمرار النسل، وبقاء القيم لكن بشرط الاعتدال في استعمالها، لكن ثوران شهوات البطن والفرج والغضب والكلام كفيلة بتحطيم الإنسان لنفسه وأسرته ومجتمعه وعالمه، والصيام مدرسة تربوية رائعة تضع لجاما اختياريا على هذه الشهوات الأربع في وقت واحد، فالصيام من الفجر إلى المغرب يخرج بالإنسان عن عادات الإسراف في الحلال، أو الولوغ في الحرام مثل التدخين والسكر والإدمان إلى الاعتدال في الطعام والشراب، والتوقف عن الحرام والشبهات كما يكسر من غلو شهوة الجنس التي تهتك الأعراض، وتدمر الأخلاق، وتفشي الرذائل والأمراض، ليكون الصيام وجاء لهذه الشهوات الجامحة، ويرفع الإنسان من خسة الحرام إلى عفة الحلال، كما تنقل الإنسان من ثورة الغضب على النقير والقطمير فيفقد الأصدقاء، ويقطع الأرحام، ويعق الآباء والأمهات، ويوقع الطلاق والشقاق، ليكون بالصيام الحليمَ الصبور، والهادئ الوقور، فإن استفزه أحدٌ قال «إني صائم» مرتين، ليوفر غضبه لله تعالى، والغيرة على محارمه ومقدساته، وليس انتقاما للنفس وانتصارا لشهواته، كما يضبط الصيام لسان كل إنسان صائم للرحمن فيشغله بالذكر والقرآن عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، فيعرف المسلم بين الناس بطيب الكلام ورفيع المقال، ويكون أهلا لرضى الله والجنة لما رواه مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت أن النبي (قال «اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، أوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واصدقوا إذا حدثتم، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا أيدكم».

كبسولة الصيام وعلاج جمود العقل

حقا «إن البطنة تذهب الفطنة» فكثرة الطعام تستوجب ذهاب أكثر الدم من الدماغ إلى البطن لتهضم الفضل من الطعام الزائد، وهنا يسترخي العقل أو ينام، فيحرم الإنسان من حب العلم والتعلم، والفكر والتدبر، والاختراع والإبداع، وما الحضارات الفذة إلا أفكار رائدة من عقل راشدٍ لا هامدٍ، يعمل

المستشار الشرعي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالبحرين

ولا يكسل، ويفكر ولا يفتر، هكذا العقل هو مناط التكليف كما أن القلب مناط التكريم، ولذا روي عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله «إن أول ما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: فبعزتي وجلالي بك أعاقب وبك أثيب».

كبسولة الصيام وعلاج أمراض الجسد

إن شهوة الطعام بغير لجام الصيام يجعل الفرد يصاب بأخطر الأمراض ومنها الجلطة وضغط الدم والسكري والسرطان وقرحة المعدة والأمعاء والتهاب القولون والمرارة والمفاصل والحصوات والبروستاتا والنقرس والأملاح والحساسية والحكة والغازات الكريهة كما أن عادات التدخين والشيشة التي ابتلي بها الملايين تحرم هؤلاء من طيب الفم، وصحة الجسم، فهي أكبر مسببات السرطان والسل والالتهاب الرئوي والضعف الجنسي كما تؤثر سلباً على الإنتاج والاقتصاد، وشهوة الجنس بغير لجام الصيام تصيب الجسد بالإيدز والسل والسيلان والتقيح في الفروج والأبدان، وشهوة الغضب تؤدي إلى التوتر العصبي، والاعتداء على الغير فتجرح أو تبتر بعض الجسد أو تنتهي بالقتل العمد أو العدوان، لكن كبسولة الصيام وقاية وحماية وعلاج وشفاء من كل هذه الأمراض التي تحول الإنسان إلى العفيف الشريف، القوي الفتي، الهمام النشيط وليس الكسول الرخيّ أو الخسيس الدنيّ، ولعل صيام رمضان فرصة لاستعادة الثقة في أننا نحمل فطرة نقية وعزيمة قوية على ترك عادات الأكل الكثير أو التدخين، فمن صبر اثنتي عشرة

مدرسة الصيام تصنع المسلم والمسلمة صاحب القلب التقي والخلق النقي والعقل الذكي والجسد الفتي

ساعة يمكنه بلا شك الصبر بقية الليل إن استحضر في هذا الشهر الكريم ثقته في نفسه، ودعا ربه أن يعينه على نفسه قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وهكذا تصنع مدرسة الصيام المسلم والمسلمة صاحب القلب التقي، والخلق النقي، والعقل الذكي، والجسد الفتي، وهذا لعمري مفتاح كل رقيّ.

الصيام مدرسة التغيير لإصلاح المجتمع

يحدث الصيام سلاما اجتماعيا كبيرا لا نظير له في أي مجتمع آخر، ويتجلى ذلك فيما يلي:

١- في رمضان تصفد مردة الشياطين، وتنادي ملائكة الرحمن «يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر» كما ورد عن النبي ﷺ، فتجد المساجد ملأى، والصدقات تتزايد، والأرحام تتزاور، ومع الصيام والقيام والذكر والدعاء تهدأ النفوس ويشيع الهدوء والسلام والعفو والتسامح والغفران بين أبناء المجتمع الإسلامي، فإن ظهر مستفز يقابله جاره أو صديقه أو قريبه بقوله «إني صائم» مرتين، لأنه مشغول بالله عن الخصام، هذب الصيام شهوة الغضب فلم تعد هادرة فتاكة لبنيان المجتمع.

٢- في رمضان يرغب كل مسلم في إطعام الطعام وإفشاء السلام، هذا مع شعيرة القيام، وهي السلالم إلى الجنان كما أخبر نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، وإطعام الطعام يتنوع بين دعوة ذوي الأرحام والأهل والأقارب والأصدقاء والجيران مسلمين وغير مسلمين كي يتناولوا جميعا طعام الإفطار مما يساهم بقوة في توثيق الأواصر الإنسانية والروابط الاجتماعية والوحدة الوطنية بين أبناء المجتمع الواحد، وتظل آيات القرآن تحث على الإطعام حبا للرحمن لكل إنسان مسكينا ويتيما وأسيرا مما يؤكد على أهمية الإطعام بصرف النظر عن لون ودين وجنس هذا الإنسان، وكما يكثر الإطعام على سبيل التهادي، فإنه يزيد كثيرا أيضا على سبيل التصدق والبر والصلة للفقراء والأيتام، وهذه الكفارات العديدة، وإفطار الصائمين مما يجلب مغفرة الذنب والعتق من النار، وكذلك حقائب رمضان لكفالة المحتاجين مما ينزع فتيل الأحقاد والأغلال بين الأغنياء والفقراء، فلا يحقر غنيٌ فقيرا، ولا يحسد فقير غنيا بل هما معا ابتلاهم الله بالمال كثرة وقلة ليجزي الكريم قربًا من الله والجنة والناس وبعدًا عن النار، ويجزي الفقير خيرا على صبره ورضاه بقدر الله مع بذله لقصارى جهده، فأي سلام أعظم من هذا الحب والانسجام بين أبناء المجتمع الواحد؟!

٣- في رمضان، ومع معايشة آثار الصيام تكون أعظم فرصة لإنهاء الخصام، وجمع المسلمين الذين فرقهم الشيطان، وأحدث فجوة بين الإخوان أو الأهل والخلان، أو الأقارب والجيران، فهنا تكون أعظم فرصة مع هدوء النفس، وعظم الأجر، وانتشار الخير أن يتسامح كل مع الآخر، وهنا يأتي دور المصلحين الذين يدركون عظمة أجرهم.. هؤلاء

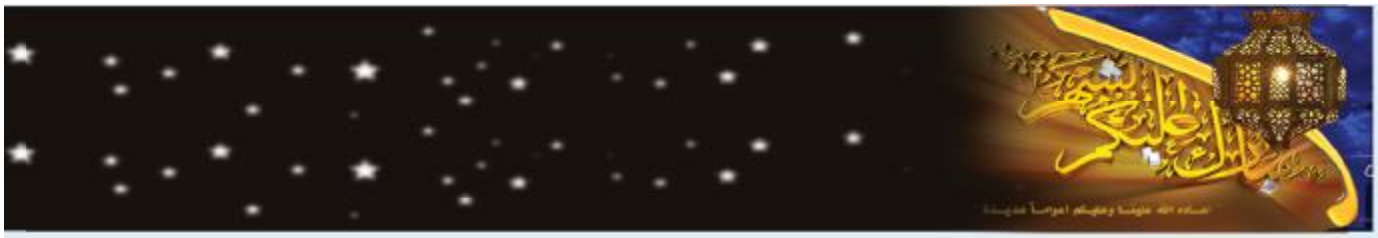

المصلحون بين المتخاصمين لو اضطروا إلى دفع مال لإنهاء نزاع كبير بين عائلتين أو فريقين، فيحل لهم شرعا أن يأخذوا من أموال الزكاة أو الصدقات لأنهم تحملوا حمالة أي تحملوا مسؤولية مالية في الإصلاح فحلت لهم المسألة حتى يصيبوا قواما من عيش كما أخبرنا النبي ﷺ، هذا بالطبع إن كان لا يستطيع القيام بها ابتغاء الاحتفاظ بكامل الأجر.

٤- مما يؤكد أهمية هذا التواصل والسلام الاجتماعي الذي يصدر عن حب ورغبة في الخير والأجر أن هذا التواصل ليس فقط بين الأحياء، بل إذا مات المسلم في مجتمع إسلامي فإنهم لا يودّعونه ليتخلصوا منه، بل يحرصون على آخرته، ومنه ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود بسندهم أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»، وذكر ابن حجر العسقلاني «من مات وعليه صومٌ ثلاثون يوما فجمع له ثلاثون رجلا صاموا عنه يوما واحداً أجزأ عنه»، هذه صورة من أعظم صور التراحم بين المسلمين أحياء وأمواتا حتى يلقوا الله جميعا فيكون أملهم أن يكونوا في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ﴿...في ظلال على الأرائك متكئون﴾ (يس: ٥٦)، ﴿... إخوانا

واجبات عملية للنجاح

وهذا برنامج عملي بعدد أيام شهر رمضان فيه تخلية عن صفات أو عادات مذمومة شرعا وخلقا، وتحلية بالآداب والمكارم الرفيعة، ثم حكمة تعينك على تغيير نفسك.

الرقم	تخلية	تحلية	حكمة تعينك على تغيير نفسك
١	العادة	العبادة (استحضار النية)	«إنما الأعمال بالنيات» «لا عمل (أي بأجر) إلا بنية»
٢	الرياء وحب السمعة	الإخلاص والتجرد لله تعالى	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ (البينة: ٥)
٣	الإسراف في الطعام	الاقتصاد في الطعام	﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ (الأعراف:٣١) «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه»
٤	الإسفاف في الكلام	طيب الكلام	«الكلمة الطيبة صدقة»
٥	الإجحاف في الغضب للنفس	الاعتدال والغضبة لله فقط	كان ﷺ: لا يغضب لنفسه قط فإذا انتهكت حرمات الله غضب.
٦	الخصومة والشحناء	العفو والتسامح والصفاء	«ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور»
٧	اليأس والكسل	الأمل والعمل	﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا. إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾ (الشرح: ٥- ٦) لا تلعن الظلام، أضئ شمعة
٨	الجحود والإنكار لنعم الخلاق	الشكر والذكر لنعم الرزاق	﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ (إبراهيم: ٧)
٩	الخسة والاختلاس والبغاء	العفة والطهارة والنقاء	لو كنت حراً من سلالة طاهر ما كنت هتاكا لحرمة مسلم
١٠	التمادي في الذنوب والمعاصي	التوبة والإنابة لرب الأرباب	﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (غافر: ٣)
١١	الاستغراق في المنام	اليقظة والقنوت والقيام	«شرف المؤمن قيام الليل» لا يقوم الليل إلا من له عزم وجدّ
١٢	الشح والبخل	البذل والعطاء	﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩) «أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا»
١٣	الذلة والمهانة والاستخزاء	العزة والكرامة والإباء	«من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا» «أحب للرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول بملء فيه: لا»
١٤	الأنانية والاعتزال	المروءة والاعتدال	المروءات النادرة في الأثواب الطاهرة
١٥	نسيان الموت والقبر والحشر والميزان والصراط والنيران	ذكر الموت والقبر والحشر والميزان والصراط والاستعداد لدخول الجنان	﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)
١٦	الغفلة عن الذكر والشكر	كثرة الذكر في الليل والنهار	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا، وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ (الأحزاب: ٤١-٤٢) «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله»
١٧	عشوائية قراءة القرآن	الانتظام في الورد القرآني من أول القرآن إلى آخره	﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ. وَأَنۡ أَتۡلُوَا۟ ٱلۡقُرۡءَانَ...﴾ (النمل: ٩١-٩٢)
١٨	الجولة كثيرا في الأسواق «شر بقاع الأرض»	الخلوة مع الله في المساجد «خير بقاع الأرض»	«تكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والريحان والجواز على الصراط يوم القيامة»
١٩	سؤال الناس	الدعاء وسؤال رب الناس	«الدعاء مخ العبادة» الله يغضب إن تركت سؤاله وبنيُ آدم حين يسأل يغضب «استغن عما في يد الناس يحبك الناس»

على سرر متقابلين﴾ (الحجر: ٢٨).

٥- من المكارم الأخلاقية للمجتمع المسلم أنه إذا كان المسلم صائما صوم تطوع ونزل به ضيف أو نزل الضيف صائما على قوم فإن الأصل أن يفطر الصائم إكراما لضيفه أو عدم إحراج لمضيفه، ومشاركة له في الطعام، وفي هذا يروي الترمذي وابن ماجه بسندهما أن النبي ﷺ قال «إذا نزل الرجل بالقوم فلا يصوم إلا بإذنهم»، ومنه وصية النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص «...إن لزَوْرِك عليك حقا...» (البخاري) حيث كان يصوم كل يوم فلفت النبي ﷺ نظره ونظرنا معه إلى أن هذا الصوم المتواصل يضعف كثيرا من الحقوق ومنها حق الضيف. وهذا ما لا نجده في أي مجتمع في عالمنا المعاصر، وهو خلق أصيل في مجتمعنا الإسلامي جديرٌ أن نفخر ونعتز ونتمسك به.

٦- الأصل أن كثيرا من

المسلمين يحرصون على الاعتكاف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، وهذا يشيع الروح الإيمانية المتدفقة طوال الشهر في الغدوّ والرواح إلى بيوت الله تعالى، لكن هذا الاعتكاف لا يعطل المروءات الاجتماعية، وقد روى مالك في موطئه عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ «كان يترك الاعتكاف ويخرج لحاجة الإنسان في البيوت»، قال ابن قدامة المقدسي: يخرج المعتكف من المسجد لإنقاذ غريق أو إطفاء حريق أو أداء شهادة. وقال أحمد: يشهد الجنازة ويعود المريض ولا يجلس. وهذا من الأحكام التي تدفع بكل مسلم أن يكون له حضور وذكاء اجتماعي لا ينسلخ عن الاجتماعيات التي تساهم في بناء جسور قوية من التلاحم الاجتماعي.

وهكذا يصنع الصيام سلاما اجتماعيا قائما على الحب والتعاون على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان.

الرقم	تخلية	تحلية	حكمة تعينك على تغيير نفسك
٢٠	السلبية	الإيجابية في فعل الخير ونفع الغير	إذا القوم قالوا من فتى خلت ... نني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
٢١	الكذب	الصدق	أيكون المؤمن كذابا قال: لا» «ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا»
٢٢	الاجتراء	الحياء	«إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء» «الحياء لا يأتي إلا بخير»
٢٣	نقض العهد	الوفاء بالعهد	﴿أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١) «أوفوا إذا وعدتم»
٢٤	التنعم والترف والرفاه	التقشف والاخشوشان لمواجهة تغير الحياة	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦) «اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم»
٢٥	قطيعة الأرحام	صلة الأرحام	«صلة الأرحام تزيد في الرزق وتطيل العمر» «من وصلها وصله الله تعالى»
٢٦	العبوس في وجوه الأهل والإخوان	الابتسامة وإدخال السرور على الأهل والإخوان	«وتبسمك في وجه أخيك صدقة» الابتسامة دواء وشفاء
٢٧	سرعة الانفلات	الصبر ودقة الانضباط	«إنما الصبر عند الصدمة الأولى» ... «وما أوتي عبدٌ عطاء خيرا وأوسع من الصبر» لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر
٢٨	الإهمال والنقصان	الدقة والإتقان	«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» وفي رواية أن يتمه
٢٩	الظلم والعدوان	العدل والإحسان	﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨) «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»
٣٠	التقليد والاتباع لغير ما أنزل الله	الاجتهاد والإبداع مع التزام شرع الله	﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣) «لا يكن أحدكم إمعة»

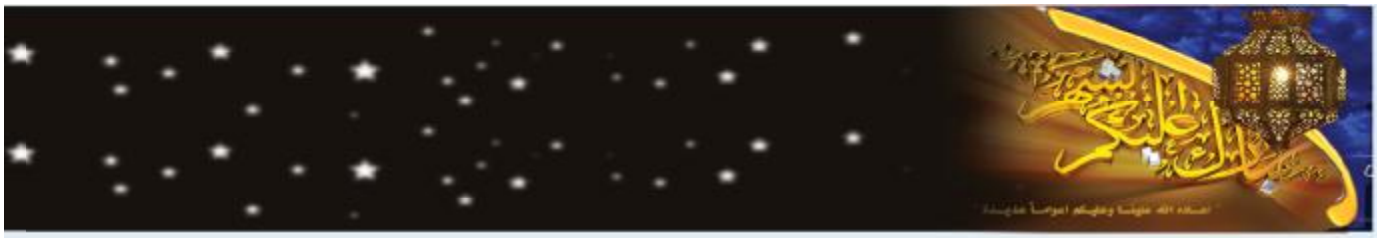

أثر الصيام في تجديد الفكر التربوي

علاء الدين رمضان

عندما يُظلّنا شهر رمضان المبارك ينطلق كل منا إلى ما يدعم به صومه ويزيد به أجره، ويجعله أكثر قربا من الله عز وجل، ويجلب لنفسه به رضوانه تعالى، فينبري من بيننا نفر إلى ما منَّ الله به عليهم من علم تصلح به شؤون البلاد والعباد، فيحاولون أن يستخلصوا منه أثر الصوم فيه، ومن هؤلاء التربويون الذين يجدون في الصوم مادة ثرية للعبادة والعمل معا، لما في الصوم من بُعد تربوي زاخر فيَّاض، فهو تربية للنفس وإصلاح للسلوك ورد للعبد إلى سبيل ربه ردا جميلا؛ فيه المقياس الأمثل لتربية الروح والبدن، وفيه كذلك مَنعَة من الانزلاق في السوء، فيه التسامح واعتياد الصلاح؛ فيه تهذيب لأنواع السلوك كافة ولاسيما سلوك البطنة والجنس، بل إن الصوم له دور كبير في هذا الجانب، وهناك نوع من الصوم من غير الفريضة لهذا الهدف التربوي الكبير، وهو صوم الوجاء؛ والحديث حول فضل هذا الشهر الكريم لا ينقطع ولا ينتهي ولا ينفد، والكلام فيه ذائع مستفيض؛ لكن الكلمة لا تعطي مدلولها الحق إلا لمن ألقى لها سمعا، وفتح لها قلبا، وسأل الله همة فألهمه رشدا وأخذ بيده إلى طريق الفقه والوعي فصرفه عن الوهم والعي.

وعلى هذا الطريق تسير مجموعة من خيرة علمائنا وأساتذتنا الفضلاء بما لديهم من معارف وعلوم تبني مجتمعنا الإنساني وتنبع أنهارها من أصل الدين الحنيف، وتتنوع تلك المعارف والعلوم وتتشعب طرقها، غير أن التربية الاجتماعية والمجتمعية والفردية تعد الأصل والأساس والركن الرئيس فيها، لأنها تربي المسلمين الذين يفترض فيهم أن يشحذوا الهمة ويشمروا عن سواعد الجد، فهم المعنيون أصلا بالتربية القرآنية.

وعلى هذا الدرب تأتي تلك النظرات التي أرصد جانبا منها ههنا فيما يتعلق بالجانب التربوي لفريضة الصوم في الإسلام، بوصفها محاولة لاستنباط المضمون والأثر التربوي لتلك الفريضة التي هي ركن من أركان الإسلام الخمسة، مفصلا كيفية الإفادة منها في سياقها التربوي، والعمل على تحويلها إلى خلق مؤثر لدى ما يطلق عليهم تربويا اليوم المسلمون الجدد، وهم فئة الشباب الذين دخلوا إلى مرحلة المراهقة المتأخرة أوالذين خرجوا منها توا، لاسيما أن النشء هم عماد الأمم فهم من يحملون أفكارها ومعتقداتها ويقيمون شعائر دينها، فهم الامتداد الحقيقي للنوع البشري بكل ما يحمله من نوازع ومعتقدات وخُلق.

وقد حاولت جهدي الوصول إلى جوهر التجربة التربوية للصوم خاصة وأبعاد التربية الإسلامية في الفكر الشرعي الإسلامي، واستنهضت همم الإخوة الباحثين في هذا السبيل، حتى نستكشف أبعاد التربية الإسلامية للفرد ومن ثم المجتمع كما وردت في القرآن الكريم، وبها يحق لنا البحث عما يمكن تسميته بتجديد الفكر التربوي في المجتمعات الإسلامية، في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وبذلك يمكننا بلورة وتحقيق عدد من الأفكار التي كنت أطرحها على فئة من الزملاء العاملين في حقل التعليم والتربية، رغبة مني في الأخذ بها والعمل على تطبيقها والإفادة منها، فيما يتعلق بالفكر التربوي في الإسلام بعامة، نظرا لما لهذا الجانب من الفكر الإسلامي من أهمية قصوى في معالجة أدواء مجتمعاتنا التي صارت متداعية الأركان، وقد رجوت من وراء تلك الدعوة عدة أهداف، منها:

أولا: دعم الأصوات المنادية بتأصيل العلوم السلوكية واستخلاص نماذجها وأطرها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، طموحا إلى التحول صوب الاتجاه الإيجابي لمفهوم الفكر التربوي في الإسلام، الذي يعتمد على استخلاص نماذج سلوكية مُثلى وقواعد تربوية محددة ومرنة، بعيدا عن الصور الوعظية العشوائية التي نتعامل بأسلوبها إلى الآن في حقل الفكر التربوي الإسلامي، إلا من رحم ربي.

ثانيا: حفز الفكر البحثي للتربويين المسلمين لارتياد حقل التربية بعامة والتربية السلوكية بخاصة بمنظورها الإسلامي، والتأكيد على تقديم

التغيير في حياة الشعوب لن يكون إلا بالتربية وتحديد الممارسات السلوكية لدى الأفراد

الفكر الإسلامي على النظريات الغربية؛ بوصفه فكرا مستخلصا من الشرع الإلهي الذي يتسم بالتوازن واطراد الصلاحية لكل زمان ومكان بما ينطوي عليه من مرونة وفاعلية، وخوض هذا الحقل بأسلوب علمي واضح بعيد عن العصبية التي يأباها الإسلام ويؤكد على نبذها ورفضها، ثم نقارن بين النظريات التربوية والفكر السلوكي في الإسلام، مع الأخذ في الحسبان مدى أهمية مراجعة تلك النظريات التربوية والبحث وراء أسباب نجاح ما نجح منها وفشل ما فشل، ودعوة علمائنا لنبذ طالحها والاستمداد من صالحها، ما دام لا يعارض شرعا في الكتاب أو السنة.

ولسنا نعني بالتربية الإسلامية هنا تدريس تلك الموضوعات المحددة من نصوص القرآن الكريم والسنة والسيرة والتوجيهات الخلقية.. إن التربية الإسلامية التي نقصدها هنا هي تربية الفرد بالتوجيه المباشر بواسطة نموذج سلوكي يؤمر باتباعه أو منهج شرعي يسير وفقه، أو عبادة سلوكية يؤديها ويتبع خطواتها، فهذا النوع من التربية هو الذي عرفه أساتذتنا بأنه مجموعة من: «المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد، يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عددا من الإجراءات والطرائق العلمية، يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكا يتفق وعقيدة الإسلام» هذه المبادئ والقيم والقواعد التي أشار إليها د.سعيد إسماعيل علي في تعريفه السابق تدفعنا للتفكير في مصادر التربية الإسلامية فنجد أنها تتميز عن التفكير التربوي العام بأنها ترتكز على قواعد أصولية ثابتة وتدعمها متغيرات مقبولة، بل إن دورها قائم فعلا وتدعمه القواعد الثابتة نفسها، فالثابت هو القرآن الكريم والسنة، والمتغير هو رؤية علماء التربية والفقهاء.

ويُعد الصوم من أبرز جوانب التربية السلوكية في الإسلام، وتجهيل الإثابة عليه ينقله من باب العبادة المجردة إلى باب التنافس السلوكي، فالإسلام لا يعتمد في فرض نظامه وقانونه على السلطة الخارجية المتمثلة في العقوبة والجزاء المادي فحسب، بل إنه يعتمد أولا على تربية النفس الإنسانية بتعميق معاني الخير فيها وتنفيرها من معاني الشر والفساد، ثم التدخل الفعلي المادي بتغيير السلوك وتنميته وتطويره، معتمدا في كل ذلك على ربط الإنسان بالله تعالى وإيقاظ ضميره وتذكيره بربه دائما، وقد نظم الإسلام للمجتمع قواعد خلقية توفر له سياجا متينا يحفظه من الانحرافات ويقيه من المهلكات ويعالج له ما قد يعتريه من مشكلات.

وقد بُني هذا الأساس الخلقي لرسالة الإسلام الحضارية من خلال بُعدين اثنين متوازنين هما البعد الداخلي، والبعد الخارجي (١)، ففي التربية الدينية إيقاظ للإحساس الفطري الذي يرزح تحت وطأة المادية والوثنية، ومن ثمَّ خلط السلوك المادي البحت بآثار روحية نابعة من أعماق القلب الذي يقع فيه قبس الإيمان من أول يوم جاء فيه الإنسان إلى الوجود، حين نفخ الله فيه من روحه، وهذه النفخة الروحية هي بلا شك شيء من نور الله تصحو آثارها بالتربية الدينية فتطفو على السطح تزاحم النزعة المادية أو تردعها، حين لا ترعوي أو ترتدع ذاتيا(٢)، وهذه سمة من أبرز سمات الإسلام لكونها تجعله شرعا يأخذ في الحسبان الشق المادي متطلباته ونوازعه، إلى جانب الشق الروحي للعباد، وهو سبيل الإسلام في الوقت ذاته لاستعادة الخارجين على شرعه المتنكبين طريقه ودربه، إذ جعل لنا فواصل تستوقفنا جميعا الصالح منا والطالح، المحسن والآثم، ثم يضع الإسلام منهجا دوريا لاستعادة المسلمين إلى الارتباط بالقيم المثلى للإسلام، ويعد المثل البارز في ذلك الصدد هو الصوم، وبه يتضح لنا مدى سبق التربية الإسلامية للتربية الحديثة في تقرير حقيقة أن التغيير والتبديل في حياة الأفراد والأمم والشعوب لا يكون إلا بالتربية والتعهد الخلقي وتجديد الممارسات السلوكية لدى الأفراد، وأيضا نلمس من خلال ذلك مدى حاجتنا اليوم لإدراك وجوب العودة إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها والعمل بمقتضاها كما أمرنا الله تعالى؛ لنعود كما كنا خير أمة أخرجت للناس.

الهوامش

١- د.عبد القادر طاش، بناء المجتمع الراشد، في «الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي».

٢ - زيدان عبد الفتاح قمدان «أجهزة الضبط في الشخصية القرآنية.. جهاز المناعة الروحي والمكتسب»، مجلة رسالة الجهاد(العدد ٥٨/١٩٨٧م).

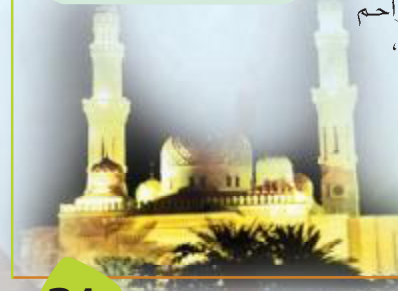

سلطان الصيام!

لا أحسب أحدا ينازعني فيما لرمضان من الإشراق والهيمنة والسلطان على النفوس، تراه في هذا الحنين الدائم إلى أجوائه، وتراه في الأمل الجميل الذي يسكن ذكرياته، وتراه في هذا الذي يشبه عشق العاشقين له ولنسماته وللريح الحانية العطرة التي تعانق النفوس والقلوب على أثره. وهو في كل هذا أشبه شيء بحبيبة يصح فيها وفي انجذاب القلب والنفس نحوها قول الشاعر: فمالك كلما ذكرت تذوب! قراءة سلطان شهر رمضان من خلال فحص عددٍ مهم من المداخل التي تسكنه، وتستطيع أن تكون دستور نهضة للأمة.

د.خالد فهمي

وهذه الورقة طامحة إلى وهي تحاول في المحاور التالية أن تستثمر عددا متواترا من المعلومات المرتبطة ارتباطا ظاهرا وعضويا بالشهر الكريم، مما يخفف من آثار المقاومة لها عند دعوة الناس إلى تفعيلها، وإدامة استحضارها، لأن الناس عمليا واقعون في تعاطيها، وممارستها من غير إكراه، ومن غير رفض أو نزوع نفس نحو مقاومتها، وهو الأمر الذي لا يتوافر لأية أمة في عمليات تحديثها؛ ذلك أن علماء الاجتماع يقررون مبدأ جامعا متمثلا في ضرورة وضع برامج وآليات لامتصاص المقاومة الشعبية والجماهيرية لعمليات التحديث، وهو الأمر الذي يتلاشى تماما في أوساط الأمة الإسلامية نظرا للتأثير الهائل الذي تمارسه أجواء شهر رمضان المعظم بما يحققه من أجواء التهيئة النفسية والاجتماعية نظرا لهذا الارتباط البديع بالأفكار الراقية المستمدة من الصيام، والدائرة حول القرآن الكريم مما ينزل بمخاطر المقاومة للنهضة ولأعباء التحديث إلى ما يشبه العدم.

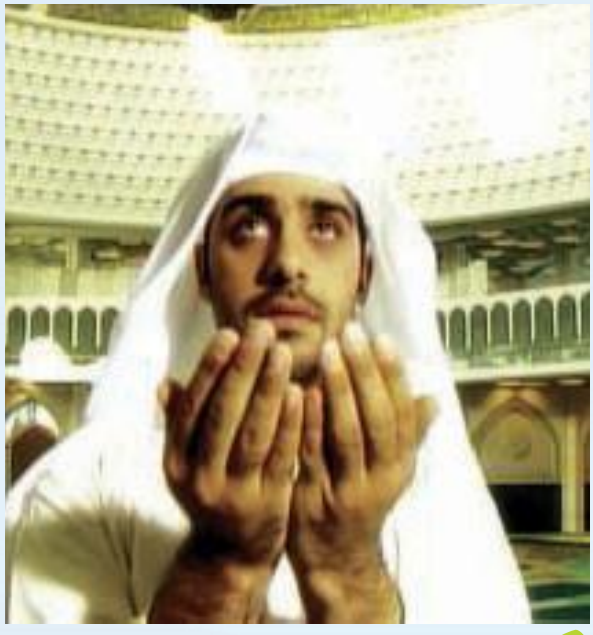

وفيما يلي قراءة لعدد من مداخل النهضة الظاهرة والمستقرة في النظر العام لشهر رمضان الكريم كما يلي:

القرآن الكريم أصل أصول النهضة

وفي هذا السياق ينبغي أن يكون واضحا مستقرا أن آية نهضة مرجوة للأمة لا يسع الداعين إليها إلا أن يرووها ويتطلعوا إليها عبر بوابات القرآن الكريم.

ولعل بعض المستفاد من هذا النص على إنزال الذكر الحكيم في شهر رمضان، وفي ليلة مخصوصة منه هو استثمار هذا الربط المهم بين الشهر العظيم وبين تنزل القرآن الكريم ابتداء، وفي ذلك إشارة غير خافية إلى ضرورة انطلاق النهضة، وافتتاح أمرها من بوابة القرآن الكريم مهتدية بقوانينه وتشريعاته وآدابه وأخلاقه، ومن هنا فإن بالإمكان أن نقرر أن ارتباط نزول القرآن بهذا الشهر على ما جاء في آيات الذكر الحكيم في قوله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس﴾ (سورة البقرة: ١٨٥) يشير إلى الدعوة إلى نهضة الأمة ويلزمها تهيئة نفسية للشعوب الإسلامية على هدى من هذا التاريخ المضيء الذي استثمر فيه اعتكاف النبي ﷺ قبل بعثته لنزول الذكر الحكيم عليه.

إن أول خطوة يوحي بها ذلك الارتباط بين الشهر الكريم ونزول الذكر العزيز فيه هي ضرورة أن تتعلم الأمة أن تكون انطلاقة الدعوة إلى نهضتها من شهر رمضان استثمارا لأجواء التهيئة التي يحققها في الجماهير المسلمة على أحسن ما تكون التهيئة.

والالتفات إلى المبدأ القائل بأن القرآن الكريم هو أصل أصول النهضة أمر ثابت مستقر

لمسه غير عالم في المجالات المختلفة على ما ترى أثرا له في اعتباره أصل أصول النظرية الأخلاقية الإسلامية كما قرر د.محمد عبدالله دراز رحمه الله في كتابه الفذ «دستور الأخلاق في القرآن الكريم»، وعلى ما ترى أثرا له كذلك في النظرية التربوية الإسلامية على ما يقرره د.أحمد فؤاد الأهواني في كتابه المهم «التربية في الإسلام».

المعرفة قوة (رمضان شهر المعرفة)

مما تواتر وترجح في أدبيات علوم القرآن الكريم في مبحث «أول ما نزل من الذكر الحكيم» الإقرار بأن قوله تعالى ﴿اقرأ﴾ (سورة العلق:١) كان أول ما نزل، وهو ما يقود إلى إمكان الإقرار بأن شهر رمضان في ارتباطه العضوي والمحوري بافتتاح التنزيل بهذا الأمر الخطير وهو الأمر بالقراءة في مستوياتها المختلفة؛ قراءة المسطور (العلم) وقراءة المنظور (الكون) يرشح لضرورة افتتاح طريق النهضة، وتأسيسها على عماد أساسي متمثل في اعتبار القوة الحقيقية ماثلة في تحصيل المعرفة عبر طريقيها الأعليين:

أ - طريق العلم، وهو ما يمثل رمزا واضحا للتأليف والكتابة والتعليم والبحث العلمي الموصول بالله سبحانه، والمسترشد بهديه أوليس هو القائل سبحانه ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾ (سورة العلق: ٣-٤).

ب- طريق النظر في الكون، وهو يمثل أمرا صريحا باكتشاف أسرار الخلق، والتكوين، ولإتقان هذا النوع من المعرفة العلمية التجريبية بوحي من قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق﴾ (سورة العلق: ١-٢) وهما أمران جديران بالتأمل في سياق افتتاح التنزيل الكريم بهما من جانب، وفي افتتاح هذا التنزيل في هذا الشهر المكرم تعيينا بهما من جانب آخر.

رمضان مدخل تتجلى فيه علامة تنامي تغذية الوعي المجتمعي والفردي بأن القرآن هو الدستور والقانون الحاكم للأمة الإسلامية

ومما يدعم هذا النظر في هذا المحور ما تواتر من الأجر البالغ المترتب على الارتباط العظيم بالقرآن الكريم في هذا الشهر الكريم حتى صار علما مشهودا على العناية البالغة بتلاوة الذكر الحكيم، وتنامي هذه العناية في تنافس أفراد المجتمع الإسلامي فيما يسمى بالتنافس في الختمات، وهو ما يرجى تطويره إلى أبعد من ذلك لينتج تنافسا في تدبره وترجمته إلى سلوكيات وممارسات ومشاريع للنهضة في المجالات المختلفة.

وافتتاح نزول القرآن بهذا الأمر المبدع ﴿اقرأ﴾ متزامنا بالقرآن الكريم قاد إلى مسألة مهمة جدا قل الالتفات إليها في دراسات التعليم والإدراك وهي أن التهيئة النفسية، وتحقق التقوى المترتبة على الالتزام بآداب رمضان، وحرمته طريق من طرق تحقيق الإدراك، وهو ما قاد واحدا كالإمام الزمخشري في مقدمة تفسيره «الكشاف» أن يقرر أن ثمة طريقا مهما لتحصيل العلم لا سبيل إليه إلا بتحقيق التقوى وهو بعض المفهوم من قوله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (البقرة:).

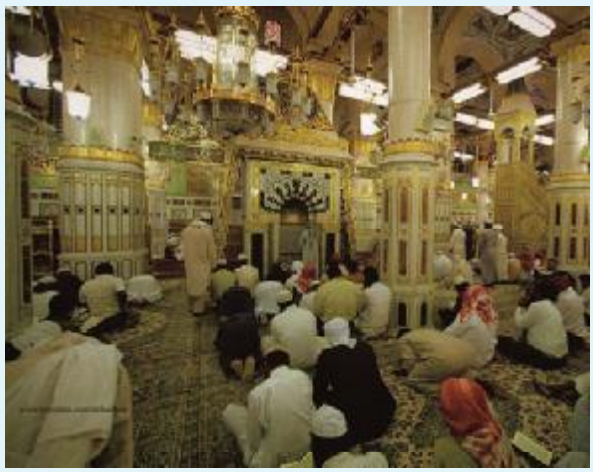

ان ارتباط الأمر الإلهي ﴿اقرأ﴾ بأجواء رمضان في ابتداء نزول الوحي يحمل دلالة مهمة يمكن استثمارها في أمر الله سبحانه وتعالى عبر هذا الارتباط يدعو الأمة أن تقيم نهضتها تأسيسا على المعرفة بتنوعها بما هي سبيل القوة التي يريدها الله سبحانه للأمة الإسلامية.

بناء الشخصية (رمضان شهر التقوى)

وفي هذا المحور أو المدخل تتداعى أمامنا بوحي من الارتباط بين الصيام فريضة الشهر الكريم وغاياته التي يرمي إلى تحقيقها وهي التقوى، وهي كلمة جامعة للاستقامة، وهي الغاية المنصوص عليها في قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (سورة البقرة: ١٨٣).

والتقوى هنا كلمة لا يصح قصرها على الدلالة الروحية التي تعادل قمة الارتقاء الروحي والنفسي التهذيبي، وإنما ينبغي أن تترجم وتفسر لتكون معادلا ومكافئا لبناء الشخصية الإسلامية المتوازنة، بمعنى أن الصيام يسعى إلى بناء شخصية تقية بالمعنى الأخلاقي التهذيبي، كما يرمي إلى بناء شخصية قوية من الناحية البدنية ومن الناحية

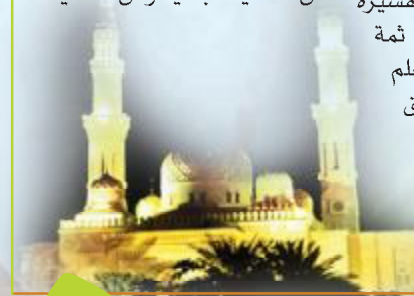

الإرادية، أي أن رمضان يخلق بدنا قويا بما هو ثابت من آثار الصيام البدنية في تنقية البدن من السموم المتراكمة، وإراحة الأعضاء الداخلية من ضغوط الطعام من جانب، ويخلق نفسا قوية لها عزيمة وإرادة متعالية على المطالب المادية ولو كانت ضرورية فترة طويلة، وهو ما يصح تدعيمه بالنظر إلى أن رمضان بما فيه من فرضية الصيام كانت الخطوة الأولى قبل إقرار الأمر بالقتال في منظومة تراتب التشريعات في التاريخ التشريعي عند المسلمين.

معني ذلك أن الله عز وجل جعل الصيام تمهيدا وإعدادا بدنيا ونفسيا للجهاد، وهو ما ترجمته الأمة على امتداد تاريخها في جعل رمضان والنظر إليه باعتباره شهر الانتصارات، فكان عماد النظر إليه من كل عام أنه شهر النصر المتولد عن الطاقة الهائلة ماديا ومعنويا التي يحققها الصيام، وبات الاحتفال بانتصارات الإسلام في رمضان واحدا من أكثر المفردات ظهورا في الإعلام الرمضاني من كل عام.

المدخل الاقتصادي (رمضان شهر التدبير والادخار)

إن الناظر إلى رمضان من منظور اقتصادي يلمس مجموعة من المعايير الحاكمة في أسس النهضة المرجوة من مدخل اقتصادي، ذلك أن اختزال القوة الإنفاقية بمقدار الثلث أو النصف أحيانا تبعا لبعض الأعراف والتقاليد التي تتناول ثلاث وجبات أو أربع في بعض الأقاليم يفتح الباب على مفردة مهمة وأثيرة في النظرية الاقتصادية تتعلق بتربية الأمة على ترشيد الإنفاق، وإذا كان المدخل الترشيدي هنا يتعلق بالضرورات فإن الدعوة إلى ترشيد الإنفاق في المجالات غير الضرورية تصبح مسألة وجيهة بعدما استطاع القرآن الكريم عبر منظومة رمضان أن يعود المسلمين في النظام اليومي لمدة شهر كامل على ترشيد الإنفاق في الحاجات الضرورية المتعلقة بالطعام والشراب.

وهو ما يؤازره ويدعمه فرضية نوع خاص من الزكاة التي هي زكاة الفطر التي شرعها الله سبحانه وأحد الجناحين اللذين تحققانها كامن في أنها طعمة (إطعام) للفقراء، وهو ما يوجه الأمة إلى الاستثمار في الصناعات الضرورية بما هي العماد الحقيقي للاقتصاديات الوطنية، وصناعة الغذاء من أولى الصناعات فى هذا الباب الخطير المهم المؤثر فى إدارة الدولة، وعلاقاتها الدولية.

ومع ذلك تتجلى ما تسميه مجموعة من النصوص المشرقة من أحاديث المصطفى ﷺ باسم البركة المقترنة بنسك هذا الشهر الفضيل، وهو ما يظهر في قول النبي ﷺ المتفق عليه: «تسحروا فإن في السحور بركة» وفي الحديث الحسن الذي يقول فيه المصطفى ﷺ: «إن الله جعل البركة في السحور».

وهذه البركة أثر من الممكن استثماره واستدامته في ارتباط المسلمين بطاعة الله سبحانه في هذا الشهر الكريم.

المدخل الاجتماعي (رمضان شهر الرحمة)

من المبادئ المقررة في النظرية التربوية الإسلامية على ما يقرر أحمد فؤاد الأهواني تأسيسا على اثنين من أشهر علماء التربية المسلمين القدماء وهما القابسي ت ٤٠٣هـ، وسحنون ٢٥٦هـ أن الطاعة من صلاة وصيام تحقق لصاحبها نوع كرامة إنسانية، وهو الأمر المشاهد الملحوظ عيانا في الأوساط المجتمعية الإسلامية، بحيدة نستطيع معها أن نقرر أن واحدا من علامات القبول والتقدير والارتقاء الاجتماعي في الأوساط الإسلامية متمثل في ارتباط هذه العلامات بالأشخاص المعلوم عنهم التدين والصيام في مقدمة العبادات التي تنتج لأصحابها هذا القبول المجتمعي.

ومن ثم فبالإمكان أن يكون شهر رمضان عبر فرضية الصيام مدخلا اجتماعيا يسهم في تحقيق الكرامة الإنسانية لأفراد المجتمع مدعوما بعدد من الأسس الاجتماعية الأخرى التي تصنع المجتمع بخصائص النهضة، وهذا الشهر أعلى نموذج تتجلى فيه سمات التكافل (إطعام- زكاة فطر...) والتراحم، والتنظيم.

وعلى الرغم من ضعف الحديث الذي أورده ابن خزيمة في صحيحه تحت ترجمة (عنوان) «باب فضائل شهر رمضان» إن صح الخبر

رمضان أعلى توقيت يمكن التخطيط انطلاقاً منه.. ليكون مفتتحاً بديعاً لنهضة المسلمين في هذا العصر

١٩١/٣ حديث رقم ١٨٨٧: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك...من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء» فإنه مدخل مهم من الناحية الاجتماعية لصناعة نهضة عبر بوابة شهر رمضان، قادر على دعم عناصر التماسك المجتمعي، ودعم ركن مهم سمي في الأدبيات الاجتماعية المعاصرة باسم السلام الاجتماعي.

المدخل السياسي (رمضان شهر النصر)

وفي شهر رمضان ونظرا لارتباطه تاريخيا بأعلى نصر في التاريخ الإسلامي- وهو ما تحقق بفضل الله تعالى للإسلام في أول مواجهة مع الشرك في غزوة بدر الكبرى- تجلت علامة مهمة جعلت منه شهر النصر.

وهذا المدخل السياسي كان قراءة رمضان من بوابة كونه أعلى نموذج لتحقيق الوحدة بين أفراده، ماديا في توحيد مواقيت إفطارهم، وفي اجتماعهم جميعا مدة طويلة هي مدة النهار وهم صائمون تجمعهم حالة نفسية واحدة، وفي افتتاح صومهم تبعا لتوقيت واحد وهو المتمثل في وظائف الرؤية (رؤية الهلال) من الناحية السياسية.

ورمضان من جهة أخرى مدخل تتجلى فيه علامة تنامي تغذية الوعي المجتمعي والفردي بأن القرآن هو الدستور والقانون الحاكم للأمة الإسلامية بالمعنى التشريعي والقانوني، وهو بعض نتائج الارتباط بالذكر الحكيم في هذا الشهر من جانب الأفراد، وهو ما ينبغي دعمه في دروس التراويح للإسراع بمشروع النهضة المنبثق من الكتاب الكريم.

كما يمثل رمضان من هذا المنظور وجها مهما يقدره علماء الاجتماع السياسي فيما يسمى بمجدد الأمل، وهو الذي يتحقق في أعلى تجلياته وصوره في هذا الشهر الكريم، وهو الأمر الذي يتبدى بوضوح في الآمال التي ترتبط بها الأمة عبر أفرادها فيما ترجوه من رحمة وغفران وعتق من النيران وفرصة عاجلة متمثلة في انتظار العيد الذي هو ملمح مهم أيضا يدعم أجواء الوحدة الاجتماعية والسياسية، وهو ما التفت إليه السياسة المعاصرة في النظر إلى هذه الأيام باعتبارها دعامات تقوي الشعور الوطني، وتقوي روافد الشخصية القومية.

وهذا كله أمر لازم للنهضة الإسلامية المرجوة، وهو الأمر الذي يمكن استثماره في دعم مخططات التنمية التي قد يتولد عنها أزمات على المستوى الشعبي مما يستلزم استثمار كون شهر رمضان شهر الصبر لتخطي الأزمات المتوقعة للسير أو التحول إلى طريق النهضة.

المدخل الحضاري

ويأتي هذا المدخل الأخير من مداخل النهضة المستمرة والمستنبطة من جانب تأسيسا على إعادة قراءة شهر رمضان بما فيه من فضائل وخصائص يحمل في طياته إمكان تأسيس النهضة الإسلامية عبر مدخل حضاري يرعى اتصال الأمة حضاريا وتاريخيا لتستشعر الأمة عبر أفرادها أن لها تاريخا عريقا في التقدم والتحضر والارتباط بالسماء وهو بعض ما يمكن فهمه من قوله تعالى ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ في هذا الجزء الأخير من الآية الكريمة (كما كتب على الذين من قبلكم) مدخل حضاري يرعى أننا امتداد لتاريخ عريق مقبل على الله تعالى.

وهو الأمر الذي ييسر أن نفتش في طريق إقامة النهضة على ما سكن في تاريخ هذه الأمة القديم على عناصر يمكن التقاطها لدعم مشروعات النهضة الإسلامية المعاصرة؛ ذلك أننا أمة ليست يتيمة أو معزولة أو لقيطة.

من مجموع هذه المداخل المرتبطة بهذا الشهر الفضيل نستطيع أن نقرر أن شهر رمضان هو أعلى توقيت يمكن التخطيط انطلاقا منه زمنا، ومما يتجلى فيه من علامات ومداخل وتهيئة لكي يكون مفتتحا بديعا لنهضة المسلمين في هذا العصر الذي نحيا فيه.

فباسم رمضان وباستلهام فريضته، وبالاستظلال بأجوائه تقدم المسلمون قديما، وباسمه وباسم فريضته الكبرى وباسم الأجواء البديعة التي تشيعها فينا يمكننا أن نستعيد تقدمنا من جديد.

شهر رمضان بين المفترض والموجود

د.عمار علي حسن

رغم تعاظم المؤشرات والمظاهر والدلائل التي تبين تعزز دور الدين في الحياة الاجتماعية العربية واعتماده إطارا أو مرجعية لأغلب السلوكيات والتصرفات والرؤى فإن الأغلبية الكاسحة من العرب المعاصرين لا تزال غافلة عن اكتشاف جوهر شهر رمضان، وإدراك مقصده وتلمس حكمته، والالتزم بما يوجبه من تعبير وتدبير، والتصرف بما يليق بهذا الشهر الفضيل.

وهذه الصعوبة لا يمكن أن نعزوها، من بعيد أو قريب، إلى التباس أو غموض في فقه الصوم المستمد مما ورد عنه في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ، بل في مدى قدرة هؤلاء المسلمين على الإلمام بعبادة الصوم وحكمته، أو الالتزام بأداء هذه الفريضة في أجلى صورها، وبما يتفق مع فطرة الإسلام، الناصعة الواضحة الساطعة كشمس ظهيرة صيف صاف.

فمن يدقق النظر في الممارسات المرتبطة بالصوم أو الناجمة عنه يجد أن هناك فارقا كبيرا بين رمضان الذي ينطوي عليه النص الإسلامي المؤسس وهو القرآن الكريم وكذلك المستقى من سنة النبي ﷺ والقائم في أفعال الرعيل الأول أو «الجيل الفريد» الذي تحلق حول الرسول الكريم وبين رمضان الذي يحييه المسلمون الآن قولا وعملا. وهذا الفارق يتسع كل سنة عن الأخرى، ويهرول في الاتجاه الذي سيجعل الأول غير الأخير، ليتحول الشهر الفضيل إلى مجموعة من الطقوس الدنيوية المادية البحتة، المغلفة بروحانيات سطحية، وتدبر عابر، وافتقاد للحكمة التي من أجلها فرض الله سبحانه وتعالى الصيام على أمة محمد ﷺ والأمم التي سبقتها.

فالله فرض الصوم، لا ليعذب الناس بالجوع والعطش والامتناع عن أداء الغريزة الجنسية، بل ليسمو بأرواحهم إلى أقصى حد، ويرتقي بمشاعرهم إلى أبعد غاية، ويدفع غنيهم إلى الإحساس بما عليه فقيرهم، وصحيحهم بما عليه مريضهم، وقويهم بما عليه ضعيفهم، وفرض الله الصوم ليجد الإنسان فرصة قوية لتدريب نفسه على السلوك الصحيح، فيبني ما تهدم، ويعدل ما مال، ويقوّم ما اعوج وانكسر، فإن كان من سريعي الغضب فليدرب نفسه على الحلم والصبر والتريث، وإن كان من محبي النميمة والجدل فليعلم نفسه السكوت الحكيم الذي هو من ذهب، وليتعود على أن يقول خيرا أو يصمت، وإن كان من المنساقين بعمى وقلة بصيرة وراء غرائزهم فليقوي ذاته في مواجهة شهواته، ولا يرهن نفسه بخدمة جسمه، وليدرك أنه بالنفس لا بالجسم إنسان.

آن أوان انتهاء الغفلة إلى غير رجعة وذوبان النسيان بلا عودة ورجوع المسلمين إلى طريقة الصوم التي تتفق مع النص المؤسس والفعل الأمثل

وحتى لو أخذنا بالرأي الآخر الذي يرى أن الصيام فرض لذاته، كنوع من عبادة الله، فإن ما تفعله الأغلبية الكاسحة من المسلمين يتنافى مع هذا المنطق، الذي يرتكن إلى أن عبادة الله غاية في حد ذاتها، ولا يقصد منها أي شئ أو رمز غير ذلك، وإن ترتب عليها مثل هذا الشيء أو ذلك الرمز، فإن هذا من قبل العوارض وليس الجواهر. فالصوم ركن من أركان الإسلام، وهذا ثابت لا جدال فيه، ولم يختلف عليه المسلمون منذ البداية وحتى اللحظة الراهنة، بينما اختلفوا حول حكمة الصوم وأهدافه.

وفي حال الميل إلى العبادة المحضة في رمضان، فإن هذا يتطلب سلوكا مغايرا لما يبدر عن عوام المسلمين، الذين لا يؤدون حق هذه العبادة، ولا يتمسكون بمتطلباتها ومقتضياتها أو شروطها حتى تخرج سليمة معافاة من كل ما يجرحها، أو ينال من سلامتها، ويجعلها عبادة منقوصة، أو بمعنى أصح يخدش هذا الركن من أركان الإسلام الخمسة. وسواء تحدثنا عن العبادة لذاتها أو العبادة المرفقة بحكم وعبر وعظات فإن شهر رمضان يعطينا في كل الأحوال فرصة لتجديد حياتنا، وليصبح كل واحد منا، إن صدقت عزيمته وسلمت نيته، إنسانا جديدا، لا يعبد الله على حرف، ولا يكتفي من الدين بطقوسه وقشوره، بل يلج إلى جوهره الأصيل وحكمته العميقة، فيصبح بحق المسلم الذي تنطبق عليه الآية الكريمة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران:١١٠)، ويصير المسلم الذي يباهي به الرسول الأمم يوم القيامة، وليس المسلم الذي لا يمثل سوى قطرة ضائعة في غثاء السيل، فتتداعى الأمم عليه كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

لكن ما يجري في الواقع شيء آخر، فأغلب المسلمين المعاصرين حولوا رمضان إلى شهر دعة وراحة وكسل، ونسوا أن الصحابة خاضوا معركة بدر في رمضان، وأن صلاح الدين قد هزم الصليبيين في رمضان، وأن العرب قد هزموا اليهود في رمضان. كما حولوا رمضان إلى شهر تسلية تتسابق على إشباعها شاشات الفضائيات، المتخمة بالمسلسلات والأفلام والمسرحيات وبرامج المسابقات التافهة واللقاءات السطحية مع أهل الفن، إلى الدرجة التي أصبح عندها الممثلون والمخرجون والمنتجون من العلامات المميزة لهذا الشهر، أكثر من علاماته الأصيلة التي شرع الله من أجلها الصوم.

وبات أغلب المسلمين يستهلكون في رمضان أضعاف أضعاف ما يأتون عليه في الشهور التي تسبقه وتليه، ليحولوه من شهر الصوم إلى شهر الأكل، وصارت لرمضان صورتان عند النسبة الكاسحة من العوام، صورة في النهار، حيث الامتناع عن الأكل والشرب وخلافه من الخدمات التي تقدم للجسد، وصورة في الليل حيث يصبح الجسم سيدا، بخلاياه وغرائزه وأشواقه، وتتوارى الروح في ركن من النسيان والإهمال.

وهذا الفصام المزمن، الذي طالما رصدته أقلام وعدسات في أقصى الشرق والغرب، أضر بصورة المسلمين إلى حد كبير، وجعلهم عبئا على دينهم الذي ينطوي على قيم روحية سامية من دون أن يهمل الجسد ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق﴾ (الأعراف:٣٢)، ويجعل للآخرة الأولوية من دون أن يغفل الدنيا ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص: ٧٧) لكننا جرنا على هذا التوازن، وخرجنا عن تلك الوسطية، فأعطينا للأدنى أولوية على الأعلى، ودسنا بأقدامنا المعاني الكبرى التي من أجلها شرع الله الصوم.

لقد بح صوت من ينادون كل عام في أمة محمد لتعود إلى رشدها وتتوب عن غيها، ولتتعامل مع رمضان بنزاهة وعدل يليق بما ورد عن الشهر الفضيل في محكم التنزيل، وفي ما كان يفعله الرسول الكريم ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، لكن الناس آفتهم النسيان، وهذه ليست آفة المسلمين وحدهم، بل آفة البشرية جمعاء، التي تحول أغلبها إلى آلة استهلاكية نهمة، فصار الإنسان سلعة، تباع وتشترى، مع أنه خليفة الله في أرضه.

وقد آن الأوان أن تنتهي هذه الغفلة إلى غير رجعة، ويذوب هذا النسيان بلا عودة، ويؤوب المسلمون عن بكرة أبيهم إلى طريقة الصوم التي تتفق مع النص المؤسس والفعل الأمثل، وفي هذا خير لنا مثلما كان خيرا عميما للرعيل الأول الذي تحلق حول الرسول ﷺ، حيث شهد زمانهم رجالا أدركوا كنه رمضان ومعناه، وحكمة الصوم ومراميها، فقاموا بها على أفضل وجه، فانعكست إيجابيا على سائر حياتهم، التي زاوجوا فيها بين العبادة والعمل، وأدوا كل ما هو مطلوب بإتقان.

ولا تكونوا كالَّتي نَقَضَتْ غَزْلَها

د. محمد اقصري

يقول الله عز وجل ﴿ولا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ (النحل: ٩٢)، ذكر الطبري في تفسيره (١) أن المرأة المقصودة من الآية الكريمة تدعى خَرْقاءُ وهي امرأة حمقاء معروفة بمكة كانت إذا أبرمت غزلها نقضته. قال قتادة: لو سمعتم أن امرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحمق هذه!... وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده ونقضه تشبيها له بالمرأة التي تفعل ذلك.

كم من شخص غزل غزلاً خلال شهر رمضان وسرعان ما نقضه عند بزوغ فجر عيد الفطر

كان هذا المدخل ضروريا لقياس ما كان الناس عليه في رمضان، وما يكونون عليه بعد خروج رمضان على ما كانت عليه خرقاء الحمقاء.

كم من شخص غزل غزلا خلال شهر رمضان وسرعان ما نقضه عند بزوغ فجر يوم عيد الفطر.

فشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، هو شهر الصيام والقيام، وهو شهر الذكر والدعاء والاستغفار، وهو الشهر الذي يلتزم فيه المسلم بتعاليم دينه أكثر من غيره من الشهور وفاء لبعض عهده مع ربه الذي أمره بالتقوى والصلاح، والابتعاد عن قول الزور والعمل به، وتجنب الرفث والصخب أثناء الصيام، والتعفف عن أموال الناس ومحارمهم، وغير ذلك من الطاعات التي تقرب إلى رب السماوات وتجني الكثير من الحسنات، وتُنجي من المهلكات.

لكن ماذا بعد خروج رمضان؟ هل يستمر العبد متمسكا بعهده مع الله أم ينكث عهده كالحمقاء المكية التي تنقض غزلها؟ هذا السؤال لا يحتاج إلى جواب لأن الناس يرى بعضهم البعض كيف يكونون خلال شهر رمضان، كما يعرفون أنفسهم وأحوالهم كيف تتغير وتتبدل بعد خروج الشهر الفضيل، إلا القليل منهم، والصابرون الثابتون أقل من ذلك القليل.

فالمسلمون - معظمهم - خلال شهر رمضان يحرصون على الطاعات وفعل الخيرات، وكأن هذا خاص برمضان، صحيح ميز الله رمضان عن غيره من الشهور بعدة أمور، منها أن الصوم الواجب لا يكون إلا فيه فإن صام المكلف صوما واجبا في غيره يكون على سبيل النذر أو القضاء، ومنها أن الشياطين تصفد فيه، ومنها أن ليلة القدر تصادف ليلة من لياليه، وعمل الخير فيها يفضل عمل الخير في ألف شهر، وغير ذلك من المزايا التي يعرفها المسلم. إلا أن المكلف عليه أن يعرف أن رمضان مدرسة لتربية النفس وترويضها وتعويدها على فعل الخير، بحيث يستمر ولا ينقطع، فيعم كل الشهور ولا يخص رمضان، لأن الشارع الحكيم يأمر بفعل الخير على العموم والإطلاق دون تقييد أو تخصيص، لكن من غير غلو أو تنطع بل بالتوسط والاعتدال الذي هو الصراط المستقيم.

وفيما يلي بعض النماذج من الأعمال الصالحة أذكر بها المسلمين ليستمروا على الوفاء بعهدهم مع الله، إنماء لغزلهم وزيادة فيه فلا ينتقض ويبطل.

الصوم: واجب في رمضان مستحب في غيره، ومن الصوم المستحب صيام ستة أيام من شوال لقوله ﷺ «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فقد صام الدهر» (رواه الترمذي)، والحسنة بعشر أمثالها، فشهر رمضان بعشرة أشهر وستة أيام بشهرين، فهو عام كامل. ولكيلا يتخرم الدهر فإن المكلف الذي صام ستة أيام من شوال بعد رمضان، ينبغي عليه أن يستمر في صيام ستة أيام من شوال عقب كل رمضان ليكتمل الأجر لكل حلقات السنين دون انقطاع، وإذا وجد المكلف في نفسه قوة وعزيمة على حصد المزيد من حسنات الصيام فيندب له أن يصوم الاثنين والخميس، والأيام البيض من كل شهر، وعاشوراء، وعرفة إن لم يكن واقفا عليه.

الصلاة: الواجب منها خمس فرائض بين اليوم والليلة، وفي رمضان يحرص المسلم على أدائها في وقتها ومع الجماعة، كما يحرص على صلاة التراويح، وبعد خروج رمضان نجده يسهو عنها بحيث لا يؤديها في وقتها بل يقضيها، كما لا يصلي

نوافلها ويتهاون عن قيام الليل، وأحرى أن يصلي ركعتي الفجر مع أن الرسول ﷺ رغب فيهما في قوله «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» (رواه مسلم)، وهو بتقاعسه وإهماله «ينقض غزله» ويضيع حب الله له، لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه «... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ...» (رواه البخاري).

البذل والعطاء: يقول الله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الاحزاب: ٢١)، وجاء في الصحيحين عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال «كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل في كل ليلة، فيدارسه القرآن، فلرسولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» (رواه البخاري)، والمسلمون كرام في رمضان يكثرون من الصدقات وإعانة المحتاجين، حيث يساعدون بالمال وطعام الإفطار والسحور طوال الشهر، وتنشط جمعيات كثيرة في هذا المجال على امتداد الكرة الأرضية، بل في البلاد غير الإسلامية يأكل مع المسلمين غيرُ المسلمين من هذه الوجبات، وفي هذا الكثير من الدلالات، إلا أنه بعد ذلك تفتر روح التضامن مع المحتاجين والفقراء، وكأن آخر عمل تضامني مالي يقدمه المسلم لأخيه المسلم الضعيف، زكاة الفطر، لهذا يجب على المسلم أن يتفطن ويفهم أن الفقراء موجودون طوال السنة، كما يجب عليه أن يعرف أن الله أودع في الصدقات خيرا عميما قلتْ أم كثرت، في رمضان

وبعده، فيكفي المتصدق شرفا أن صدقته قرض لله عز وجل، ويكفيه شرفا أن الله يأخذها بيمينه فيربيها، حتى تصبح مثل الجبل، ويكفيه شرفا أنه إن أخفاها بحيث لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، أصبح من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

التوبة: شهر رمضان شهر التوبة والغفران، وهو مناسبة روحانية تشجع الغافلين على الرجوع إلى الله والتوبة إليه، بالإقلاع عن فعل المعاصي مع توطيد النفس على عدم الرجوع إليها، ولعل المرحلة الصعبة في كل ذلك هي مرحلة البداية، وهذا الشهر الفضيل يقدمها لأن المكلف يصبر على شهوتي البطن والفرج من جوع وعطش وجماع، كما يصبر عن العادات السيئة من تدخين وسهر في أماكن اللهو وغيرها، فإذا أقلع المكلف عن ذلك في رمضان فكيف تطاوعه نفسه على الرجوع إليها بعد خروجه، هذا لأن رمضان مدرسة لتربية النفس وترويضها على فعل الخير، لذلك فإن المكلف التائب إلى الله توبة نصوحا عليه أن يستمر على عهده مع الله، فلا ينقض ما غزله في رمضان من طاعات.

وهكذا فإن كل مكلف منا يعرف الأمور التي يجتهد فيها خلال شهر رمضان، تقربا إلى الله عز وجل، كما يعلم ما يقصر فيه بعد خروجه، وقدمت نماذج على سبيل المثال لا الحصر لأن أعمال الخير كثيرة، فقد يكون مكلف مقصر في البر بوالديه، وقد يكون آخر مقصر في صلة رحمه وزيارة أقاربه، وقد يكون آخر مقصر بعدم الاهتمام بالصلاة مع الجماعة، وقد يكون آخر مقصر بعدم استغلال وقته فيما يرضي الله .. وهكذا.

في الختام أعود فأقول بأن شهر رمضان مدرسة لتربية النفس وترويضها على الطاعات. والمسلم يجب عليه الوفاء بعهده مع الله بحيث يستمر بل يجتهد ويثابر في المداومة على الطاعات لينفع نفسه في دنياه وعقباه، ويساهم في تطور أمته ومجتمعه. والمهم أن يداوم ويستمر، ولا يبالي أن يكون عمله قليلا، لأن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع وقد قال رسول الله ﷺ «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» (رواه البخاري)، فداوم على الخيرات وفقك الله.

الفهرس

١- جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري: ج ١٧ ص ٢٨٤.

شهر رمضان وفوائده التربوية

فاطمة الدعي

إذا كانت الأمم تهتم بإعداد الأطفال وتأهيلهم وفق ما تراه من مبادئ وقيم، فحري بالمسلمين أن يهتموا بأبنائهم أشد الاهتمام تربية وإعداداً، تربية تؤهلهم لحمل رسالة هذه الأمة، وإعداداً يُعدهم لدخول مدرسة الحياة بكل آمالها وآلامها.. لذلك كان من أهم ما ينبغي الاهتمام به والحرص عليه تعويد الأبناء على أداء فرائض دينهم، وتربيتهم عليها منذ وقت مبكر، كيلا يَشق الأمر عليهم حين البلوغ، ولهذا وجدنا رسول الله ﷺ يَحُث أولياء الأمور على تربية الأبناء على تعاليم دينهم منذ وقت مبكر من أعمارهم، فيقول «مُروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه أبوداود) وتدريب الأبناء وتعويدهم على صيام شهر رمضان يندرج تحت هذا الأمر النبوي.

لا شك أن هذا الشهر يعد فرصة عظيمة، ومناسبة فريدة يستطيع الأهل من خلالها أن يعودوا أبناءهم على أداء الصيام خاصة، وتعاليم الإسلام عامة، كالصلاة، وقراءة القرآن، وحسن الخلق، واحترام الوقت والنظام، ونحو ذلك من الأحكام والآداب الإسلامية التي ربما لا يُسعف الوقت في غير رمضان لتعليمها وتلقينها.

ومن المهم أن يقترن الصوم في حياة الناشئة بذكريات مفرحة وسارة، ما يشجع الطفل ويحفزه على انتظار شهر الصوم بتلهف وترقب، لما استودع في ذاكرته من أحداث مفرحة إبان فترة صومه الأولى.

وينبغي التنبيه في هذا المقام إلى خطأ يرتكبه بعض أولياء الأمور، وذلك أنهم يمنعون أبناءهم الصغار من الصوم بحجة الخوف على صحتهم، أو بحجة أنهم لم يبلغوا السن التي يجب عليهم فيها الصوم، وفي هذا السلوك إساءة للأبناء من حيث إرادة الإحسان إليهم.

فعلى الأهل أن يتنبهوا لمثل هذه الأمور، وأن يستثمروا إقبال أبنائهم على الصوم، وذلك بتشجيعهم والأخذ بأيديهم على نهج هذا الدرب الذي يحتاج السير فيه إلى دعم معنوي من الأهل قبل كل شيء. ولنا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرام أسوة حسنة، إذ إنهم كانوا يُعودون أبناءهم منذ نعومة أظفارهم على الصيام، وكانوا يصنعون لهم الألعاب المسلية، يتلهون بها وقت الصيام، ريثما يحين وقت الإفطار، كما ثبت ذلك في الصحيحين.

لذلك فمن الأهمية تعويد الأطفال على الصيام منذ الصغر وذلك بتهيئتهم نفسياً للصيام من خلال:

- التدريج في الصيام، حيث يتم التغاضي عن أخطاء الأطفال في الصيام في أول مرحلة، فلو شرب مثلا لا يتم تعنيفه بشدة وإنما حثه على إكمال الصيام شيئا فشيئا وهكذا.
- التشجيع المستمر فإنه حافز قوي للكبار فضلا عن الأطفال.
- مدح الطفل الصائم أمام الآخرين، أو الإخبار بأنه استطاع أن يصوم هذا اليوم، أو تكريمه عند الإفطار بالجلوس مع الكبار الصائمين وإظهار الاهتمام به، أو إعداد الأطعمة التي يحبها، لأنه صائم.
- إذا كان في البيت أكثر من طفل فلتحي الأم بينهم روح التنافس على الصوم والعمل الصالح وتعدهم بالهدايا لمن أتم صيام رمضان كاملا، ثم لتنفذ ما وعدتهم به بعد ذلك.
- استخدام الإيحاء الإيجابي في تربية الطفل وأنه يستطيع أن يمتلك إرادة قوية من خلال صبره على الصيام وسيثبت لنفسه وللآخرين أن همته عالية عندما يستطيع إكمال صيامه كالكبار.

ويعتبر شهر رمضان مدرسة إيمانية كبرى تستطيع الأم إذا أحسنت استغلالها أن تخرج بدروس كثيرة في تربية النفس وتعويدها على طاعة خالقها.

وتذكري قول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

ثم توجهي إلى الله بالدعاء والتضرع بين يدي الله بأن يبارك لك ولأبنائك الوقت وأن يصلحهم ويهديهم لأحسن الأخلاق.

من مدارس رمضان

فجر الكوس

إن لرمضان مدارس عديدة تعلم النفس الفضيلة وتزين لها الطاعة وتحفزها على العبادة وتجعلها ترقى وتتقدم فيه، ولقد أردت أن أذكر نفسي وإياكم بهذه المدارس.

١- رمضان مدرسة القرآن.

لنا في رسول الله وصحابته وأتباعهم قدوة حسنة في قراءة القرآن والإكثار منه في رمضان، فلنوقد رواقد الهمم في أنفسنا ولنقودها إلى ختمه مرات عديدة ولا نجعل أنفسنا ترضى بختمه مرة واحدة اغتناما لشرف رمضان.

٢- رمضان مدرسة الجود والصدقة

قال رسول الله ﷺ «أفضل الصدقة صدقة في رمضان» (أخرجه الترمذي) فلنر الله من أنفسنا خيرا ولنعود أيدينا على السخاء والبذل دون خشية الفقر، ومن أبواب الصدقة المساهمة في الأعمال الخيرية وإفطار الصائم وإطعام الطعام والتصدق على الفقراء والمساكين.

٣- رمضان مدرسة الدعاء

إن لم نكثر الدعاء في رمضان ففي أي شهر سنكثر منه؟

ففيه القلوب المنكسرة والأنفس الذليلة لله والبطون الفارغة، وفيه نزول الملائكة وفتح أبواب الجنان، فليغتنم كل منا هذا الشهر بمضاعفة الدعاء وسؤال الله عز وجل من كل ما يرضاه.

٤ - رمضان مدرسة القيام

إن صلاة التراويح في رمضان تعودنا على القيام والاجتهاد فيه فلنعاهد أنفسنا ألا يمر رمضان إلا وقد أكثرنا من القيام في جميع لياليه، وليكن نصب أعيننا قول رسول الله ﷺ من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" فما منا من أحد إلا ويرغب في غفران ذنوبه السابقة.

٥- رمضان مدرسة الحلم

قال رسول الله ﷺ «الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم»

وهذا الحديث مدرسة لنا في اكتساب صفة الحلم في رمضان وعدم مقابلة الإساءة بمثلها والترفع عن سباب الآخرين أو مضايقتهم بالكلام الساقط وتذكيرهم بحرمة هذه الأقوال في رمضان.

أوقاتنا في رمضان

نوف الرشيدي

ها قد أتانا شهر رمضان الكريم رائعا كما هو دائما، ناشرا أواصر المودة والرحمة فيما بيننا، مشعلا حرارة الإيمان في قلوبنا ومخرجا أجمل ما لدينا من أخلاق وقيم لتهدأ بها نفوسنا وتستكين من عناء سنة كاملة مثقلة بهموم حياتنا المزدحمة وبمشاكلنا الاقتصادية وحروبنا التي لا تنتهي.

شهر رمضان مدرسة إيمانية عظيمة تدربنا على الصبر وعلى السيطرة على شهواتنا في جو يعبق بالقرآن الكريم مدويا في جنبات بيوتنا سالكا بنا طرق الصلاح والهداية.

والمرأة المسلمة لا تختلف عن الرجل فيما له وما عليه من واجبات في هذا الشهر المبارك، فهو شهر واحد فيه ثلاثون يوما أو قد تنقص، يعرض الله فيه سبحانه وتعالى فرصة عظيمة القيمة وهي فرصة العتق من النيران، مما يلزمنا تنظيم أوقاتنا فيه حتى لا تمضي هدرا دون أن نستزيد من خيره ونكون من المحرومين.

وكم من نسوة أضعن أوقاتهن في الجلسات الرمضانية المسائية يتنافسن في عرض ثياب جهزت خصوصا لتلبس في ليالي رمضان، أو كما تسمى في منطقة الخليج «الدراريع» وأيضا في السعي جاهدات لترتيب أشهى السفر وأفضلها تميزا حتى يغظن بها قريناتهن، بينما كان من الأجدر بهن أن يرتبن تجمعات نسائية لإقامة صلاة التراويح والقيام في منزل إحداهن على سبيل المثال، أو الاتفاق على إقامتها في المساجد إن قدرن على ذلك.

وسبحان الله! من أكثر الشهور التي يكثر فيها الإسراف والتبذير شهر رمضان الكريم، حيث تتسابق النساء في نهار رمضان في طبخ أحلى الأطباق وأغربها إلا من رحم ربي، بينما من المفروض أن يبادرن إلى قراءة القرآن وتدبره، فشهر رمضان هو شهر القرآن أنزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة، قال رسول الله ﷺ «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة...».

أدعياء الصوم

د.محمد حسان الطيان

ثمة أناس من أدعياء الصوم يحلو لهم أن يجعلوا من رمضان مشجبًا يعلقون عليه أخطاءهم وممارساتهم غير المرضية، بل سوء خلقهم وفظاظة تعاملهم مع الآخرين، فترى أحدهم كالقنبلة الموقوتة يجمع في صدره كل مقت الحاقدين وحنق المغيظين، فما أن يبادره مبادر بكلمة حتى ينفجر في وجهه مخرجا كل غله وضغينة قلبه، والأنكى من ذلك أنه يسوغ سوء فعله هذا بصومه أو «بأن الدنيا رمضان».

من قال لك يا هذا إن رمضان شهر سوء الخلق، وضيق الصدر والعطن، وانطلاق اللسان بما لا يحسن ذكره، ولا يحلو نطقه، ولا يجمل سمعه؟ أتُراك إن فعلت هذا مسوغا فعلتك التي فعلت بأنك صائم قبل الناس ذلك منك؟! أو رضي الله في هذا عنك؟! أم ترى شيطانك زيّن لك سوء فعلك وصدك عن السبيل ثم أمعن في إغوائك حين جعلك تتعلل لكل هذا بأن الدنيا رمضان؟!

ربنا سبحانه يقول ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ وأنت تفهمها: لعلكم تفجرون أو تسيئون!

ونبينا محمد ﷺ يقول «... والصيام جُنّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، فإن سابّه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم» (البخاري) وأنت تفهم الصوم إباحة للشتم والسب وعلة لسوء الخلق وضيق الصدر، وحجة تحتج بها لما ينطلق به لسانك من نابي القول وجارح الكلم!

أين أنت من هدي المصطفى ﷺ حين قال «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا التعب»؟!

بل أين أنت من قوله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

إن الصوم يا أخي مدرسة يتعلم فيها الصائم كيف يتخلق بأخلاق الصالحين ويرتقي في مدارج السالكين، فتصفو نفسه، ويتسع صدره، ويحلو نطقه، ويدع كل ما من شأنه أن يشوب صومه من سيئ الخلق أو فاسد العمل.

من تسول له نفسه الفساد والإفساد في وقت صفدت فيه الشياطين فهو الشيطان بعينه

وإذا كان سوء الخلق وسلاطة اللسان أمرا مذموما في سائر أيام العام، فلا شك أنه أشد ذمًّا في رمضان، إذ تصفّد الشياطين، ويذوي الشر، ويعم الخير.

ولعمري إن من تسول له نفسه الفساد والإفساد ،والسب واللعن، وسوء الخلق، في وقت صفدت فيه الشياطين، لهو الشيطان بعينه.

جاء في كلام لقمان لابنه وهو يعظه «إذا كان خازنك حفيظا وخزانتك أمينة رشدت في أمريك: دنياك وآخرتك» يعني: القلب واللسان.

وقال الشاعر:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
فليس على شيء سواه بخزّان

وإن زعم زاعم أنه مجبول على ضيق الصدر، وسرعة الغضب، وسلاطة اللسان فليعلم أن الصوم ينبغي أن يهذب من طباعه، ويحسّن من أخلاقه، لأنه إن لم يفعل ذلك ضاع صومه، وفسدت طاعته.

ولا ريب أن مثل هذا لا يتأتّى للمرء دون كظم للغيظ، وتجمل بالصبر، وتحلم وتعلم، ولقد دلنا رسولنا ﷺ على طريق ذلك بقوله «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتوخّ الخير يعطَه، ومن يتوقّ الشر يوقَه» (الألباني في السلسلة الصحيحة).

أسأل الله سبحانه أن يُخلِّقنا بخلق الصائمين الصادقين.

رمضان.. معاً في شهر الرحمة

أحمد زايدة

هـا هـي نسـمـات رمـضـان الإصلاحية المباركة تأتي برقة، وأشـعـة الـفـجـر تـطـل فتطهر القلوب بنور الطاعة من ظلمة المعصية، تظهر براقةً لتضيء أنحاء الأرض بنور الإيمان الذي يملأ النفوس قُربًا إلى الرحمن و مسارعةً إلى الإحسان وتوسلا إلى المنّان بأن يمُنّ علينا ويبلغنا الجنـان وأن يعـتق رقـابـنـا من النيران.

يـأتي رمـضـان ليوقظ الهمم بعد أن تراخت، يوفر لها الـزاد، ويجهز لها الراحلة حتى تواصل المسير وتكمل الطريق دون ملل أو نـصـب، يـأتي ليـحـفـز القلوب كـي تجـد الـسـواعـد فـي مسيرة البناء والإصـلاح التي تتجدد في هذا الشهر الكريم فتبدأ بإصلاح القـلـوب والـنـفـوس والـهـمـم لبناء الإنسان، وتنطلق بتضامن المجتمع وتراحمه لبناء المجتمع.

رمـضـان هـو شـهـر جعله الله لعباده جميعا مجددا للأمل ومحييا للعزائم، حالنا مع رمضان كحال رجـال سـار فـي صـحـراء قاحلة جدباء لا زرع فيها ولا ماء حرارتها وشمسها حارقة حتى أضناه التعب وأيقن الـهـلاك، رأى من بعيد بئر ماء بارد تحوم حوله طيور بيضاء ترفرف بجناحيها وسـط بستان مـزهـر تـفـوح مـنـه رائـحـة الـزهـور العطرة، حتى إذا ما رآه عجز لسانه عن النطق من شدة الفرح، فأسرع شاربا من مائه البـارد، مستنشقا عطر بستانه المنعش، ناعما بالظل الوفير.

هو شهر يناديك يا من يئست من مرارة المعصية.. أقدم علي تنعم بحلاوة الطاعة، أنا جوهرة مضيئة مشرقة وسـط عِقد الشـهـور، أنا لؤلؤة تتلألأ في سماء الشهور فلا تُضيعني فتضيع، يـا مـن احمرت عيـنـاه سـاهـرا فـي معصية ربـه.. تعال وأقدم فهنا المخرج، هنا بين ليالي وأيامي تجد حـلاوة الطاعة ولذة الخشوع ومعاني القرب.

هل الهدف والعبرة أن نربط الأحـزمـة ونستعد للانطلاق، فإذا كان أول يوم أو ليلة بدأنا بقراءة القرآن لنتسابق أينا يختم القرآن ثلاث أو أربع أو ست مرات، وأينا يكثر مـن الـنـوافـل والـسـنـن؟ هل الهدف أن نقف ثلاثين ليلة نصلي القيام ونبكي خلالها، وبعد انتهائها كأن شيئا لم يحدث؟ إنها لمصيبة فعلا أن تكون كل هـذه الفضائل العظيمة فـي هذا الشهر العظيم ونجهل ما هو الهدف السامي من وراء هذا الشهر، والله ما ضيعنا وأخـرنـا إلا أننـا نسـينـا أهـداف وغـايـات مـا نـقـوم بـه مـن عـبـادات وأعـمـال.. إن هـذا الشـهـر فضله الله تعالى بكل هذه الفضائل ليكون محور انطلاق لهذه الأمـة؛ ليكون شـهـرا تتربى فيه الأمـة وتنهض؛ ليـزداد إيمانها وتفهم مكنون هذا الشهر فتتزود منه وتنطلق معمرة فـي كل أرض الـلـه بـنـاءة مصلحة لـتـكـون بـحـق خـيـر أمـة أخـرجـت للناس وتتحمل مهمة الاستخلاف في أرض الله، فما الفائدة من أن نقف نصلي ونبكي بحرقة وعندما ينتهي رمضان ننسى كل شيء ولا يترك هـذا الشهر الكريم بصماته علينا فـي كل شـيء مـن أخلاقنا وأعمالنا وتصرفاتنا ومعاملاتنا.

هـذا الـشـهـر يـقـول لـنـا: أنـا مدرسة من تخرج منها بتفوق ونجاح سلك الطريق الصحيح المستقيم الذي يوصله إلى بر الأمـان.. هذا الشهر يعلمك قيما غالية وأسسا متينة على أسـاسـهـا ينشأ المؤمن وعلى أركانها يبنى المجتمع السليم، يعلمك الإخلاص والحرية ومشاركة الآخرين في مجتمعك والعمل على إصـلاحـه، يعلمك أن تكون عبدًا لله تعالى فتأنف أن تكون عبدًا لأي أحـد سـواه، سـواء لـظـلـم أو شهوة أو جاه أو منصب وسلطان، فتتخرج من هذه المدرسة بشحنة إيمـانـيـة تنطلق مـن خـلالـهـا فـرداً مسلماً مؤمنا مستقيما صالحا في نفسك، تراقب ربك، مخلصاً في عملك، رافضا للخطأ، تقول الحق، متضامنا مع مجتمعك مصلحا له، وتعمل على نهضته، هـذا الشهر هو شهر إعداد الأمة لتقود سفينة الإصلاح وسط الأمواج العاتية التي تُلاقيها يمنةً ويسرةً وأماماً وخلفا، هذا الشهر يشرق منه النور الذي يـلامس قـلـوب الـعـبـاد فيجعلها قـلـوبـا نـورانـيـة، ويـمـلأ نـفـوس المؤمنين فيجعلها كذلك نفوسا ربانية.

مـن عـظـمـة الإســلام وجمال فرائضه وأركانه أنه لم يشرعها لتكون فائدتها مقصورة على ذات المتعبد وشـخـصـه، بـل إنـه ربـط قبولها وإتمامها بظهور نتائجها وأثرها على الشخص وأخلاقه وسلوكه بحيث يتعدى نفعها إلى المجتمع ومن حوله من الناس، فيكون تعبده إصلاحا لنفسه وإصلاحا للمُجتمع كذلك من حوله.

فالفرائض والعبادات ومن بينها الصوم مدرسة عملية تُهذب الأخلاق وتُحسن السلوك، فعلينا أن نجتهد في أن نستشعر هذه المعاني في عباداتنا لنعبد الله بحق كما أراد، بقلوبنا وأرواحنا قبل أجسادنا.

قليل من التدبر في هذا الشهر الكريم يشعرنا أنه بحق شهر الإنسانية؛ فالجميع يجتمع حول موائد الإفطار في الشوارع والطُرقات، والجميع يشعر بشيء من الفرحة والسرور بداخله بالتناسب مع تلك الأجواء الرمضانية والبهجة التي ترتسم على وجوه الجميع، والزينات التي تُعلق في جميع الأماكن، والصوم في الأصل هو قاسم مشترك بين جميع الأديان السماوية، قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣).

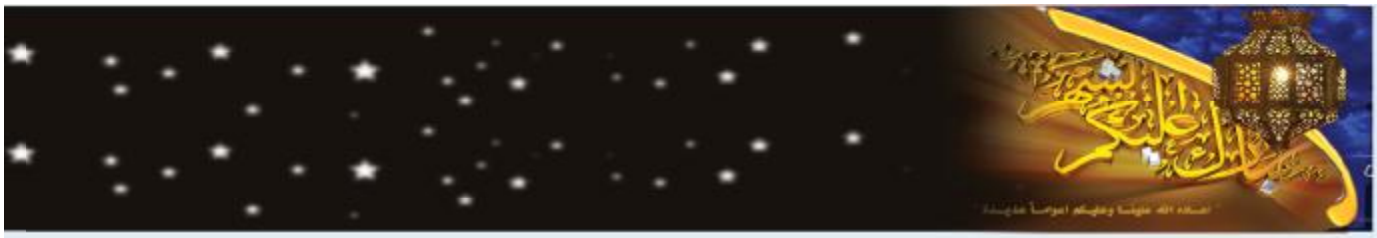

آفاق من الإعجاز العلمي في الصيام

أ.د. عبدالقادر الحبيطي

فرض الله سبحانه وتعالى صيام شهر رمضان، كما شرع الرسول الكريم ﷺ الصيام تطوعا في بعض الأيام من السنة، وقد اجتهد العلماء في بيان الحكمة من الصيام، علما بأنها واردة بنص الآية الكريمة التي فرض فيها الصوم في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة:١٨٣). ففرضية الصيام معللة في هذه الآية الكريمة بأنه يرجى عن طريقه التوصل إلى منزلة التقوى، وللعلماء كلام مستفيض في بيان منطويات كلمة (التقوى).

وقد ثبت حديثا أن للصيام فوائد صحية متعددة لجهاز المناعة وللجهاز الدوري والقلب وللجهاز الهضمي وللجهاز البولي، كما أن فيه الوقاية من أمراض اخرى يعاني منها الكثير من الناس، وقد سجلت هذه التأثيرات المفيدة للصيام على المستوى الوظيفي للخلايا والأنسجة، وقد تأكدت بالدراسات الكيميائية والعملية.

كيمياء جسم الإنسان

للتعرف على بعض الفوائد الصحية للصيام لا بد من ذكر العمليتين الكيميائيتين اللتين تحدثان داخل أجسامنا وهما:

عملية الهدم Catabolism

عملية البناء Anabolism

وتجري كلتا العمليتين باستمرار في أجسامنا تحت مظلة ما يعرف بالاستقلاب (Metabolism)، وفي أثناء فترة الصيام تنشط عملية الهدم حيث يقوم الجسم باستهلاك وتدمير الخلايا القديمة (الهرمة والمريضة) في الأعضاء المختلفة، واستهلاك الدهون المختزنة في أنسجة الجسم وأعضائه التي ثبتت أضرارها وأخطارها الصحية، ثم تنشط بعدها عملية البناء بعد الإفطار، ولهذا فإن نظام الصوم في الإسلام المتمثل في الامتناع عن الطعام والشراب لمدة تقارب الأربع عشرة ساعة أو أكثر ثم تتبعه بضع ساعات من السماح بتناول الطعام إنما هو نظام مثالي لتنشيط عمليتي الهدم والبناء لصالح ازدهار صحة الإنسان في أعماق خلاياه وأنسجته وأعضائه، والموقف الإيجابي لدى المسلم تنجم عنه فوائد نفسية وروحية للصائم كالزيادة في هرمونات الجسم الداخلية مثل مجموعة الأندروفينات، والتي يعزى إليها تحسن قدرة الصائم على بذل الجهد البدني، وكذلك قلة الشعور بالإعياء والتعب خلافا لما يعتقده بعض الناس من أن الصيام يسبب الوهن الجسدي والإعياء، واعتقادهم هذا مجرد فرضية لا أساس لها من الصحة وبالتالي فإن كثيرا من الصائمين يخفض ساعات العمل أثناء صيام النهار ويخلد للراحة والنوم، وقد ثبت علميا أن الصيام ليس له أي تأثير سلبي على الأداء العضلي أو تحمل الجهد البدني كما أنه لا يؤدي إلى أي من مظاهر الإرهاق والإجهاد، بل العكس هو الصحيح، لأن نتائج البحوث أظهرت تحسنا في القدرة على تحمل الجهد البدني وفي كفاءة الأداء العضلي أثناء الصيام، كما ظهر تحسن في درجة الشعور بالإرهاق.

ما التفسير الحيوي لذلك؟

لقد أظهرت دراسات عديدة أن الصوم يسبب زيادة في الأحماض الدهنية الحرة Free Fatty Acids في الدم، إذ ينجم عن الحركة والنشاط البدني أثناء الصوم في البداية زيادة في تصنيع جلوكوز جديد في الكبد (بتحويل الجلايكوجين فيه إلى جلوكوز) ويزداد إنتاج الجلوكوز بازياد الجهد العضلي، وبعد استهلاك الجلوكوز القادم من الكبد يتجه الجسم إلى الدهون (المخزون الشحمي) في النسج المختلفة للحصول على الطاقة، فيقوم بتحرير الأحماض الدهنية من هذه النسج مثل منطقة البطن والأرداف والأحشاء ثم بأكسدة وحرق هذه الدهون لتوليد الطاقة، ولهذا فإن الحركة والنشاط أثناء الصيام إنما هي عمل إيجابي وحيوي يزيد من نشاط عمل الكبد والعضلات، ويخلص الجسم من تراكم الشحوم (السمنة) ومن السموم المختزنة في هذه الشحوم والتي تشكل عبئا على القلب وتسبب أضراراً صحية عديدة وخاصة على الجهاز الدوري والقلب وعلى البنكرياس، مما قد يسبب ظهور مرض السكري لدى البدناء أكثر من غيرهم.

وبشكل عام فإن الحركة والنشاط أثناء الصيام يقومان بدور تنشيط الكبد خلال النهار، فتتحرك كمية الطاقة المختزنة فيه مما يؤدي بعد ذلك إلى تحرير

أستاذ في جامعة أم القرى سابقا

الأحماض الدهنية في مجرى الدم حيث يجري حرقها والاستفادة منها في توليد الطاقة، وكذلك فإنها تنظف الأعضاء من السموم المتراكمة في الأنسجة وخصوصا الأنسجة المختزنة للدهون، وهذه الوظيفة هي أساسا من وظائف الكبد، أما كثرة النوم والكسل والخمول أثناء النهار فتعطل هذه الفوائد كما تعطل عمليات الهدم الإيجابي المفيد للتخلص من الخلايا الهرمة ومن الشحوم والسموم فيبقى المخزون الدهني والسموم الكامنة فيه كما هي في الجسم، وهكذا يتضح أن الصوم يسبب زيادة الأحماض الدهنية الحرة في الدم فتصبح المصدر الرئيسي للطاقة بدلا من الجلوكوز، وهذا يساعد أيضا في حماية مستوى الجلوكوز في الدم، أي أن الصيام يجعل الجسم يتجه إلى استخدام المصادر الداخلية للطاقة بدلا من المصادر الخارجية التي تستخدم في الظروف الاعتيادية في الأيام التي لا صيام فيها.

أدلة تاريخية

ولعلنا في هذا السياق نتذكر أن معركة بدر الكبرى كانت في السابع عشر من رمضان والمسلمون صائمون، وقد كان أداؤهم أثناء القتال متميزا، ونصرهم الله تعالى نصرا عزيزا، مما يؤكد بالدليل الواقعي العملي قوة تحمل الأشخاص للجهد البدني والنفسي أثناء الصوم، وأمثال ذلك كثير.

اضطرابات الساعة البيولوجية

وثمة خطأ يقع فيه كثير من الناس، إذ ينامون كثيرا أثناء النهار ويسهرون طوال الليل أثناء رمضان، ما يؤدي إلى اضطراب الساعة البيولوجية للحركة والنشاط المرتبطة بإفراز هرمونات معينة تساعد على النشاط نهارا (مثل الكورتيزون) والنوم ليلا (مثل هرمون الميلاتونين)، وليس هذا من أهداف الصوم وينبغي تجنبه.

للصوم فوائد جمة للإنسان منها ما هو متصل بسموه الخلقي والروحي ومنها ما هو متصل بإضفاء الصحة على جسمه

الصوم أفضل وسيلة لمعالجة السمنة

تبين مما سبق ومن دراسات كثيرة أن الصيام الذي يتبعه إفطار معتدل متوازن يساعد على خفض الوزن لدى المصابين بالسمنة، ولكنه لا يؤثر في الأشخاص ذوي الوزن المعتدل، والدراسات العلمية تؤكد أن السمنة ذات آثار ضارة على الصحة فهي تسبب أمراضا كثيرة كارتفاع ضغط الدم وارتفاع نسبة الكوليسترول والإصابة بمرض السكري (النوع الثاني)، وتشجع على الإصابة بأمراض القلب والأوعية.

فنسبة الإصابة بارتفاع ضغط الدم عند البدينين ثلاثة أضعاف نظرائهم من ذوي الوزن المثالي، علما بأن الضغط يؤدي إلى الاصابة بأمراض القلب وتصلب الشرايين وفشل عضلة القلب، والخثرات في الدماغ (الذي يتبعه الشلل) وغير ذلك، كما أن ارتفاع نسبة الكوليسترول تؤدي إلى تصلب الشرايين والذبحة الصدرية، وكذلك فإن زيادة الوزن تؤدي إلى الاصابة بمرض السكري بمقدار ضعفين إلى عشرة أضعاف مقارنة بذوي الوزن المثالي، وتتوقف نسبة هذه الزيادة على مقدار الزيادة في الوزن.

ولمرض السكري تأثيرات خطرة تتمثل في أمراض القلب والأوعية واعتلال شبكية العين والفشل الكلوي واعتلال الأعصاب.

الصوم يؤخر الشيخوخة ويقي من الأمراض

تبين من دراسات أجراها معهد الصحة العالمي (IHI) في أميركا أن تخفيض نسبة السعرات الحرارية المتناولة يوميا يؤخر ظهور أعراض الشيخوخة ويقوي جهاز المناعة وفقا لأبحاث أجريت في جامعة ويسكنس (Wisconsin University)، شريطة أن يكون الغذاء صحيا ومتوازنا، كما أجريت أبحاث اخرى في جامعة ميرلاند الأميركية تبين فيها أن الإقلال من الطعام أدى إلى انخفاض نسبة الإصابة بأمراض السكري والقلب والسرطان.

الصوم والهدوء النفسي

من توجيهات الرسول الكريم ﷺ للصائم أن يلتزم بالسكينة والهدوء، وأن يبتعد بنفسه عن انفعالات الغضب والتوتر والشدة النفسية، وذلك لما لها من آثار ضارة على مستوى حياة الإنسان وسلامته، وعلى مستوى استفادته من صيامه أيضا.

أما وقد انتصر الصائم على نفسه بالإمساك عن الطعام والشراب وغيره من الشهوات ولو كان مبذولا وحلالا، فعليه أن ينتصر على نفسه ويملك زمامها في مجال العلاقات الإنسانية، فيتصف بالحلم والسكينة والهدوء والحكمة في معالجة المواقف المثيرة للغضب والشدة النفسية، قال ﷺ «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم» (متفق عليه).

ويجب التعلم من مواقف بعض العلماء الأعلام الذين أعطونا دروسا سامية في كيفية معالجة مثل هذه المواقف بالحكمة، والترفع عن النزول إلى مستوى السفهاء من الناس، فأحد هؤلاء العلماء الأفاضل أغلظ أحدهم له بالقول فما كان منه إلا أن واجهه بهدوء قائلاً: إنما هي صحيفتك فاملأها بماتشاء، فأسقط في يد المهاجم وانصرف.

مسك الختام

لقد تبين من هذا البحث الوجيز أن في الصوم فوائد جمة للإنسان، منها ما هو متصل بسموه النفسي والخلقي والروحي، ومنها ما هو متصل بإضفاء الصحة والعافية على جسمه وتخليصه من السمنة وما يتصل بها من أمراض، وتنقية جسمه من السموم والآفات، كما يعيد بناء أنسجته وخلاياه ويجددها فيطلق طاقاته وحيويته بما يعود عليه بأفضل النتائج في صحته وسلامته ووقايته من الأمراض الوبيلة، وصدق ربنا عز وجل اذ يقول ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ (البقرة:١٨٤) وكما قيل «صوموا تصحوا» (ضعيف الجامع) والحمد لله على ما هدانا إليه وأحاطنا به من الرعاية والعناية ﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ (النحل:٧).

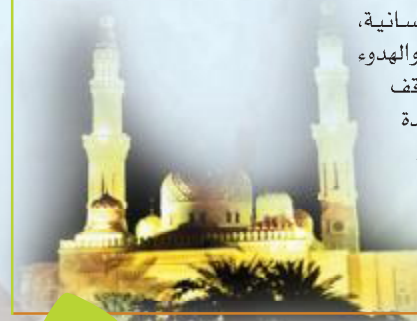

ماذا يقرأ المفكرون والأدباء في رمضان؟

صلاح رشيد

يجيء شهر رمضان لتجديد الفكر وضخ شرايين الحيوية، وإصلاح الرؤية وتعمير القلوب والعقول بزاد روحي خصب، فهو المدرسة الإيمانية والروحية التي يتعلم فيها المرء الدروس والعبر، وهو- أيضاً- البطارية التي تشحن النفوس وتصقل الأرواح، وتنقي الأجساد لتعود إلى نقائها النفس المؤمنة، ولتبتعد عن أوشاب الأرض وبهرجها الأفئدة المتوضئة.

في الاستطلاع التالي، يقص علينا المفكرون والأدباء يومياتهم الرمضانية، وكيف يقضون أوقاتهم في هذا الشهر، وما هي أحب الكتب التي يحرصون على مطالعتها.. ولماذا هذه الكتب بالذات؟

خطة رمضانية للقراءة

في البدء يحرص فضيلة د.عبدالصبور شاهين- المفكر الإسلامي الكبير- على مراجعة القرآن الكريم كل خمسة أيام في رمضان، ويبدأ بعد صلاة الفجر في القراءة والمراجعة إلى وقت الضحى، وبعدها يخلد للراحة، ثم بعد صلاة العصر، يأخذ في القراءة المنهجية التي وضعها لنفسه هذا العام، وهي تتضمن كتاب «المقاصد الشرعية» للعلامة يوسف القرضاوي، الصادر مؤخراً، وبعض كتب فضيلة الشيخ الغزالي، وهي (فقه السيرة، وجدد حياتك، وعلل وأدوية) وكذلك الرجوع إلى تفسير «في ظلال القرآن» لسيد قطب، وبعض كتب السلف الصالح كابن تيمية وابن القيم، إلى جانب كتب الأدب واللغة والنحو والرقائق.

إسلاميات العقاد

أما الأديب الإسلامي والناقد محمد عبدالشافي القوصي فيؤكد أنه خصص هذا الشهر لتدبر كتاب الله أولاً، ولإعادة قراءة «إسلاميات العقاد»، وهي العبقريات التي بعنوان (عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، عبقرية الصديق، عبقرية عمر، عبقرية الإمام، وعبقرية خالد بن الوليد) لأنها سياحة فكرية ودينية وحضارية عظيمة، بقلم عملاق الأدب والفكر في العصر الحديث عباس محمود العقاد، وهي تحمل رؤية جديدة لتاريخنا الأصيل، ومناقشة عقلية ومنطقية للأمور والقضايا الشائكة في تراثنا، ولقد جلاها قلم العقاد وحللها وشرحها، وردها إلى حلول لم تتأت لغيره من المفكرين! مؤكداً أن العقاد كان يكتب للغربيين وللآخر في عرضه العلمي والمنهجي للإسلام ورجاله.

مع علماء الأندلس

ويقرأ د.الطاهر أحمد مكي- المفكر الكبير- في شهر رمضان، إلى جانب القرآن الكريم وكتب السنة المطهرة، كتابات علماء الأندلس الزاهرة، من قبيل ابن حزم وابن عربي، وابن سبعين وموسى بن عزرا وابن طفيل وابن مسرة، علاوة على أنه عاكف الآن، وخلال شهر الصيام، على كتابة سيرته الذاتية، وهي تجربة حياة مديدة عاصر فيها أجيالا عدة، وكان شاهداً على عصور الملكية والجمهورية، وعايش فترة الازدهار الأدبي والفكري في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، وهي بعنوان «صعيدي في القاهرة»، وهي قصة حياة لناقد أدبي فذ استطاع أن يكتب اسمه في سجل الكبار، عربياً وأكاديمياً، بفضل كتاباته المتميزة، وترجماته الرائعة، وتحقيقاته الرصينة، ونقده الأمين، وآرائه غير المسبوقة، و ستكون كاشفة عن خبايا وخفايا أمور كثيرة.

ويستعد أستاذنا د.الطاهر مكي لإصدار أحدث مؤلفاته في الأدب الإسلامي المقارن وهو بعنوان «الحب بين ابن حزم ودانتي».

الموازنة بين المفسرين

ويخصص د.محمود محمد عبدالقادر- أستاذ التاريخ والحضارة بجامعة حلوان- أجواء رمضان لمعايشة القرآن الكريم قراءة وتدبراً واستيعاباً وتفسيراً وشرحاً، حيث يطالع أمهات كتب التفسير، وهي (ابن كثير، والطبري، والقرطبي، والرازي، والزمخشري، والشعراوي، ومحمد عبده، وقطب، وطنطاوي جوهري، وشوقي ضيف، والطاهر ابن عاشور، وسيد طنطاوي) ويوازن بينها، وهي دراسة لأساليب وطرائق ومناهج المفسرين، بدأها منذ ثماني

د.الطاهر مكي: مع القرآن وعلماء الأندلس أعيش روحانيات الصيام

سنوات، ومايزال يحرص على إكمالها، وهو الآن في الجزء الخامس عشر، ويقول: «وهي دراسة طويلة وصعبة وشاقة، لكنها جميلة وممتعة، ومحببة إلى النفس، وأرجو من الله أن يمد في عمري حتى أكملها».

حب آل البيت

ويشير الأديب والشاعر سيد سليم إلى أنه يكتفي في هذا الشهر العظيم بكتاب الله المقروء، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقراءة المدائح النبوية، وما قيل في حب آل البيت عليهم رضوان الله وسلامه، كما أنه يستعد لإصدار كتاب جديد في الأدب الإسلامي عن آل البيت وشعرائهم منذ القديم وحتى الآن.

مراجعة التراث

ويؤكد الشاعر والباحث ياسر محمد غريب على أنه يستغل روحانيات شهر رمضان وفيوضاته الإيمانية في مراجعة تراثنا، لاسيما في الفقه والحديث الشريف، وأنه بصدد قراءة كتب الصحاح الستة وغيرها من دواوين الحديث، وذلك للوصول إلى غربلة تراثنا الفكري والفقهي، مما علق به من أشياء وأمور لابد من تصحيحها! وأن هذا المشروع ابتدأه منذ سنين، وأنه يواصل البحث فيه أملاً في عرض صورة صحيحة ونقية عن الإسلام الحضاري الإنساني.

العقاد مرة أخرى

أما الشاعر العراقي وجدي أبوالريحة فيقول: إنني أقضي هذا الشهر الفضيل في العبادة والطاعة، وتدبر القرآن الكريم، وقراءة عبقريات عباس محمود العقاد، هذا الرجل الذي أخلص في كتابته، وعايش التاريخ الإسلامي عن حب، فكتب خير وأجمل وأعظم كتابة، فيها الحب وعلم النفس والمنطق والتحليل العميق للشخصيات والمواقف والفلسفة والأدب الجم، بأسلوب فريد وعجيب.

مدرسة الأزهر الشريف

ويذهب الداعية الإسلامي المعتصم بالله أكرم إلى أنه يستثمر أوقات رمضان الندية والبهية في الإفادة من كتابات الدعاة الكبار من أمثال: الشيخ محمد الغزالي، ود.يوسف القرضاوي، والشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ الباقوري، والشيخ المراغي، والشيخ محمد عبده، والشيخ عبدالودود شلبي، والشيخ عبدالعظيم المطعني، ود.عبدالله شحاتة وغيرهم، في تقريب الإسلام وعرضه بصور جذابة ومقنعة ومنطقية للعوام والصغار.

وهو المنهج الفريد الذي اتبعه شيخنا الجليل الشعراوي في خواطره، التي كانت للكبار والصغار، للخاصة والعامة في آن معاً!

ولاشك أن مدرسة الأزهر المستنيرة الوسطية السمحة هي الزاد الذي نعيش في ظلاله، ونمتاح منه، ونتعرف أكثر على إسلامنا الحضاري المتجدد من خلاله.

شهر الدعاء والغفران

جاك صبري شماس

رمضانُ إني شاعرٌ نصراني
روحي العروبةُ والنخيلُ كيَاني
وإذا خَدَشْتَ مسامَ جلدي في الحمى
سالت دماءُ الضاد في شرياني
يمَّمت طُهرك والوداد يشدني
لمناهل الإحسان والعرفان
أصطافُ في جُزرِ النخيل مولَّها
ومقبِّلا وجه النبيّ الباني
وأفيءُ في حَرَمِ الصلاة مرتلا
أيَ الدعاءِ و«سورةَ الإنسان»
فيَ ليلةِ القَدْرِ المبارك وحيها
يهمي غمام الشرعِ في القرآن
ومآثرٌ عربيَّة يسمو بها
برُّ الزكاةِ وقبلَة الإيمان
وبشائرُ الإسلام تغدق بالمنى
وتفيضُ شهدا في ربى الوجدان
والمرء يجثو خاشعًا متضرِّعا
للَّه ينشقُ نَفْحة الغفران
رمضانُ جئتك والجراحُ على فمي
ودم يسيلُ بمقلتي وجَنَاني
والجامع الأقصى يداهمُ صلبه
غزوٌ يقوِّضُ بنية العمران
والقدس يلسعُ جلدها سوط الغوى
وتباحُ بالتهديدِ واستيطانِ
والنخلُ أدمت جسمه طعن المدى
واهتز وجدُ الريح والصوان
رمضانُ أين خيولنا وسيوفنا؟
أينَ الكماةُ ونخوة الفرسان
ناجيت أحفاد الرسول وشأوه
جيشا يقضُّ مضَاجعَ العُدوان
وترفرفُ الرايات في ألق الحمى
وتطلُّ فخرا رايةُ الفرسان
والعيدُ في الفطر المجيد مُبجَّل
والقدسُ تشمخ في فَمِ الأزمان

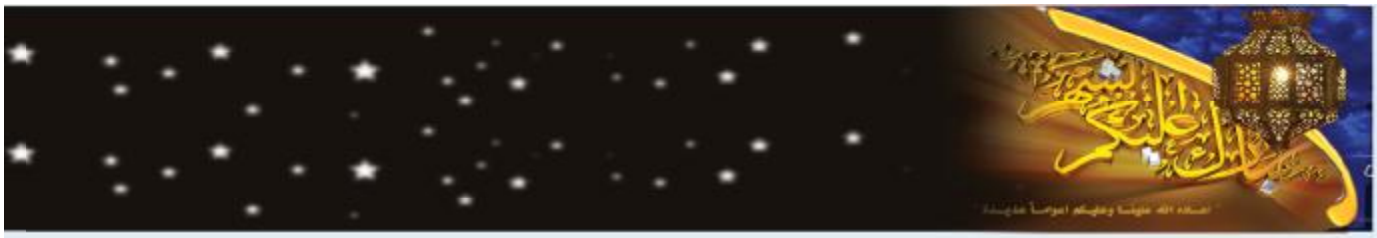

زوجك في رمضان يحتاج إلى رعاية خاصة جداً

منى السعيد

يتميز شهر رمضان المبارك بنظام خاص تتغير فيه الأوقات والعادات والطباع، تتغير مواعيد النوم والعمل، وتتغير أصناف الطعام، وتتغير شخصية المرء وطباعه وما اعتاد عليه، وهذا أمر شاق يحتاج من الزوجين إلى جهود مضاعفة تعين على ترتيب الوقت والعادات، والاستفادة من الزمن الثمين دون تقصير في حقوق الله ثم حقوق النفس والزوج والأسرة.

ومن هذه الجهود الاهتمام بإظهار مشاعر المحبة والمودة والتقارب للزوج، ومحاولة إزالة أي سوء تفاهم حتى لايعكر جو العبادة في رمضان، وتذكري قول الحبيب محمد ﷺ «إذا كان يوم صيام أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم» (السنن الكبرى للنسائي)، فامنحي زوجك رمضان مختلفًا، وعلاقة زوجية مختلفة بل ورائعة في هذا الشهر الكريم، ولاتبخلي عليه بإظهار محبتك له يوميًا، كما تقدمين له وجبات الطعام اليومية الشهية.

وكذلك إظهار التغيير في البيت بمناسبة رمضان، وخاصة في الأسبوع الأخير من شعبان، كتغيير نظام أثاث المنزل والاعتناء بالنظافة، ويمكن تعليق الزينات الجميلة والبالونات في الحجرات، وخاصة حجرة الأطفال؛ لإشعار أهل البيت بالاهتمام بالزائر الحبيب، وإدخال البهجة على كل أفراد الأسرة.

ومن مراعاة الزوجة لزوجها أن تحرص على تهيئة جو العبادة المناسب له في البيت، وأن تعينه على العبادة في ذلك الشهر الفضيل، بتجنيبه نفسها في نهار رمضان، حرصا على سلامة صومه وصومها، فالزوجة مسؤولة عن التحرز من الأحوال التي تجعل الزوج يقترب منها أثناء اليوم في رمضان، وكذلك عليها أن تتجنب التزين له مثلاً، والاقتراب منه إذا كانت تعلم أن زوجها لا يملك نفسه.

إن الخبرة وطول العشرة تعلمان الزوجة الحصيفة ما يحب زوجها وما يكره، فهو مثلاً لايحب أن يحادثه أحد بعد عودته من العمل في رمضان، ويفضل النوم بعيدًا عن ضوضاء الصغار، ويحب صنفا من أصناف الطعام ويكره آخر، ويحب وجبة السحور في ساعة معينة، فقومي بحقه على أكمل وجه، ووفري له- قدر إمكانك- السعادة والراحة.

ويجب تحمل انفعالات الزوج في رمضان التي تنتج عن التعب والعمل والصيام، مع أنه يجب عليه أن يضبط نفسه، لكن تحمل هذه الأمور التي تصدر عنه مثل العصبية الزائدة مثلاً أمر يرجى ثوابه من الكريم الوهاب، لكل زوجة تصبر على زوجها.

وعلى الزوجة أن تنصح زوجها بعدم الإكثار من ألوان الطعام والشراب في هذا الشهر، ولابد من تحديد ميزانية تتناسب مع الدخل في رمضان، حتى لا ترهق الزوجة زوجها بكثرة المشتريات في هذا الشهر الكريم.

انشري روح الإيثار على المائدة، وأطعمي أولادك وزوجك بيدك وليفعل الباقون ذلك.

منزلك هو مناط توجيهك الأول، فاحرصي أولاً على أخذ نفسك وتربيتها على الخير، ثم احرصي على من حولك من زوج وأبناء بتذكيرهم بعظم هذا الشهر، وحثهم على المحافظة على الصلاة وكثرة قراءة القرآن، وكوني آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر في منزلك بالقول الطيب، والكلمة الصادقة، وأتبعي ذلك كله بالدعاء لهم بالهداية، فهذا الشهر فرصة لمراجعة ومناصحة المقصرين والمفرطين، لعل الله عز وجل أن يهدي من حولك، فقد قال رسول الله ﷺ «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (رواه مسلم).

اتفقي مع زوجك على أن تجلسا في الليلة الأولى من رمضان لتتذكرا المعاني السامية حول فضائل رمضان، والذكريات الجميلة المتعلقة بهذا الشهر، وليكن للأولاد نصيب في هذا اللقاء.

لابد من مراعاة إيقاظ زوجك للصلوات، خصوصاً صلاة العصر، وكذلك الفجر لمن ينام متأخراً، ففي رمضان يفوت الناس غالبا صلاة العصر والفجر جماعة أكثر من أي صلاة أخرى، فينبغي عليك أن تراعي أهل بيتك من الرجال الذين تجب عليهم صلاة الجماعة في المسجد، فإنك راعية في بيت زوجك ومسؤولة عن رعيتك، ومن المسؤولية حثهم على الصلاة وإيقاظهم لها.

عاوني زوجك وأولادك على الاعتكاف، فأعدي لكل واحد حاجاته، وتناقشي معهم في ماهية وسيلة إطعامهم.

أخيرا لا يفوتك صلة الرحم وخاصة الوالدين، والاهتمام بزيارة والدي الزوج وأسرته، وودهم والبر بهم ، ولا مانع من أخذ هدية أوغيرها مثلاً؛ فالهدايا من أعظم ما يوطد العلاقة الأسرية ويغني عن كثرة التزاور، لأن ظروف رمضان في الوقت قد لاتساعد على كثرة التزاور فيه، وحتى لا يكون كثرة التزاور فيه على حساب العبادة المقصودة في هذا الشهر الكريم.

ترويح تربوي للأبناء في شهر رمضان

من مقاصد الإسلام تدريب الأطفال على الطاعات والفروض لأن التدريب ترويض للنفس وتعويد للنشء على تحمل المسؤولية واحترامها فلنغتنم رمضان فإنه فرصة تربوية لأبنائنا، لأن الخلق والتدين غرس وعمل أكثر منهما موعظة وكلاما.

والترويح في هذا الشهر دور مهم في التربية الخلقية والروحية، فشهر رمضان المبارك شهر الخيرات والبركات قال تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة: ١٨٥) والأسرة محتاجة إلى الترويح عن النفس حاجة أساسية مثل الطعام والشراب، إلا أن الترويح المطلوب يبقى غامضا في أحيان كثيرة، ولذا لابد من تحديد هذا الترويح المطلوب منعا لما قد يحصل من لبس.

ولابد أن يضع رب الأسرة أهدافا للمساهمة في تهيئة جو مناسب في هذا الشهر، لتعليم أفراد الأسرة الواجبات والتوجهات الشرعية وتربيتهم على التطبيق العلمي لها، وتهيئة الجو المناسب لإكساب الأطفال الأخلاق الحميدة والسلوك الجيد وإعطائهم القيم الاجتماعية والعقائدية الضرورية لتنشئتهم تنشئة دينية، وضرورة الاهتمام بقراءة القران الكريم وختمه في هذا الشهر، واستغلال أوقات الفراغ المنزلية بشكل مثمر وبناء، وتحويله إلى قنوات تربوية مهمة، فرمضان فرصة ليجلس الآباء مع الأبناء ويتحدثوا معهم، خاصة أثناء الطعام معا، حيث لا يتكرر ذلك طوال العام، لانشغال الأب، مما يؤدي إلى افتقاد القدوة والنصيحة، فاجتماع الأسرة واستعادة الروابط المفقودة يؤديان إلى ممارسة الوالدين دورهما في دعم العلاقات الأسرية مما يكون فرصة للتقارب والمصارحة بين الآباء والأبناء.

مجالات الترويح

إن المداعبة والمزاح يؤديان دورا مهما في الترويح الأسري، فهما يبعثان الارتياح ويثيران النشاط والمرح ويكونان مقبولين إذا جاءا من غير تكلف، وإذا كانا متنوعين متجددين، وإذا روعي فيهما الأدب والاحترام الضروري، والمزاح مع الأب يكون بلطف الكلام دون الفعل، حفظا لمكانته من الابتذال.

رحلات أسرية

إن من الألوان المحببة لدى الجميع الرحلات والزيارات والسفر إلى الأماكن الأخرى للعبادة أو السياحة أو الاستجمام والراحة أو لغير ذلك، فيجب على رب الأسرة أن يستغل هذا الشهر في السفر لأداء العمرة، إذ يقول الرسول ﷺ «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما».

البرامج العائلية في رمضان

يفضل قضاء يوم العائلة فيما يفيد وإقامة جلسات يومية للأب مع أبنائه وفق برنامج يومي، ويوضع لكل يوم شعار مناسب، ويتكلم الأب عن معنى الصيام وفائدته ومدفع الإفطار ومعناه، ويحاول أن يسمع أطفاله مدفع الإفطار خارج البيت أو في المذياع، فإذا كان عند رب الأسرة صغار يشجعهم على الصيام حتى لو نصف يوم، ويحدث أبناءه عن فضل قراءة القران في رمضان، ويجعل الابن يسمع قراءة الأب للقرآن ويصلي معه في المسجد صلاة التراويح ويعرفها له

سليمان الرومي

ويعرف للابن معنى الاعتكاف ووقت الإمساك والأذان، وكذلك الدعاء عند الإفطار، ويشرح الأب لأبنائه فائدة الإفطار على التمر أسوة برسولنا الكريم، ويحكي لهم طفولته (الأب) في رمضان وعن الألعاب الشعبية، ويشرح لهم المناسبات المتعددة والانتصارات التي حدثت في هذا الشهر الكريم، مثل عزوة بدر وأسبابها وكيف سارت المعركة بين المسلمين والكفار، ويبين لهم فضل ليلة القدر، ونزول القرآن الكريم فيها، وما الزكاة وما الصدقة، كما يقوم الأب بعمل «غبقة» حتى يعرف الابن التكافل الاجتماعي، ويرى المأكولات الشعبية مثل النهى- الباجلا- الزلابية- وغير ذلك، ويشكر الله على نعمه الكثيرة، وهذا يساعد في تعويد أبنائنا على عمل الخير وفعل الطاعات ومعرفة فضل شهر رمضان، لينشأ الصغار نشأة صالحة من غير إفراط ولا تفريط.

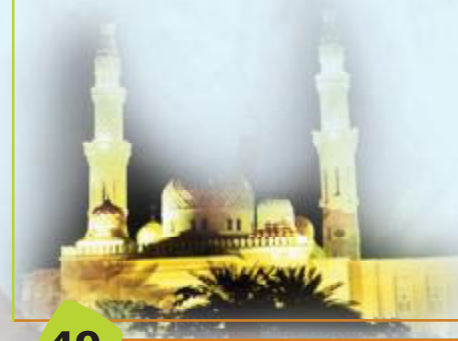

الهدي الإسلامي في مكافحة الفساد والنهي عنه

د.عبدالرحمن محمد العيسوي

من ظواهر العصر المؤسفة والسالبة تفشي ظاهرة الفساد، وتعدد أشكاله وتنوعها وامتداده ليشمل جميع جوانب الحياة العصرية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية والسياحية والعسكرية، وأصبح الفساد قادراً على أن ينال من سلوك الفرد والجماعة أو المجتمعات، ومن الغريب أنه أصبح يصيب جميع مجتمعات العالم، الثري منها والفقير والنامي والمتخلف، الأمر المثير للدهشة والاستغراب من جراء تفشي هذه الظاهرة بصورة وحشية وطاغية وشاملة لأكثر المجتمعات ثراء.

مثل هذا التفشي يجعل من الواجب على كل مفكر مسلم أن يتصدى لهذه الظاهرة بتوضيح طبيعتها وأسبابها أو دوافعها ومحركاتها وإظهار آثارها السلبية والمدمرة للمجتمع أفراداً وجماعات، وخطرها على انهيار القيم والمثل والمعايير ولذلك لابد أن يهب الجميع طالبين العون والنجدة من خلال الهدي الإسلامي المبارك والدعوة لحظيرة الدين الإسلامي الحنيف والتمسك بقيمه ومثله ومعاييره وأخلاقياته وقواعده وفضائله، فالإسلام يبني المجتمع الصالح ويكون المواطن المؤمن صاحب الضمير الحي والواعي بالفساد وسائر المعاصي والآثام فيبتعد عنها، فالإسلام مدرسة جامعة في الطهر والطهارة والعفة والصدق والأمانة، ودعوة للإصلاح والبناء والتشييد وهو يدعو الناس للسلوك القويم والبعد عن كل مظاهر الفساد ذلك الفساد، الذي بات وباء شديد الوطأة وسريع الانتشار في الوقت الراهن.

من صور الهدي القرآني

قال الله عز وجل ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ (النمل: ٤٨).

وجاء في شرح هذه الآية أن الرهط من ثلاثة إلى عشرة أفراد، ويقول كثير من المفسرين إنهم تسعة أنفس بإضافة تسعة على تمييزها وهو رهط، وقال بعضهم إنه من إضافة الجزء إلى الكل توسعاً، إذ كانوا عتاة قومهم وهم الذين سعوا في عقر ناقه صالح وكانوا من أشرافهم، أي شأنهم الإفساد البحت وتعاهدوا وتحالفوا ليأتونه ليلاً فجأة ويقتلونه هو وأهله.

وقول الله تعالى ﴿ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (البقرة: ٢٠٥) أي الزرع والنسل والإنسان والحيوان، «والله لا يحب الفساد» يبغضه أشد البغض.

وقال تعالى ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾ (المائدة: ٣٢)، تبين الآية الكريمة أن قتل النفس بغير حق من قصاص، أو فساد كقتل قابيل لهابيل جرم شنيع كشناعة قتل الناس جميعاً، وجاء ذلك في تحريم القتل أو سفك الدماء بدون وجه حق، ويجيء الفساد هنا مرادفاً للقتل بمعنى أن القتل أحد مظاهر أو جوانب الفساد والذي هو ظاهرة عامة ومتعددة الأبعاد ويتخذ أشكالاً عدة منها القتل والكفر والشرك والظلم والطغيان والاستبداد والبطش بالناس.

وكذلك قوله تعالى ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (البقرة: ٦٠)، ومضمون الآية الكريمة أنه لا تقابلوا هذه

النعمة والنعم قبلها بالإفساد والعصيان، فتسلب منكم، وفي ذلك أبلغ التوجيه والإرشاد والتوعية والهدى والنصح للناس بالبعد عن الفساد وعدم نشره أو السكوت عليه أو تشجيعه، ذلك لأن المسلم بطبعه إنسان إيجابي فاعل وفعال في وطنه وعليه التصدي للفساد ومنعه وتوعية غيره للابتعاد عن الفساد أو نشره أو التستر عليه، خصوصا في هذه الأيام التي انتشر فيها الفساد في العالم.

وقال الله عز وجل تعبيراً عن عدم حبه للفساد ﴿ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾ (المائدة: ٦٤)، وتبين الآية الكريمة أنهم كلما فكروا في حرب أطفأها الله ورد كيدهم في نحورهم وأنهم ليفسدون في الأرض، والله تعالى لا يحب الفساد ولا يحب الظلم، ولقد حرمه على نفسه، وعلى عباده، وفي ذلك دعوة كريمة وجليلة للصلاح والتقوى والورع والخشوع، وإصلاح أحوال البلاد والعباد.

وفي الدعوة للنظر والتأمل والتدبر والملاحظة والاستقراء فيما يحدث للمفسدين من عقاب يقول الله تعالى ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ (الأعراف: ٨٦)، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أذلة مستضعفين لقلتكم فأصبحتم أعزة لكثرتكم وانظروا عاقبة المفسدين العاصين من الأمم الماضية، وفي ذلك عبرة وعظة وتأمل وتدبر في تاريخ الظلمة والمفسدين والطغاة، وكيف أن الله تعالى يقضي عليهم مهما طال الزمن، فالآية دعوة للمسلمين للتأمل والنظر والتقاط العظات والعبر.

الفساد يقود إلى حدوث الفتن والصراعات والنزاعات العرقية والطائفية والمذهبية فيعكر صفاء الوحدة الإسلامية

وقال الله تعالى في الدعوة للوفاء بالكيل والميزان في سائر المعاملات التجارية ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (هود: ٨٥)، أي لا تنقصوا الأشياء سواء كانت مكيلة أو موزونة وانتهوا عن فسادكم الشديد فالغش في الكيل أو في الميزان من ضرورة الفساد في النشاط التجاري، وأعطوا الناس حقوقهم بأمانة ووفوا الكيل والميزان، وذلك من أخلاقيات الإسلام في الحقل التجاري وفي سائر حقول الحياة، وكم نحن في مسيس الحاجة في هذه الأيام إلى التمسك بهذه القيم في تعاملاتنا الاقتصادية.

وقوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ (البقرة: ١١)، وعلى حد شرح د.شوقي ضيف: لا تفسدوا في الأرض بمعصيتكم ونفاقكم، قالوا إننا على الهدى وليس ما نحن فيه بفساد، فالفساد قد لا يعترف بفساده أو ظلمه أو جوره أو اعتدائه، بل قد يعتقد أنه مصلح وأن ما يقوم به من أعمال إنما هي من قبيل الإصلاح، قد يذهب إلى ذلك من باب التضليل وقد يتوهم ذلك فعلاً من جراء قصر بصيرته ووعيه وإدراكه.

ويقول الله تعالى ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ (الأعراف:٥٦)، وذلك إشارة إلى أن الأرض مخلوقة بنظام تام، يكفل لها صلاحها، والإنسان هو الذي يفسدها، كما يلاحظ اليوم في مشكلة تلويث البيئة الطبيعية، إنما يحدث التلوث المائي أو الهوائي أو الأرضي على يد الإنسان المعاصر بما يطلقه فيها من سموم وأبخرة وأتربة وغبار ودخان وغازات سامة وجراثيم وما يقوم به من اعتداءات على البيئة فيصيبها بالتصحر والجفاف، ويقوم بتجريف الأرض الزراعية، ويلقي بمخلفاته في مجاري المياه العذبة.

وقوله تعالى ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض﴾ (محمد: ٢٢)، ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى «توليتم» في الآية إن أصبحتم ولاة وحكاما، وما كان الله ليذكر للمنافقين ذلك وقد لعنهم الله.

وفي الهدي الإسلامي الخالد تحذير من ممارسة الفساد على يد من يتولون الحكم أو الإدارة أو السيطرة على المجتمع، وكما نلاحظ اليوم أن بعض الأشخاص قد يظلون على قيم حتى إذا ما تولو السلطة تحولوا إلى ظلمة وطغاة وجبابرة وعدوانيين وسادهم الطمع والجشع والغرور والتعالي حتى مع الذين ساعدوهم في تولي السلطة.

تعريف عملية التنشئة الاجتماعية

يقصد بعملية التنشئة الاجتماعية التطبيع الاجتماعي أو تهيئة الفرد للبيئة الاجتماعية، بحيث يصبح عضواً كفؤاً متعاوناً معترفاً به (١) في وسط الجماعة أو المجتمع، فهي عملية إعداد الفرد وتكوينه وتأهيله وتربيته، والمأمول أن نربي أبناءنا على قيم الإسلام الحنيف.

والتنشئة الاجتماعية أو التثقيف الاجتماعي اصطلاح يستخدم لوصف عملية التفاعل الاجتماعي التي يتم من خلالها تلوين الوليد البشري وتشكيله، وتزويده بالمعايير الاجتماعية، بحيث يتخذ مكاناً معيناً في «نظام الأدوار الاجتماعية» ويكتسب شخصية، أو هي العملية التي يتم من خلالها تكييف الفرد مع بيئته الاجتماعية، بحيث يصبح عضواً معترفاً به ومتعاوناً مع الآخرين.

فالتطبيع يتيح للأفراد أن يكتسبوا عادات اجتماعية مقبولة بحيث يصبحون قادرين على العيش كأعضاء في المجتمع (٢).

والتنشئة الإسلامية تتعهد الطفل منذ نعومة أظافره وتغرس فيه قيم الحق والعدل والمساواة والواجب وتحمل المسؤولية والإيمان بالله العظيم ورسوله الكريم وبالآخرة، والصدق والأمانة والعفة والتمسك بالشرف والشجاعة والرجولة والكرم والجود والكفاح والنضال والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، والدفاع عن الأمة الإسلامية، وحب الإسلام والتمسك به قولاً وفعلاً أو عقيدة وسلوكا.

قال الله عز وجل ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (القصص: ٤)، «يذبح أبناءهم، المقصود هنا

الذكورة، ويستحيي أي يستبقي نساءهم أي بناتهم، إنه كان من المفسدين أي من الراسخين في الفساد.

فالقتل من أبشع صور الفساد خصوصا إذا كان قتلا جماعياً أو إبادة جماعية كما فعلت إسرائيل بأهلنا في غزة الشقيقة.

وقوله تعالى ﴿وارجو اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (العنكبوت: ٣٦) ارجو اليوم الآخر أي خافوه واخشوا حساب الله فيه وعقابه العاصين ولا تعثوا في الأرض مفسدين أي لا تسعوا في الأرض بالفساد، إذ كانوا ينقصون المكيال والميزان مع اشراكهم بالله وتكذيبهم لشعيب عليه السلام.

فمن أشكال الفساد الغش في الكيل والميزان، فالإسلام يدرك أن الفساد آفة اجتماعية، وعلة نفسية قد تلحق بكل مظاهر الحياة فتلوثها وتؤدي في النهاية إلى انهيارها، نقول ذلك لمن يستمرئون الفساد ويجدون فيه لذة ومتعة ومنفعة وإشباعاً لأطماعهم وحاجاتهم وغرائزهم وشهواتهم وعللهم المرضية، إن الفساد سوف يقضي عليهم في النهاية وإنه لا حياة إلا في ظل الطهر والطهارة والعفة والقناعة والأمانة والصدق والتمسك بالذمة وبالضمير الحي وما يمليه على صاحبه من حب العدل والإنصاف والحق والتمسك به.

وقوله تعالى ﴿نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولافساداً﴾ (القصص: ٨٣). أي تعاظما وتسلطاً وتجبراً، و«لا فساداً» أي ظلما للناس أو معصية الله، فالرغبة في العلو في الحياة الدنيا الزائدة عن الحد تعد من مظاهر الفساد في المجتمع، ذلك الفساد الذي أصبح يتخذ أشكالا عدة منها الفساد الاداري والسياسي والاقتصادي والمالي والاجتماعي والأسري والتربوي والإعلامي وما إلى وذلك.

اتباع الهوى والنفس والشيطان والطمع والجشع والأنانية يقود إلى الفساد

وقال الله تعالى ﴿إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ (الكهف: ٩٤)، قال بعض المفسرين في تفسيرهم إنهم المغول والتتار.

وقال الله تعالى ﴿فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين﴾ (آل عمران:٦٣)، وكما يقول د.شوقي ضيف في شرح هذه الآية الكريمة «فإن تولوا» أي إن أعرضوا «فإن الله عليم بالمفسدين» أي عليم بفساد المفسدين الذين يعدلون عن الحق إلى الباطل أي الذين يبتعدون عن الحق ويلجأون إلى الباطل والباطل من مظاهر الفساد الشائعة الآن.

قال الله عز وجل ﴿ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾ (يونس:٤٠).

ووصف كلمة «ومنهم» أي من المكذبين «من يؤمن به» أي بالقرآن الكريم ويكتم إيمانه عناداً ومنهم من لا يصدق به عنادا أيضا، «وربك أعلم بالمفسدين» أي إن الله أعلم بالمعاندين أو المفسدين.

وقوله تعالى ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ (يونس: ٩١).

«الآن» استفهام إنكاري أي الآن تؤمن حيث أيقنت مفارقة الحياة وكنت قبل ذلك عاصياً ومن المفسدين الظالمين.

ولعل القرآن الكريم يعبر هنا عن حقيقة عامة لدى كثير من الطغاة والظلمة والذين يبطشون بشعوبهم وهم في شبابهم وفي عنفوان قوتهم ولما يعتريهم الضعف والهزال والمرض ويقتربون من الموت يعودون إلى رشدهم ويندمون على فسادهم وعصيانهم وأفكارهم لقيم الدين الروحية الخالدة.

ويقول عز وجل ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ (الأعراف:١٢٧)، إن الملأ حاولوا أن يثيروا حمية فرعون ضد موسى وبني إسرائيل فقالوا له أتدع موسى وقومه يفسدون في الأرض بنهيهم للناس عن دينك وعبادة آلهتك؟

النهي عن اتباع الدين الحنيف والشك فيه كان مظهراً من مظاهر الفساد الديني في مطلع الدعوة الإسلامية أما الآن فلقد تعددت أشكال الفساد واتسع مداها وأصبحت تشمل كل جوانب الحياة الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأسرية والدولية.

وظائف الضمير الأخلاقي

الضمير الأخلاقي moral conscience من أهم عناصر الشخصية، والإسلام الحنيف يحرص على تكوين ضمائر أبنائه على حب قيم الحق والخير والجمال والعفة والفضيلة والتقوى والأمانة والصدق والولاء والكرم والجود، وعن طريق الضمير الحي يستطيع الإنسان أن يميز بين الصواب والخطأ بالنسبة لسلوكه هو والسلوك الصواب.

ويقوم الضمير الخلقي في الإنسان بما تقوم به الذات العليا superego في الفكر التحليلي الحديث.

والضمير هو القوة الرادعة داخل الإنسان وهو مستودع القيم والمثل والمعايير والمبادئ الأخلاقية والمثالية والفضائل والسمات الحميدة، ويتكون أحسن ما يتكون عن طريق التربية الإسلامية، ومن وظائفه محاسبة صاحبه أو معاقبته على ما يرتكب من الآثام والمعاصي، بل إنه يمنع إغراءات الشيطان ويحول بين الإنسان وبين ارتكاب المعاصي قبل أن يرتكبها «٤».

تعريف الضمير الأخلاقي conscience

هو القوة الداخلية في الإنسان المسؤولة عن الآداء المتكامل لما لدى الفرد من معايير خلقية ترضى عما يقوم أو يود القيام به من أفعال أو تتكرها، والضمير هو الجانب الشعوري للوظيفة التي يقوم فيها بالحكم على ما يقوم به صاحبها أو ما يعتزم القيام به من فعل والتي تتمثل في «الأنا الأعلى» (٥) ووفقا لنظرية التحليل النفسي للمضير وظيفتان هما:

أ- الردع والمحاسبة والعقاب عن طريق لوم الذات أو تأنيب الضمير.

ب- المنع أي منع صاحبه من القيام بالأعمال الخاطئة قبل القيام بها.

الضمير كناية عن نظام

الفرد في المبادئ الأخلاقية المقبولة والمسلم بها أو قواعد السلوك والتصرف، فالضمير هو الذي يوجه سلوك الفرد وهو الذي يحكم على هذا السلوك.

ويشير الضمير عادة إلى مماسة هذا النظام لوظائفه بالنسبة لفعل قيد الدرس أو تمت تأديته وهو فعل يتهدد بانتهاك المبادئ وخرقها، وينطوي على عوامل عاطفية وفكرية، إن مفهوم الأنا الأعلى في نظرية فرويد هو محاولة سيكولوجية لتفسير نشأة الضمير وطبيعته، وتعليل تطوره وكيفية عمله، ونحن أبناء الأمة الإسلامية نسعى لتكوين الضمير الإسلامي في نفوس النشء (٦).

الخلاصة

- فساد الأرض أي فساد المجتمع أو العالم كله.
- اتباع الهوى والنفس والشيطان والطمع والجشع والأنانية كل هذا يقود إلى الفساد.
- الحكام قد يفسدون بلادهم وبلاد غيرهم إذا ابتعدوا عن الإيمان.
- إن الفساد قد يتكرر مرات كثيرة ويصبح ظاهرة مستمرة وليس قاصراً على واقعة واحدة.
- كراهية الله سبحانه وتعالى للفساد والمفسدين وهو عز وجل ينهى عنه ويتوعد مرتكبيه والمشجعين عليه والساكتين عنه.
- المؤمن يدعو الله أن ينصره على الفساد والمفسدين، وأن يرشده إلى طريق الحق والرشاد والصواب.
- النهي عن اتباع طريق المفسدين كالحاشية السيئة التي تحيط بالحكام وغيرهم من أرباب السوء.
- يقارن القرآن الكريم بين الذين يعملون الصالحات والمفسدين، ولا يساوي بينهم كما تحدث التفرقة بين أهل الخير والعدل والرحمة وأهل الشر والفساد.
- ربط الفساد بكثير من الظواهر السلبية أو السيئة أو المعاصي والآثام مثل القتل وسفك الدماء والبطش والظلم والغش والضلال والكفر والشرك.
- قطع صلة الأرحام من مظاهر الفساد، وذلك لأن قطع صلة الأرحام تقضي على ما أوجبه إسلامنا الحنيف من التماسك الأسري وبر الوالدين والمعروف والإحسان إليهما.
- للمفسدين عذاب فوق عذاب في الآخرة وذلك للنهي عن الفساد.
- يجيء «الفساد» في مقابل «الإصلاح» أو «الصلاح» والزرع والنبات وكل ما في هذه الحياة وقد يصبح الفساد شاملاً وطاغياً ومتفشيا في جميع جوانب حياة الإنسان.
- القتل يرتبط بظاهرة الفساد ويعد جزءا منها.
- الفساد قد يقود إلى حدوث الفتن والصراعات والنزاعات العرقية والطائفية والمذهبية فيعكر صفاء الوحدة الإسلامية.
- الله تعالى يحسن إلى خلقه وعليهم أن يحسنوا بدورهم إليه سبحانه وتعالى.
- الفساد يعم البر والبحر، كناية عن أن الفساد قد يلحق بالعالم كله وجميع جوانب الحياة الفردية والجماعية.
- الفساد إنما هو عمل الناس ومن صنع أيديهم وليس أمراً مفروضاً عليهم من أي قوى خارج ذواتهم فهم المسؤولون عنه وحدهم.
- تبديل الدين أو الكفر أو الإلحاد من مظاهر الفساد الديني ويتبعه الفساد الأخلاقي أو الروحي وزعزعة الإيمان.

الهوامش

١- عبدالمنعم الحفني (١٩٩٤) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة ص ٨١٢.

٢- أسعد رزوق (١٩٧٧)، موسوعة علم النفس، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،لبنان، ص ٦٦.

٣- شوقي ضيف (١٩٩٤) الوجيز في تفسير القرآن دار المعارف.

٤- Reber، A. S (١٩٩٥) Penguin dictionnary of psychology.Penguin Book.Lonndon،p ١٥٣.

٥- أحمد زكي بدوي، (١٩٨٦)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان ص ٩٨٠

٦- أسعد رزوق (١٩٧٧) موسوعة علم النفس ص ١٧٩.

دلالة الصورة الفنية في الرواية العربية

«الظل الأسود» نموذجاً (١)

عبداللطيف خروبة

لقد اعتاد الدارسون للاعمال السردية في الادب العربي الحديث والمعاصر النظر إلى الرواية من جوانب محددة تتمثل في الاحداث وبنائها، والقوى الفاعلة (الشخصيات والعلاقات فيما بينها) والفضاء الزماني والمكاني وخصائصهما، وزاوية النظر التي يتموقع فيها السارد ليروي الاحداث. أما الجانب المتعلق بالصورة الفنية وما تحمل من دلالات فإنهم يتغافلون عنه في الغالب الأعم، رغم ما تحظى به من أهمية بالغة في كل مكونات العمل السردي، وكأن الدارسين العرب - على حد قول احدهم- مفطورون على التعامل مع الصورة في الشعر حصرا وليس في النثر، بحكم ثوابت ثقافية مترسخة على مر العصور (٢). وقبل البدء في عرض تجليات الصورة في هذه الرواية وأهميتها، لابد من تحديد المفهوم أولا.

يعترف العديد من الدارسين في هذا المجال أن تحديد مفهوم الصورة تحديدا دقيقا صعب للغاية، الشيء الذي أدى بهم إلى الاختلاف فالصورة الفنية أو الأدبية عند غاستون باشلار تعني إنتاج الخيال المطلق، وأن كل كيانها يقوم على أساس الخيال (٣) وفي نظر ريتشاردز سايس إن الصورة «ليست بالضرورة استبدال شيء بشيء آخر، أو تشبيه شيء بشيء آخر، وإنما قد تكون أية كلمة حسية تستدعي استجابة الحواس» (٤).أما مصطلح الصورة عند د.صلاح فضل فيرتبط بما هو مدرك بالحواس، بصرية أو سمعية أو لمسية أو شمية أو ذوقية، ويحرك خيال المتلقي، باستدعاء معلومات ترجع إلى الذاكرة، فيثير تصوره الحسي للاشياء، وأن الادوات البلاغية من استعارة وتشبيه وغيرهما هي آليات الصورة (٥).

إن مفهوم الصورة الفنية يشمل كل المحسنات القائمة على عناصر المشابهة والاستعارة والمجاز والكناية والرمز، وكل الانماط التي تعتمد للكشف عن المشابهات، وسيتم الاقتصار في هذا المقام على الصورة الفنية القائمة على اساس التشبيه في هذه الرواية.

مضمون الرواية

تدور احداث الرواية على أرض الحبشة، وتحكي قصة اغتصاب الكنيسة عرش امبراطور الحبشة «اياسو» بمساعدة الاستعمار الاوروبي، وما خلفه هذا من دمار وخراب في الارواح والاموال، ومن استذلال للشعب واستعباده، وتنتهي الرواية بتحول الامبراطور «إياسو» إلى رمز للحرية والمحبة والتعايش السلمي بين كل الديانات، يتردد على ألسنة الناس دائما، ويلحق اللعن رجال الكنيسة وعلى رأسهم «هيلا سيلاسي» الذي نسي مع مرور الزمن.

أهمية الصورة

تلعب الصورة الفنية دورا مهما في العمل السردي، فهي تكشف عن أحوال التحول في وضع معين لشخصية أو لمجموعة من الشخصيات، من الحسن إلى السيئ، أو من السيئ إلى الحسن، كما تعكس الاحوال النفسية للشخصيات، من طمأنينة أو اضطراب، والظروف السياسية والاجتماعية المخلتفة، من سلم او حرب، وحرية او عبودية، ومحبة او كراهية وحقد، كما تسهم في ابراز تطلعات الشخصيات، ورؤية الكاتب إلى العالم من حوله.

الصورة الفنية تلعب دوراً مهماً في العمل السردي من خلال الكشف عن أحوال التحول من الحسن إلى السيئ أو العكس

أ- الصورة تعكس التحول

لقد وجد الكاتب التشبيه آلية مناسبة للتعبير عن التحول الرهيب بكل أبعاده ومعانيه، وما يرتبط به من التوقعات المستقبلية.

فالصورة تؤشر على الفصل بين مرحلتين متباينتين في الرواية، مرحلة الرفاهية والتسامح والحرية والسلام في ظل عرش الإمبراطور «إياسو»، وبين مرحلة الانقلاب على العرش، ومباغتته أثناء إعداد الجيش لمساعدة دولة إسلامية أخرى تحارب هي بدورها الاستعمار الأجنبي الذي بدأ ينقض على أمة الإسلام من كل ناحية في الشرق العربي، فتتحول الأرض إلى دمار وخراب لا عهد لها به، ويعم الرعب والهلع السكان الذين كانوا آمنين مطمئنين، وهذا يبدو واضحا من خلال المقاطع الآتية «الفلاحون في القرى مسلمين ومسيحيين ينحرون تحت أقدامه الذبائح، والهتاف باسمه ينطلق كالرعد. وتطلع الشيوخ والاطفال والنساء والشباب في هيام وتقدير للامبراطور الشاب الذي لم يسفك دماء، ولم يرهقهم بضرائب، أو يستولي على أراضيهم ليهبها إلى الكنيسة» (٦).

إن تشبيه الهتاف القوي بالرعد، يعكس الدرجة الكبيرة لتعلق الناس بأميرهم العادل المتسامح الذي لم يستعبدهم ولم ينهب أموالهم باسم الدين. «ثلاث سنوات حكمت فيها الحبشة، مرت كالحلم الجميل، أشرقت فيها الوجوه بالحب، وفاضت الأنهر بالخيرات، وابتسمت السماء للورود الندية، أما أعداؤك أعداء السلام، فقد تستروا وراء الظلام،

وأظهروا خلاف ما يبطنون، مسكين يا إياسو، يا نجم الأمل في ليل الحبشة الحالك السواد» (٧).

ب- الكشف عن روح الغدر والخيانة

كما تعكس الصورة القائمة على التشبيه الدرجة الكبيرة للغدر والخيانة التي يضمرها رجال الكنيسة وأنصارهم في الداخل والخارج للإسلام وللحق والسلم. «ليس هذا غريبا على تفري الملعون، ألا تأتي الضربة الغادرة من يدك أيها الذئب، يا زوج شقيقة الامبراطور، لماذا يفعلون ذلك يا إياسو؟ ألأنه دعا إلى المحبة والتسامح والحرية؟ ألأنه قد وقف في وجه أطماع رجال الدين وتعصب الكنيسة» (٨).

كما تروم الصورة البلاغية المعتمدة على هذه الأداة توضيح الرؤية التي يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي، وهي روح الغدر والخيانة التي تطبع رجال الكنيسة، وأنها لا تحب أن يعيش الناس آمنين مطمئنين في ظل الإسلام، الدين الذي يقبل التعايش بلا شروط، فتتحول الحياة إلى جحيم لا يطاق.

لقد كان الاصرار على تشبيه الانسان بالحيوان في العديد من المواقع، خاصة الذئب والثعلب، ولعل في ذلك تنبيه إلى الانحدار القيمي والاخلاقي الذي اصبح يميز سلوك الانسان، فصار مقززا منفرا، وبهذا فان الصورة تساهم في خلق عالم منحط مليء بالتناقضات والمفارقات الغريبة، وتفتح المجال واسعا أمام الخيال ليتصور غدر هذه الكائنات «هذه ليست حياة، انها غابة للذئاب» (٩). «كانت جموع غفيرة مغبرة السحنات، تزحف كالذئاب الجائعة» (١٠). «عادت إلى حجرتها دامعة العينين، جريحة الفؤاد، مثلومة الكرامة، عالم عاص متمرد تملأه الثعالب والذئاب والثعابين» (١١).

ج- الصورة تعكس روح السخرية والحقد

إن الصورة الفنية في هذه الرواية تكشف عن السخرية التي يواجه بها بعض الناس بعضهم الآخر، خاصة إذا كانوا مجرد أدوات يحركها الغير، كما هو الحال بالنسبة «لزوديتو» الامبراطورة، أو «تيفري» الذين يسخرهما رهبان الكنيسة. أو إذا كانت الغلبة لفئة على أخرى. وهذا ما يظهر من خلال الأمثلة التالية «ماذا جرى لك يا تفري؟ هذا أمر درسناه ووصلنا إلى رأي نهائي بشأنه، إن زوديتو لا تعدو عن كونها لعبة نضحك بها على الشعب» (١٢). «وتفري مهماكانت انتصاراته مخلوق ضعيف، إنه ألعوبة في الأيدي» (١٣). كما يظهر التشبيه قسوة العذاب الذي يعاني منه الشرفاء، من سجن وإهانة وغيرها كتشبيه إياسو باللص بعد الانقلاب عليه، ومالفن بالخادمة بعدما كانت زوجة محترمة.

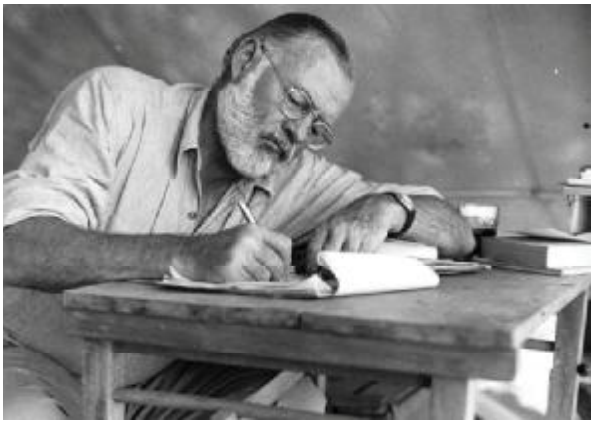

د- الحنين إلى الماضي ورفض الحاضر

إن الرواية تبين حنين الشعب إلى الماضي الجميل حيث السلام والأمن والحرية والمساواة، ورفض الحاضر البئيس الذي يميزه الرعب والخوف والصراع والحقد. «بدت لها الذكريات القديمة وكأنها جنة وارفة الظلال، تنبض بأحلى أماني الثمر وأناشيده، كانت هي وإياسو يلعبان كعصفورين بريئين في رحبة القصر، ويجريان في رشاقة، لقد ضاع كل شيء، ضاع الأمان، وهذا أتعس ما يصاب به الانسان الحر» (١٤) كما يكشف التشبيه قساوة المنقلبين على العرش، الحاقدين على الشعب، وعلى الحق، وأن قلوبهم لا تعرف الاشفاق حتى على زوجاتهم وهن أقرب الناس إليهم. «لكنك كالصخرة التي لا تنبض بقطرة واحدة» (١٥)

إن أعماقه تبدو كعالم أسود غامض»(١٦). كما أن ذكر الأداة في التشبيه يوحي بنوع من المقارنة بين واقعين مختلفين، واقع ماض يميزه الأمن والحب والهدوء، وواقع جديد يطبعه العنف والقساوة والصعوبة.

إن الكاتب يبدو حذرا ومقتصدا في توظيف التشبيه إلى حد ما، وإن أسلوبه من هذه الناحية يبدو بسيطا أو كما يسمى عند رولان بارت «درجة الصفر في الكتابة». ولكن رغم ذلك فإن الصورة الفنية في «الظل الأسود» جريئة وموحية ومؤثرة، ومرتبطة أشد الارتباط بالموضوع الرئيسي، وقد اتخذت من حقل الانسان والحيوان غالبا مصدرا رئيسيا لها. وبهذا تكون الصورة الفنية القائمة على أساس التشبيه في هذه الرواية قد أسهمت إلى حد كبير في بناء رؤية السارد (الكاتب) المأساوية تجاه عالم يسوده الحقد والغدر والخداع.

هوامش

١- الظل الأسود - نجيب الكيلاني - المختار الإسلامي - القاهرة.
٢- مجلة «مجرة» عدد صيف ٢٠٠٧ ص ٦٨.
٣- البلاغة مدخل لدراسة الصورة البيانية ص ١٥- فرونسوا مورو- ترجمة محمد الوالي وعائشة جرير- ٢٠٠٣ إفريقيا الشرق المغرب.
٤-نفسه ص ٦١.
- نفسه ص ٩١.
٥- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته - ص ٢٧٩- د.صلاح فضل- ط ١ دار الآفاق الجديدة ١٩٨٥ بيروت.
٦- الظل الأسود ص ٢٥.
٧- نفسه ٩٣١.
٨- نفسه ٧٢١.
٩- نفسه ٧١١ - ٨١١.
١٠- نفسه ٩٢١.
١١- نفسه ٨٣١.
١٢- نفسه ٧٤١.
١٣- نفسه ٥٥١.
١٤- نفسه ٧٥١.
١٥- نفسه ٨٧١.
١٦- نفسه ٢١١.

أثر النحو في اختلافات الفقهاء

هاني إسماعيل

انبثقت العلوم اللغوية كلها من مشكاة واحدة هي القرآن الكريم، تدور في فلكه تبيانا لأحكامه، وضبطا لألفاظه، واتجهت كل جماعة وجهة في تفقهه، فباتت طائفة عاكفة على تصحيح متنه في عناية فائقة وإتقان بارع في الأخذ والأداء والتلقين والتلقي، وبرع من هؤلاء في الدراسات اللغوية جم غفير بفضلهم نشأ علم العربية (١) الذي أطلق عليه فيما بعد اسم النحو العربي.

«وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبوالأسود الدؤلي» (٢)حرصا على القرآن الكريم من التحريف بعد أن تفشى اللحن، وصار المسلمون يلحنون في قراءة القرآن الكريم فأخطأ قارئ فقرأ ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ (التوبة-٣) بجر لفظة «رسوله» بدلا من رفعها.

ولم يكن الهدف من ذلك العمل حفظ النص القرآني من اللحن فحسب، بل كان بهدف إلى غاية أبعد وأسمى تتمثل في أن يقرأوا القرآن وأن يفهموا معانيه ومقاصده، لأنه هو الذي ينظم لهم شؤون حياتهم، و«من ثم نستطيع تفسير نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها كانت نتيجة نزول القرآن الكريم، فهي كلها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وفقه وأصول وكلام تسعى إلى هدف واحد هو فهم النص القرآني (٣).

ولما كان الفقه يسعى الى حصول «العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية» (٤) ولن يتحقق له هذا إلا بفهم معاني ومقاصد النصوص الشرعية- كان اقتران النحو بالفقه قرانا لا انفصام فيه، ففي كتاب رياضة المتعلمين لأبي نعيم الحافظ «ذكر فيه مراتب أنواع العلوم وما ينبغي أن يقدم تعلمه منها، فذكر الفقه، وأورد عليه ما أورد، ثم قال: ثم يتلو الفقه من العلوم علم العربية والنحو، لأنه آلة لجميع العلوم، لا يجد أحد منه بدا، ليقيم به تلاوة كتاب الله، ورواية كلام رسول الله، لكي لا يخرجه جهل الإعراب إلى إسقاط المعاني» (٥)، وجعل علماء الاصول ذلك شرطا من الشروط الأساسية لمن يخوض غمار الفقه والافتاء، فلا يتصدر فقيه أو مفت للفتيا إلا بعد اتقان النحو واللغة (٦).

من ثم كان لكل من الخلافات الفقهية والنحوية أثرها البالغ ففي بعضها، حتى إننا نجد ابن مضاء القرطبي قاضي القضاة في دولة الموحدين لما أراد أن ينصر مذهبه الظاهري ويدعم ثورة الموحدين على مذاهب الفقه - خاصة الفقه المالكي- تصدى إلى النحو العربي بكتابه الرد على النحاة رغبة في هدم النحو المشرقي، وإن لم يكن يقصد هدم النحو لذاته، وإنما كان يهدف الى هدمه باعتباره وسيلة لفهم الفقه المشرقي.

ينفي ابن مضاء من النحو كل ما لا يستقيم ومذهب الظاهرية، فينفي من النحو العلل الثواني والثوالث مثلما تنفي الظاهرية العلل من الشرع الحنيف، فالفقيه في المذهب الظاهري لا يحتاج الى تعليل ما حرم بالنص، كذلك النحوي لا يحتاج الى تعليل ما ثبت بالنص، وذلك مثل سؤال السائل عن «زيد» من قولنا «قام زيد» لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر، ولا فرق بين ذلك وبين من عرف شيئا ما حرام بالنص، ولا يحتاج فيه الى استنباط علة، لينقل حكمه إلى غيره، فسأل لم حرم؟ فإن الجواب على ذلك غير واجب على الفقيه» (٧).

ولأن المذهب الظاهري أيضا لا يعتد بالقياس في الفقه، فقد دعا ابن مضاء القرطبي إلى إلغاء القياس من النحو أيضا، وضرب لذلك مثالا بقياس إعراب الفعل المضارع على إعراب الاسم، فالاسم عند النحاة أصل والفعل المضارع فرع اكتسب إعرابه لعلتين: أولاهما كونه صالحا للدلالة على الحال والاستقبال كالفعل يقوم، فإذا قلت: سوف يقوم تخصص للاستقبال بعد أن كان شائعا.

وثانيهما دخول لام الابتداء عليه كما تدخل على الاسم كقولك: إن زيداً لقائم في الاسم وقولك: إن زيدا ليقوم في الفعل المضارع.

رفض ابن مضاء هذا القياس لإعراب الفعل المضارع، وحكم بأن الإعراب في الفعل المضارع أصل كما هو أصل في الاسم (٨).

إذن ليس من العجب أن نرى

خلافات في الأحكام الفقهية تخرج من عباءة المسائل النحوية، والأمثلة على ذلك عديدة، حتى إن عالمين من علماء الشريعة يفردان كتابين كاملين في تخريج المسائل الفقهية على النحو، أولهما الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية للإمام الطوفي.

وثانيهما الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية لجمال الدين الإسنوي.

وسأكتفي بإعطاء مثال واحد لأثر النحو في الخلاف الفقهي.

يقول تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ (المائدة: ٦).

اتفق الفقهاء على وجوب مسح الرأس ولكنهم اختلفوا في القدر الواجب، قال الشافعية: يجزئ مسح بعض الرأس، وقال الحنابلة، لا يجزئ إلا مسح جميع الرأس.

ومنشأ الخلاف الباء في قوله تعالى ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ فالباء عند الشافعي للتبعيض، كأنه قال امسحوا بعض رؤوسكم، «فقال الشافعي يجزئ مسح ما يقع عليه الاسم وأقله ثلاث شعرات وحكي عنه لو مسح ثلاث شعرات - وحكي عنه لو مسح شعرة- أجزأه لوقوع الاسم عليها» (٩) وعند الحنابلة الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء، «فروي عن أحمد وجوب مسح جميع الرأس في حق كل أحد» (١٠).

اقتران النحو بالفقه له أساس لفهم معاني ومقاصد النصوص الشرعية

كما اتفق الفقهاء على وجوب غسل اليدين ولكنهم اختلفوا في وجوب دخول المرفقين في الغسل، فعند الجمهور واجب، أما عند زفر من الحنفية، وداود الظاهري، وبعض المالكية فإنه لا يجب لأن معنى «إلى» في قوله ﴿إلى المرافق﴾ لانتهاء الغاية، فلا يدخل ما بعدها فيما قبلها كعدم دخول الليل في قوله ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾، أما الجمهور فيرون أن إلى كما ترد للغاية فإنها ترد بمعنى «مع» نحو قوله تعالى ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ أي مع قوتكم (١١).

وهذا ينطبق على الكعبين في قوله ﴿إلى الكعبين﴾ إلا أن الفقهاء اختلفوا في غسل الرجلين، هل هو الواجب أم مسحهما؟ فعند الجمهور الواجب هو الغسل، وعند الإمامية الواجب هو المسح، بينما الطبري خير بين الغسل والمسح.

وسبب الخلاف أن لفظة «أرجلكم» وردت في قراءة ابن كثير وحمزة وغيرهما بكسر اللام، فعطفها من قال بوجوب المسح على رؤوسكم معمول امسحوا، وتأول قراءة النصب على محل برؤوسكم، في حين من قال بوجوب الغسل فأخذ بقراءة نافع وحفص عن عاصم وغيرهما بنصب أرجلكم، على أنها معطوفة على الوجوه والأيدي معمولين اغسلوا، وتأول قراءة الجر على مجاورة «أرجلكم» لـ «برؤسكم»، ومن قال بالتخيير جمع بين القراءتين بلا تأويل (١٢).

أما الترتب بين الأعضاء في الآية السابقة فقال الشافعي وأحمد بوجوبه، وقال مالك وأبوحنيفة بأنه مسنون، تمسك من أوجب الترتيب، بأن الله تعالى أمر بالغسل بعد القيام الى الصلاة بالفاء فقال ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾ والفاء تفيد الترتيب والتعقيب وإذا وجب الترتيب في غسل الوجه وجب في غيره.

بالإضافة أنه أدخل ممسوحا بين مغسولات وقطع النظير عن نظيره، وكأن نظم الكلام كان يقتضي أن يقول فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم، والعرب لا تقطع النظير عن نظيره إلا لفائدة، ولا فائدة هنا إلا الترتيب، كما قال من نصر هذا الرأي بأن الواو تفيد الترتيب.

ومن قال بسنية الترتيب أجاب بأن الواو في اللغة للجمع مطلقا وليست للترتيب، واتفق على أن العرب لا تقطع النظير عن نظيره إلا لفائدة، ولكن الفائدة هنا ليست وجوب الترتيب بل هي فائدة بلاغية تتمثل في اعتدال نظم الكلام في صدر الآية إذ قوله ﴿اغسلوا وجوهكم وأيديكم﴾ يقابل قوله ﴿امسحوا برؤوسكم وأرجلكم﴾ من حيث الزنة واشتمال كل منهما على فعل، ولو اختل من هذا الترتيب شيء لاختل النظم وزال كماله.

هذا قطرة من غيث الخلافات الفقهية التي كان للنحو أثر فيها، وأرى أن الأمر يستحق المزيد من الدراسة والبحث.

هوامش

١- مقدمة في علوم اللغة: د.البدراوي زهران، الطبعة السابعة ١٩٩٩م، ص ١٧.

٢- طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني- جدة، ج ١ ص ١٢.

٣- دروس في كتب النحو: د.عبده الراجحي، دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٠.

٤- الفقه الإسلامي وأدلته: د.وهبة الزحيلي، دار الفكر- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص١٦.

٥- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، لأبي الربيع نجم الدين سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الطوفي، دراسة وتحقيق د.محمد بن خالد الفاضل، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص٢٤١.

٦- انظر: علم أصول الفقه، لمحمد الخضري، دار الحديث- القاهرة، طبعة ٢٠٠٣، ص ٣٥٩، وكذلك الجامع لأحكام وأصول الفقه المسمى حصول المأمول من علم الأصول للعلامة محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق ودراسة أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة- مصر (د.ت) ص ٣٦٦.

٧- الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي، تحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، الطبعة الثانية، ص ١٣٠.

٨- انظر الرد على النحاة، ص ١٣٤.

٩- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ج١ ص ١٤٢.

١٠- المغني لابن قدامة: ج ١ ص ١٤١.

١١- انظر الصعقة الغضبية للطوفي: ص ٤٠٧.

١٢- انظر الصعقة الغضبية للطوفي: ص ٤٣٢.

مصطلح العنف الأسري في الوثائق الدولية

كاميليا حلمي

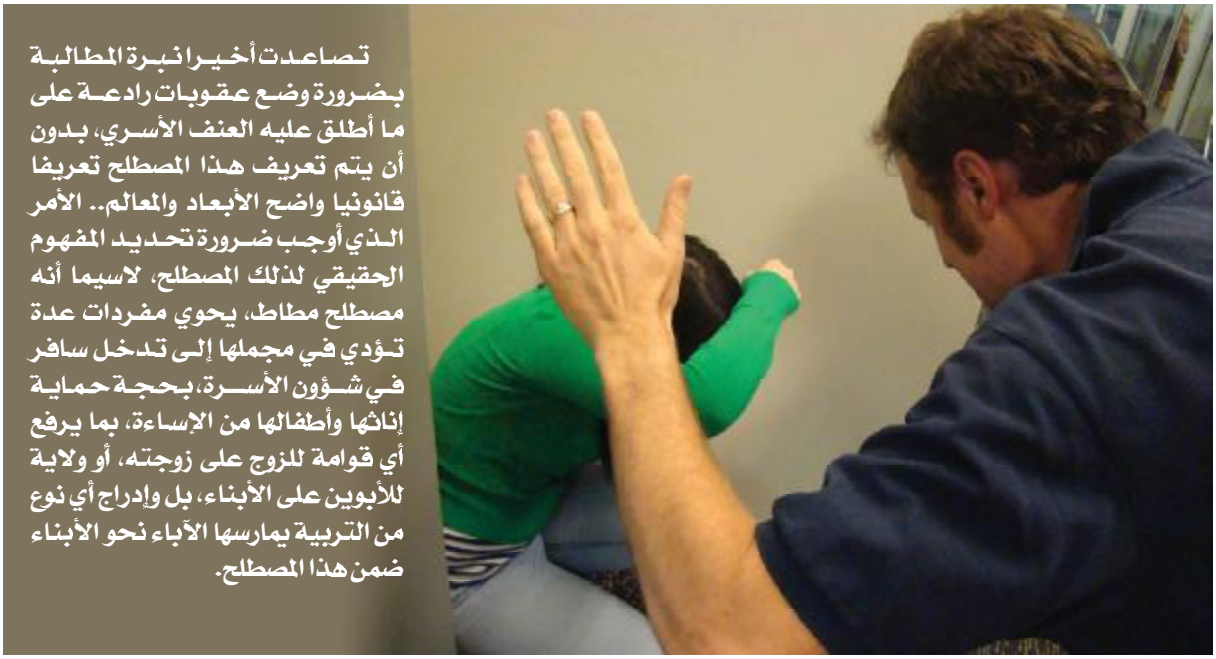

تصاعدت أخيرا نبرة المطالبة بضرورة وضع عقوبات رادعة على ما أطلق عليه العنف الأسري، بدون أن يتم تعريف هذا المصطلح تعريفا قانونيا واضح الأبعاد والمعالم.. الأمر الذي أوجب ضرورة تحديد المفهوم الحقيقي لذلك المصطلح، لاسيما أنه مصطلح مطاط، يحوي مفردات عدة تؤدي في مجملها إلى تدخل سافر في شؤون الأسرة، بحجة حماية إناثها وأطفالها من الإساءة، بما يرفع أي قوامة للزوج على زوجته، أو ولاية للأبوين على الأبناء، بل وإدراج أي نوع من التربية يمارسها الآباء نحو الأبناء ضمن هذا المصطلح.

أولقد تم إدراج المصطلح ضمن مجموعة من الاتفاقيات والوثائق الدولية، تم طرحها عن طريق هيئة الأمم المتحدة على الحكومات للتوقيع عليها، على أن تضع هذه الحكومات ما تشاء من التحفظات عنها في حال تعارض أي من بنودها مع المرجعيات الثقافية أو التشريعية لها، ولم يخطر ببال الحكومات أثناء توقيعها على تلك الاتفاقيات أن لجان الأمم المتحدة ستتجرأ وتطالبهم برفع تحفظاتهم التي وضعوها أثناء التوقيع، وهاهي الضغوط الدولية تمارس عليهم من تلك اللجان لرفع تحفظاتهم والالتزام الكلي بالتطبيق الكامل لتلك الاتفاقيات، في تجاهل شديد للمرجعيات الدينية والثقافية المختلفة السائدة في مختلف بلاد العالم.

التعريف الفعلي لمصطلح العنف الأسري وفقًا للوثائق الدولية

العنف الأسري هو كل ما اعتبرته الوثائق الدولية عنفا ضد المرأة داخل نطاق الأسرة، ومن ثم تعد الاتفاقيات الدولية كل ما يلي عنفا أسريا:

(١) عدم إعطاء الحرية الجسدية للنساء والفتيات، والتمسك بعذرية الفتاة حتى الزواج (والذي اسمته الوثائق بالكبت الجنسي للفتيات)، وإجبارها على أن تظل أنثى، وإجبارها على أن ترتبط بذكر، أما «اللاعنف» فهو ترك المجال أمام الفتاة للاحتفاظ بجنسها، أو تحويل جنسها إلى جنس آخر (أي أن تصبح شاذة وتترك لها الحرية في ممارسة الشذوذ الجنسي).

(٢) الزواج تحت سن الثامنة عشر، حيث تعده الوثائق قمة العنف الأسري ضد الفتاة، بينما لا تعد ممارسة العلاقة الجنسية خارج نطاق الزواج عنفا، بل العنف كل العنف في منع الفتاة من اختيار الوقت الذي تكون فيه «ناشطة جنسيا».

(٣) الختان، وذلك بتجريم ختان الإناث (بكل أشكاله، رغم أن بعض هذه الأشكال أقرتها الأحاديث النبوية الشريفة).

(٤) مهر العروس، حيث تعتبره الوثائق ثمنًا للعروس (Bride Price) يحط من قدرها ويعطي للزوج الحق في تملكها، ومن ثم الحق في معاشرتها، ومن ثم تطالب الوثائق بإلغاء المهر، كما تطالب باقتسام الممتلكات بعد الطلاق (أسوة بالنظام المعمول به في الغرب).

(٥) عمل الفتاة في بيت أهلها.. تحاول لجنة المرأة بالأمم المتحدة جاهدة الضغط على منظمة العمل الدولية كي تدرج عمل الفتاة في بيت أهلها ضمن أسوأ أشكال عمالة الأطفال، وبالتالي يتم تجريمه دوليًا.

(٦) وجود فوارق بين الرجل والمرأة في الميراث، والمطالبة بتساويهما في الميراث بحجة أن المرأة صارت تعمل الآن مثلها مثل

الرجل، وبالتالي يجب أن تتساوى معه في الميراث، وذلك في تحد واضح للشريعة الإسلامية.

(٧) الأدوار الفطرية لكل من الرجل والمرأة داخل الأسرة، وتعتبر الاتفاقيات اختصاص كل من الرجل والمرأة بأدوار معينة داخل الأسرة تمييزا ضد المرأة وعنفا ضدها، من ذلك:

■ قيام الرجل بمسؤوليات القوامة من الإنفاق والرعاية والحماية، وما يستتبعه من وجوب طاعة الزوجة للزوج، واستئذانه في الخروج والعمل والسفر، ومشاركته للزوجة في قرار الإنجاب، وحقه في تأديب الزوجة الناشز، وحقه في تأديب أبنائه.

■ قيام المرأة بدور الأمومة، ورعاية الأسرة، حيث تعده الاتفاقيات تمييزا وعنفا ضدها، وتم استبدال مفهوم الأدوار الفطرية لكل من الرجل والمرأة، بالأدوار النمطية، ثم جاءت المطالبة بضرورة القضاء على تلك الأدوار النمطية، بمعنى توحيد الأدوار داخل الأسرة ليتم اقتسامها مناصفة بين الرجل والمرأة.

(٨) حق الزوج في معاشرة زوجته، إذا لم يكن بتمام رضا الزوجة، تعده الاتفاقيات اغتصابا زوجيا، وتنادي بتوقيع عقوبة ينص عليه القانون تتراوح بين السجن والغرامة المالية وأي عقوبة أخرى يتم تحديدها لمثل هذا الأمر.

(٩) الولاية على الابنة البكر في الزواج، وتطالب الوثائق برفع تلك الولاية، وإعطاء الفتاة مطلق الحرية في الزواج بمن تشاء دون أي ولاية من أي فرد، بدعوة المساواة بينها وبين أخيها الذكر.

(١٠) التطليق بالإرادة المنفردة للزوج، والتطليق الغيابي، ومن ثم المطالبة بإلغاء حق الرجل في إيقاع الطلاق، وإنما يصير الطلاق بيد القاضي.

(١١) التعدد، يعتبر إعطاء الزوج الحق في التعدد وحرمان الزوجة منه عنفا أسريا ضد الزوجة، وبالتالي إما أن تعطى الزوجة هذا الحق، أو يحرم الزوج منه، وذلك في تحد واضح للأديان والأعراف، والمطالبة الصريحة بالاستبدال بتلك المرجعيات المرجعية الدولية التي تطرحها لجان الأمم المتحدة المتخصصة

هذه الرؤية تعد البوابة الذهبية لتذويب الثقافات والحضارات وإلغاء الخصوصيات الحضارية

كلجنتي المرأة والطفل.

يبنى على التصديق على تلك الاتفاقيات إلزام الحكومات بإجراء التعديلات الفورية في قوانينها الوطنية لتتوافق معها، وبالتالي وفي التوقيت نفسه، وعلى مستوى كل دول العالم، بدأ العمل على إجراء التعديلات في قوانين الأسرة والأحوال الشخصية، لتتوافق مع ما تم التوقيع عليه من الاتفاقيات الدولية، ومن ذلك على سبيل المثال أن أعدت إحدى الجمعيات النسوية في مصر مسودة لقانون يستحدث عقوبة جديدة تسمى عقوبة «الاغتصاب الزوجي» حيث ينص على عقاب الزوج إذا جامع زوجته بغير إرادتها بالحبس مدة لا تزيد على سنة أو بغرامة لا تقل عن ١٠٠٠ جنيه، كما تقدم المجلس القومي للمرأة بمشروع قانون للأحوال الشخصية الجديد إلى وزارة العدل يدور حول وضع ضوابط تقيد حق تعدد الزوجات، ويعمل مشروع القانون على إعطاء المشروعية للاقتران السري (الذي يطلق عليه مجازا الزواج العرفي) وذلك بمنح العديد من الحقوق للمرأة داخل هذا الزواج من أبرزها الحق في النفقة، ونسب أولادها تلقائيا لأبيهم وإلغاء الطلاق الغيابي.

وفي المغرب أوصت لجنة المرأة بالأمم المتحدة جميع الدول بتعديل قوانينها لتصير مثل القانون المغربي الذي تم تعديله عام ٢٠٠٤، وبعض تلك التعديلات:

■ إلغاء طاعة الزوجة لزوجها وإلغاء رب الأسرة، وبالتالي المساواة بينهما في اتخاذ القرارات.

■ إلزام الزوجة بالإنفاق مناصفة مع الزوج داخل الأسرة، وفي المقابل إلزام الزوج باقتسام كل أدوار الرعاية داخل الأسرة مع الزوجة، بما يؤدي إلى إجبار النساء على النزول لسوق العمل وما في ذلك من خطر شديد على مستوى التربية للأجيال الناشئة.

■ رفع سن الزواج حتى الثامنة عشرة.

■ إلغاء الولاية على الفتاة البكر الراشدة.

تقييد التعدد.

■ تقليص إرادة الزوج في إنهاء الرابطة الزوجية.

■ توسيع حق المرأة في طلب التطليق.

■ إثبات النسب وإلحاق ابن المخطوبة بأبيه في حالة عدم توثيق عقد الزوجية.

■ تخويل الحفيدة والحفيد من جهة الأم، على غرار أبناء الابن، حقهم في حصتهم من تركة جدهم.

إن مصطلح العنف الأسري يعد البوابة الذهبية لتذويب الثقافات والحضارات وإلغاء الخصوصيات الحضارية لصالح الطرف الأقوى، والعالم الإسلامي على رأس المستهدفين، ذلك لأن الثقافة الإسلامية التي تشكل هوية الأمة الإسلامية مستمدة بالأساس من دينها العظيم، ومن ثم فإن استهداف الثقافة يعني بشكل مباشر استهداف الدين، لأنهما ليس مفصولين.

وهذا يلقي عبئا ثقيلا وعظيما على علماء هذه الأمة، فالعلماء هم المسؤولون عن إصلاح الأمة، وحماية ثوابتها فهم ورثة الأنبياء، فأمام هذا الخطر المحدق، الذي يهدد الأمة وهويتها، يأتي دور العلماء في التصدي له، الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ولهم في رسول الله (ص) أسوة حسنة يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ وإن كانت هناك بعض الصور السلبية بحق المرأة فلا ارتباط بينها وبين الشريعة الإسلامية، بل هي مرتبطة بالأساس بسلوكيات فردية غير سوية لأفراد ابتعدوا فهما وتطبيقا عن روح الإسلام وتعاليمه.. ولم يدع الفقه الإسلامي تلك السلوكيات بلا علاج ولكن ليس الحل في الاتفاقيات الدولية، خاصة بعدما اتضح لنا ما تحويه من بنود تمثل في جوهرها ثقافة لادينية لا تتفق بأي حال من الأحوال مع تعاليم ديننا الحنيف، ولا تحمل حلا حقيقيا للمشاكل التي تعانيها المرأة في عالمنا الإسلامي.. إن حل تلك المشاكل جميعا لن يكون إلا في العودة لنبع الإسلام الصافي.. نبع المودة والرحمة والسكينة، ورفض كل ما يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها من تشريعات وقوانين تؤدي الى هدم الأسرة وتفكيكها.

الطلاق وخبرة الألم

إيمان القدوسي

في رحلة الحياة كثيرا ما نصطدم بخبرة الألم، الألم جزء من التجربة الإنسانية، أغلب المحن تبدأ كبيرة ثم تصغر تدريجيا ويجرفها التيار، وحده «الطلاق» بالنسبة للمرأة يظل هو الألم الذي يتزايد ويتجذر في النفس يوما بعد يوم.

مشكلات الحياة التي نواجهها هي بمنزلة محفزات النمو التي تدفعنا للمزيد من النضج وهي الخبرة الواقعية التي تعمق نفوسنا وتفتح نوافذ جديدة للخصوبة والثراء، لكن «الطلاق» تحديدا يتفرد بطعمه اللاذع الحار، ذلك لأنه ضربة توجه للأساس.

أساس الحياة الزوجية التي عاشت المرأة في ظلها وأثمرت خلالها البنين والبنات، وأساس هويتها الخاصة، فالجميع يعرفها بأنها «زوجة الأستاذ»، كانت هي وهو وجهان لعملة واحدة إذا فصلناهما صارت العملة بلا قيمة، كانت هي وهو سقف الحماية للأبناء وانهار السقف على رؤوسهم، كانت ذمتهما المالية واحدة، كانت تقول «أنا وأنت واحد وكله للبيت وللأولاد» الآن صارا اثنين، ندين، متخاصمين، وصار الأبناء هم ساحة الصراع والنزاع بينهما، إذ يحاول كلاهما جذبهم في اتجاهه.

في كل يوم تسجل خسارة جديدة وشكلا من أشكال الألم، لم يعد الاصدقاء المشتركون يرحبون بها وحدها، وصار الجيران أكثر تحفظا معها، كانت تجيب عن وضعها الاجتماعي بثقة وشيء من الفخر «متزوجة» الآن تتجاهل السؤال واذا اضطرت لتسجيله في أوراق رسمية فهي- لدهشتها- تخفي الورقة وتسلمها للموظف مطوية، ولم تعد تجد بسهولة شخصا يشاركها أفراحها وأحزانها، سواء يوم نجاح ابنها بتفوق أو يوم إجراء ابنتها لجراحة عاجلة، اتصلت بكل الأحباب وجدتهم جميعا مشغولين بأحوالهم ولم تجد من يهتم حقا ومن قلبه سواها.

ما كان يؤرقها أكثر من كل شيء هو الذكريات، أين تذهب بذكرياتها؟ لقد اكتشفت أنها تقريبا نسيت حياتها قبل الزواج، أما ما بعد الزواج فكلها مواقف تجمعها به، دائما معا على الحلوة والمرة، لم تفهم تماما ما ترمي إليه تلك الكلمات إلا اليوم، فهمتها بخبرة الألم، تلك الخبرة التي تخترق اللحم والعظام وتصب عصارتها في الدم.

نجهد أنفسنا ونعكر صفو حياتنا كثيرا بإصرارنا على التقييم، فلان أخطأ في كذا يجب أن نعاقبه ونقص درجاته وكأننا مازلنا في المدرسة، يحاسبنا الخالق عز وجل على السيئة بمثلها أما الحسنة فبعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ولله المثل الأعلى، لماذا لا ننقص درجة مقابل الإساءة ونعطي على الأقل درجتين مقابل الإحسان؟

لماذا لا نترك التقييم والحساب لله سبحانه ونكتفي بالتعامل العادل المتسامح معا كبشر نخطئ جميعاً ونصيب؟ لماذا عندما نقرر الطلاق نحسب نقاط الضعف ونحصي العيوب فقط ونعتبر صفقتنا على هذا الأساس خاسرة؟ المفروض أن نحسبها بالعكس، فنحدد نقاط القوة والمزايا وغالبا سنجدها هي الكفة الراجحة.

نتسرع ونتجاهل سؤالا رئيسا يقول: وماذا بعد؟ وما البديل؟ لو كان البديل رجلا آخر فكيف تضمنين تجربتك الجديدة معه؟ ولو كان البديل هو الوحدة، فأنت بلا شك خاسرة، وإذا كان ما يتعبك في حياتك الزوجية هو بعض الألم على الرغم من الحفاظ على تماسك الأسرة واستقرار الأبناء، فإن ما بعد الطلاق هو تفكك الأسرة وتشتت الأبناء والمزيد من الألم، يتفرد زوجك وحده بميزة تجعله هو الأنسب والأفضل من بين كل الرجال، هذه الميزة الفريدة أنه هو أبو أولادك، ضعي تحتها خطوطا كثيرة، ولا تتخذي قرارا في لحظات الغضب، واذا كنت تفكرين فعليا في الطلاق فأعيدي قراءة هذا الموضوع.

حديث القرآن عن العلاقة الزوجية .. إعجاز وبيان

ورد في العدد الماضي خطأ في مقدمة هذا المقال نظراً لتداخل مقالين لذا نعيد نشره كاملاً مرة أخرى ومعذرة للقراء

للفقهاء والأصوليين حديث عن الزواج تغلب عليه اللغة القانونية؛ لغة الحقوق والواجبات، ولغة الأحكام الشرعية، حيث الوصف بالحل والحرمة ونحو ذلك، وللدعاة حديث أيضا تغلب عليه روح الإصلاح، واستدامة الحياة، واستبقاؤها بين الزوجين، في غير نسيان للتذكير بالحقوق المتبادلة بينهما، وسبل تفعيلها.

وصفي عاشور أبوزيد

وقد وجدت في القرآن مذاقا خاصا وطعما حلوا ومعاني متفردة حين تحدث عن الزواج، ذلك الرباط الوثيق والميثاق الغليظ، وتلك العلاقة العجيبة.. فكيف تحدث القرآن عنها؟

١- الزواج آية من آيات الله تستحق التفكر، قال تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة...﴾ (الروم: ٢١)، فهل هناك أسمى من أن يجعل الله الزواج آية من آياته تستحق التفكر والتدبر والتأمل لما فيها من عجائب وغرائب يلحظها كل سليم الفطرة عميق الفكر بعيد النظر؟! أما أصحاب الفطر المطموسة المنكوسة فليسوا من ذلك في شيء؛ ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

٢- الزوجة مخلوقة من نفس الزوج، كما في آية سورة الروم السابقة ﴿من أنفسكم﴾ وكما في قوله تعالى ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها...﴾ (النساء: ١) وقوله ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة...﴾ (الأنعام: ٩٨) فانظر إلى دلالة: ﴿منها﴾ فهي توحي بأن الزوجة جزء من الزوج، والزوج جزء من الزوجة، فكأن الأصل أن هذه العلاقة غير قابلة للانفصال إلا إذا انفصل الجزء عن الكل، أو انبتر العضو من البدن، وهو ما لا يتصور إلا بمرض خبيث، نسأل الله العافية.

وأيضا فيها دلالة أخرى، وهي أن المرأة من طينة الرجل، فيها ما فيه من ضعف ونقص وخطأ، فلا ينبغي أن يفترض فيها الكمال، والأمر كذلك بالنسبة له، إنهما من الطينة نفسها.

٣- الزواج سكن للزوجين، كما في قوله تعالى ﴿... وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف: ١٨٩) وقوله ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾ (الروم: ٢١) وجعل هذا من آيات الله تعالى، وهذا محسوس ومشاهد في الحياة العملية للأزواج الأسوياء.

وفي كون الزواج سكنا للطرفين يجعل كلا منهما متمسكا بهذا السكن، وهل يفرط في السكن عاقل أو سوي؟! إضافة إلى ما في بنية الكلمة ﴿لتسكنوا﴾ من راحة وروح واطمئنان وهدوء تسكبها في النفس حروف الهمس في الكلمة.

٤- المودة والرحمة بين الزوجين فعل إلهي، قال تعالى ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١) وما دلالة هذا؟

إن من دلالاته أن الله تعالى يريد لهذه العلاقة أن تقوم، وأن تستمر؛ سكنا للزوج، وسكنا للزوجة، ورحمة ومودة متبادلة، ومراعاة للحقوق، وتحقيقا للوفاء لذلك تولاها الله بنفسه وأنشأها جعلاً إلهياً خالصا.

٥- الزوج لباس للزوجة والزوجة لباس للزوج، قال تعالى ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٧) هل في هذا التعبير من جمال أو فوائد؟! الجواب: نعم، بلا شك، فهو تعبير يوحي بأن كلا منهما حريص على الآخر كما يحرص المرء على لباسه، ولنا أن نسأل هنا: ما وظيفة اللباس؟ إذا تدبرنا وجدنا أن وظيفته تتلخص في ثلاثة أمور: الحماية، والستر، وإبراز الحسن. فكأن القرآن يريد أن يقول لنا: إن الرجل حماية لزوجته من الرياح الهوج، ومن أتربة الحياة، وزعازع الدهر، وأنواء الزمان، وكذلك المرأة حماية لزوجها في أسراره وماله وأولاده وعرضه وشرفه، وإن كلا منهما يجب أن يكون سترا على الآخر، فلا يبرز عيوبه إلا على سبيل الإصلاح والتجويد والتحسين، لا من باب التشهير والتجريح والإساءة، فإن هذا يتعارض مع هذا التعبير اللطيف.

٦- الزوجات حرث للأزواج، قال تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم...﴾ (البقرة: ٢٢٣) فكلمة الحرث تجعل الزواج رمزا للنماء والبركة لا وسيلة للفقر كما يصوره المفلسون، وهو معنى صرح به القرآن، واستخدام القرآن لكلمة الحرث تعبيرا عن الزواج استخدام بديع غير مسبوق، يجعل الخير المتوقع من الزواج كالخير المنتظر من الأرض التي لا قوام للحياة إلا بما تخرجه من زرع.

٧- الزواج ميثاق غليظ، قال تعالى ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ (النساء: ٢٠-٢١).

ولم أجد في الإسلام عقدا سمي ميثاقا، ثم وصفته النصوص بأنه غليظ سوى ميثاق الزواج، وكان كافيا أن يصف القرآن عقد الزواج بأنه ميثاق وعهد، فالميثاق كلمة فيها من القوة والتشابك ما يحول بينها وبين التفكك أو التحلل.

هكذا تحدث القرآن عن الزواج ، فهل هناك كتاب إلهي أو قانون بشري تحدث بهذا البيان؟!.

الإعلامية كريمان حمزة :

تفسير القرآن بلغة سهلة وميسرة .. هديتنا للطبقة المنسية

منير أديب

لم يسبق أن قدمت سيدة تفسيرا كاملا لأجزاء القرآن الكريم في العصر الحديث أو حتى القديم، غير أن كريمان حمزة، الإعلامية المصرية، لها السبق في ذلك حيث يظهر تفسيرها «الواضح في تفسير القرآن الكريم للشبيبة والشباب» ، فيكون لها السبق أولا في دخول غمار هذه التجربة والتي لم تسبقها إليها امرأة على مر التاريخ، ثم تقديم تفسير سهل ومبسط للشباب من جهة أخرى، وهو ما تفتقده المكتبة الإسلامية، «الوعي الإسلامي» حاورت الإعلامية كريمان حمزة صاحبة الـ(٢٦) مؤلفا في المكتبة الإسلامية، أبرزها موسوعة سيد الخلق، عبارة عن خمسة أجزاء قدمتها للتعريف بالرسول الكريم للأطفال، وكتابها «تجربتي من السفور إلى الحجاب» وحول تفسيرها الجديد الذي تقدمه للأطفال وقضايا أخرى مثلت فيها كريمان تساؤلات عدة للقارئ العربي .. وإليكم نص الحوار، الذي استغرق أكثر من ثلاث ساعات.

■ في البداية سألناها عن التفسير وماذا قدمت فيه من جديد؟

فئة الشباب من أهم الفئات في المجتمع بشكل عام، لما لهذه الفئة من أهمية في بناء المجتمع، فهي تشكل الحاضر والمستقبل في آن واحد، هذا بخلاف أنه لا يوجد بالمكتبة الإسلامية تفسير للقرآن الكريم يقدم للشباب بلغة سهلة وميسرة، فالشباب الطبقة المنسية دائما، رغم أهميتها كما ذكرت سابقا، وهناك كثير من القضايا التي لابد أن يوجه إليها الشباب من خلال القرآن الكريم وتظل معقدة ولم يعالجها كثير من المفسرين بالطريقة التي يجب أن تعالج بها، مثل قضية الحب بين الشباب والعلاقات المحرمة وقضية الشذوذ الجنسي، فضلا عن الجهاد وقيمة هذه الفضيلة ومدى اقتناع الشباب بها، حاولت من خلال هذا التفسير أن أكون متميزة من خلال اللغة المقدمة أولا للشباب ومن خلال المضمون، وبفضل الله وفقت في تقديم مادة جديدة ومختلفة، وهذه كلها فتوحات، لدرجة أنني لم أجد وقتا لمراجعة ما كنت أكتبه من كثرة الفيوضات والفتوحات التي منَّ الله بها عليّ.

■ بماذا تميز تفسيرك عن غيره من التفاسير الموجودة بالفعل في المكتبة الإسلامية، خاصة وأن هناك تفاسير تميزت بالبساطة والوضوح؟

– أنا لا أختلف معك مطلقا فيما تقول، فكل التفاسير الموجودة على الساحة تفاسير ميسرة، وبذل القائمون عليها مجهودا كبيرا ومشكورا في ذات الوقت، ولا شك أن الجميع مستفيد منها، وأنها سوف تظل نبراسا إلى يوم القيامة يهتدي بها الناس، ولكن التفسير الذي أقدمه مختلف بعض الشيء حيث يتميز بأسلوب ميسر فهو تيسير التيسير وبلغة يفهمها الشباب الآن في ظل تطورات الحياة المتلاحقة.

■ كم يبلغ عدد صفحات التفسير، وهل سيخرج في شكل أجزاء، أم يكون جزء واحدا؟

– التفسير وصل عدد ورقاته أكثر من ألف ورقة، راعيت ألا يكون طويلا وان تكون الخواطر فيه موجزة على غير ما هو موجود في تفسير مثل ظلال القرآن مثلا، حتى يناسب الشباب ويستفيدوا

روح الأمومة والحنان تغلب على أسلوب التفسير لتتماشى مع الطريقة الرشيقة والمقبولة لدى الشباب

منه، ولعلمك هذا التفسير لا يقدم للشباب فقط، وإنما يقدم للشبيبة أيضا، ومعروف أن الشبيبة هم المرحلة التي بين الصبا «الطفولة» والشباب «مرحلة انتصاف العمر»، والتفسير سيخرج خلال أيام للسوق، سوف يكون في جزء واحد كبير، ثم تخرج الطبعات التالية في أجزاء يجمعها مجلدات عدة.

■ كم أخذ التفسير منك من الوقت، وهل هناك أدوات اعتمدت عليها ساعدتك على إنجاز هذه المهمة التي يرنو إليها كثير من العلماء؟

– التفسير أخذ مني ثلاث سنوات انقطعت فيهم نهائيا لإنجازه، غير أنني في رحلة حياتي كنت أتعرض لهذه المادة من خلال القراءة، حيث قمت بتجهيز نفسي على مدار السنوات العشرين الأخيرة، أما عن الأدوات التي اعتمدت عليها فقد كانت كثيرة، وأغلبها كان في التفاسير السابقة مثل تفسير الوجيز للدكتور شوقي ضيف، والمنتخب الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي، ومختصر القاسمي لصلاح الدين أرقدان، والمختصر للشيخ حسنين مخلوف المفتي الأسبق للديار المصرية هذا بخلاف ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، وتفسير ابن كثير، والحلية، والبيضاوي.

■ هل هناك من لغة استخدمتيها في التفسير أو نمط كتابة كان غالبا على تفسير أغلب الأجزاء القرآنية؟

– أنا كتبت هذا التفسير بروح الأمومة، خاصة وأنني أكتب لشباب وأطفال، فكان الخط الفاصل بين التفسير والمعلومة، لغة يشم منها الحنان حيث كنت أميل كثيرا الى الحكاية والحدوتة، مع الاستعانة كثيرا بالأحاديث النبوية لتعضيد ما أقوم به، كما راعيت الناحية التربوية بأسلوب رشيق يستمتع به الشباب قبل أن يستفيدوا منه حتى يكون الإقبال عليه كبيرا.

■ قمت بتفسير القرآن الكريم، رغم أنك لست أزهرية وغير متخصصة في الدراسات الإسلامية؟

– بالفعل أنا خريجة كلية الآداب قسم الصحافة، ولست أزهرية، ولم أنل شرف أن أكون طالبة للدراسات الإسلامية، غير أنني أمارس الدعوة الإسلامية منذ (٣٨) عاما على يد أساتذة كبار وعلماء لهم وزن وقدر، فقد تلقيت على يد الشيخ العلامة د.يوسف القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبدالحليم محمود، شيخ الأزهر الأسبق، عليهما رحمة من الله، وغيرهم من العلماء الكبار، وأنا لم يخطر ببالي مطلقا أثناء عزمي على إتمام هذا التفسير كوني أزهرية من عدمه، ويكفيني شرفا إقدامي على مثل هذا المشروع الذي أراه شرفا يعلق في رقبتي في الدنيا والآخرة.

■ سوف تكونين أول سيدة تفسر القرآن الكريم، ألا تشعرين بالرهبة من جراء هذا السبق؟

– لا أخفيك سرا أنني بالفعل كنت أشعر برهبة غير عادية، فليس من السهل أن يتصدى المرء لتفسير القرآن الكريم، ولكنني أولا استحضرت النية بعد الاستخارة، وطلب العون من الله عز وجل، حتى كان التوفيق منه، وما فات يمكن إدراجه في الطبعات التالية، حتى يرضى الله عني ويكون هذا العمل نافعا لكل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

■ هل من قيم خاصة ركزت عليها كريمان حمزة في تفسيرها وأرادت أن تصل للشباب؟

– بلا شك، قيم كثيرة، فقد كان تركيزي أكثر على القيم والأخلاق، فمجتمعنا اليوم يحتاج أكثر إلى إبراز هذا الجانب والتعامل معه بما يفيد، وقد كان تركيزي أكثر على بعض المعاني منها الحب في الله، الذي يشكل عصب العلاقة في المجتمع المسلم، حيث كان محور عمل كل الرسل، وقد حاولت التعامل كثيرا مع بعض المفاهيم المنتشرة بين بعض الشباب من خلال آيات القرآن الكريم، وقد ركزت كثيرا علي معاني الجهاد وغيرها، مثل بخس الناس أشياءهم والذي انتشر في العصر الحديث بين كافة قطاعات المجتمع.

■ هل لك من مشاريع جديدة بعد هذا التفسير، تقدمينها للأطفال والشباب؟

– هناك حلم بأن أقوم ببناء مسجد ملحق به بناية لعلاج الأطفال أصحاب مرض «التوحد»، ويكون علاج هؤلاء الأطفال من خلال الألوان، خاصة أنه لا يوجد في مصر مكان لعلاج هؤلاء الأطفال فتزداد حالتهم سوءا ويزداد أباؤهم سوءا بتدهور حالة أبنائهم، والألوان مع المسجد تعطي نوعا من الرحمة التي لابد أن يكون بابها مفتوحا لكل الناس وبخاصة من أصيب أبناؤهم بهذا المرض، فادعوا لي أن يعطني الله العافية، وأن يلهمني المقدرة، وأن يمكن لي من يساعدني في هذا المشروع الذي يخدم قطاعات كبيرة من الناس المحتاجة.

■ سمعنا أنك أرسلت خطابا لجاك شيراك عندما منع طالبتين مسلمتين من دخول الجامعة بسبب ارتدائهما الحجاب؟

– بالفعل أرسلت خطابا لجاك شيراك وقتها أوجه له اللوم أولا، وأوضح مدى التناقض الذي تنطلي عليه إدارته في محاربتها للحجاب، وكان مجمل خطابي ردا على تساؤل طرحته، كيف تمنعون الحجاب؟ والسيدة مريم البتول هي أول من ارتدته، وأنتم تعترفون ذلك من خلال ما ترسمونه من صور، رغم أننا لا نسلم بهذه الصور، هذا والقرآن الكريم يقول ان الله فضل مريم على نساء العالمين.

قراءة في كتاب

معالم المنهج الإسلامي

بدر محمد بدر

يقدم لنا المفكر الإسلامي د.محمد عمارة في هذا الكتاب تصورا أوليا لإنتاج مشروع فكري حضاري، يحتاج إلى حوار علمي وفكري وأصولي من المفكرين والفقهاء، بهدف الوصول إلى رؤية أوضح وصياغة أشمل وتصوير أدق لمعالم «المنهج الإسلامي» الحقيقي، لأن فهم معالم هذا المنهج هو المدخل الحاكم الذي يفضي إلى إمكانية صياغة «الإسلام» كمشروع حضاري بديل، وهو- أيضا- الذي يهيئ للعاملين بالحقل الإسلامي أسباب وضع البرامج الإسلامية في الميادين المختلفة.

يرى المؤلف أننا في الفكر الإسلامي لسنا بإزاء منهج واحد، بل «مناهج إسلامية عديدة» تشترك في إسلاميتها، لكنها تتمايز دون أن تتغاير أو تتناقض، بتمايز العلوم والفنون والآداب الإسلامية، المصطبغة بصبغة الإسلام.. هو إذن منهج «فكر» الحياة الإسلامية، الرباني المصدر، الإنساني الموضوع، الذي يمثل معيار الإسلامية للحياة، بما فيها من علوم وفنون وآداب مختلفة.

وقد اختار د.عمارة فترة خلافة الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كحقبة تاريخية وبيئة واقعية، كي يستخلص منها معالم تطبيقات هذا المنهج الإسلامي، مع الاستئناس بامتداداتها، فكرة ونصوصا ومواقف، لأن تطبيقاتها للمنهج الإسلامي لم تكن تحت قيادة المعصوم ﷺ، حتى لا يقول قائل إنها لا تصلح للقياس، وأيضا بسبب خصوصية الالتزام بالمنهج في تلك الفترة قبل أن تطرأ عليه الطوارئ، وكذلك بسبب خصوصية اكتمال بناء الدولة الإسلامية في أرض الواقع في تلك المرحلة من نشأتها.

التوحيد أبرز سمة

ويقول المؤلف إن «التوحيد» هو أبرز سمات المنهج الإسلامي، التي تهض بالدور الأول في صياغة الإنسان المسلم كي يكون حرا، وتشكل شهادة «لا إله إلا الله» ونداء «الله أكبر» الطاقة العظمى والدائمة الفعل في تحرير الإنسان، وإطلاق طاقاته الفاعلة من أسر الغرائز والشهوات والماديات.. لقد كان التوحيد- ومازال- هو سبيل هوية الأمة، ومن ثم توحيد موقفها الفكري في العقائد والشرائع وفي الثوابت والأصول والأركان.

وموقع «الإنسان» من هذا المنهج الإسلامي هو مكان «الخليفة» عن الله سبحانه، المحكوم بإطار تكليفه بعد الاستخلاف، الذي هو- أي التكليف- في الجوهر والحقيقة المنهج الإسلامي، فالإنسان ليس هو محور الكون، ولكنه خليفة لله، وهنا تتجلى وسطية الإسلام، و«الإنسان» في المنهج الإسلامي هو أفضل المخلوقات، لكنه أيضا واحد منها، تحكمه السنن والقوانين التي أودعها الله في الطبيعة، وهذه السنن والنواميس تحكم العالم منذ ما قبل وجود الإنسان على الأرض.

وتتعدد وتتسع وتتنوع سبل الوعي والمعرفة ضمن منهج الإسلام وشموله لكل ميادين المعرفة، فلا يقف عند النزعة المادية أو الباطنية، لكنه يستنفر العقل كي يعمل في تحصيل الوعي والمعرفة، من خلال سبل وأدوات منها: النظر والتدبر والتعقل والبينة والبرهان... الخ، وبهذا المنهج كان العلم في الإسلام سبيلا لتنمية مخافة الله وخشيته وتقواه، وبالتالي كان صادق الثمرات والنتائج.

ويرى المؤلف أن «الوسطية» هي المعلم الثاني من معالم المنهج الإسلامي، ويقول إنها تعد بحق أخص ما يختص به المنهج الإسلامي عن المناهج الأخرى، وبها انطبعت الحضارة الإسلامية، في كل القيم والمعايير والأصول والمعالم.. إن الوسطية الإسلامية هي الفطرة الإنسانية السليمة، في بساطتها وبداهتها وعمقها،إنها صبغة الله، أراد سبحانه لها أن تكون صبغة أمة الإسلام، وأخص خصوصيات منهج هذا الدين.

وبهذه الوسطية لم يعرف الفكر الإسلامي التناقض، الذي لم يجد حلا بين الروح والجسد أو بين الدنيا والآخرة، أو بين الدين والدولة، أو بين المادية والمثالية...الخ، لقد مثلت هذه الوسطية عند من التزموا بها في الفكر الإسلامي طوق النجاة من هذه الثنائية وتمزقها.

ويستعرض د.محمد عمارة في إطار معلم «الوسطية الإسلامية» الكثير من القضايا والعناوين، التي شغلت المفكرين والفلاسفة في الغرب والشرق، بينما كانت واضحة في المنهج الإسلامي، مثل قضايا: الفكر والمادة والعلاقة بينهما، وكذلك الجبر والاختيار، واكتمال الدين وتجديده، والعلاقة بين النص والاجتهاد، وكذلك بين الدين والدولة، وبين الشورى البشرية والشريعة الإلهية، وأيضا العلاقة بين الرجل والمرأة وبين الفرد والطبقة والأمة، ليصل في النهاية إلى تأكيد «تمايز» الإسلام عن الفلسفات الأخرى، برؤيته «الوسطية» التي حلت الكثير من الإشكالات، التي عانى منها الفلاسفة والمفكرون عبر الزمان.

التربية الجمالية

ويتناول المؤلف معلما آخر من معالم «المنهج الإسلامي» وهو «التربية الجمالية» فيقول: إن «الجمال» الذي يظن البعض مخاصمة الإسلام إياه، هو بعض من آيات الله سبحانه

وتعالى التي أبدعها في هذا الكون، وأودعها فيه، وأينما يمم الإنسان بصره أو بصيرته أو عقله أو قلبه فإنه واجد آيات الله التي خلقها «زينة» للوجود، فليست المنفعة المادية فقط هي غاية خلقها وتسخيرها للإنسان، إذ الجمال والزينة كذلك منفعة محققة ولازمة أيضا للإنسان.

وإذا كانت «الحضارة» هي جماع إبداع الأمة في عالمي «الفكر» و«الأشياء»، أي في «الثقافة» التي تهذب الإنسان وترتقي به، وفي «التمدن» الذي يجسد ثمرات الفكر- في التطبيق والتقنية- أشياء وأدوات يستمتع بها الإنسان المتحضر، إذا كانت هذه هي «الحضارة» فإنها- كإبداع بشري- في المنظور الإسلامي وفي التجربة الإسلامية وثيقة الصلة بدين الإسلام، الذي هو «الطاقة» التي أثمرت توحيد الأمة وقيام الدولة والإبداع في كل ميادين العلوم والفنون والآداب.

وتنمية الإحساس الجمالي لدى الإنسان المؤمن هو تنمية للملكات والطاقات التي أنعم الله بها عليه، وإن في استخدام هذه الملكات سبلا للاستمتاع بما خلق الله في هذا الكون من آيات الزينة والجمال والشكر على نعمة خلقه لهذه الزينة ولهذا الجمال، فالمسلم إذن مدعو إلى الاتصال بالجمال، الذي هو البهاء والحسن في الفعل وفي الخلق، وإلى تنمية إحساسه بالجمال الذي أودعه الله في الكون، جمال الصور وجمال المعنى على حد سواء.

ويرى المؤلف أن حديث البعض عن «خصام» المنهج الإسلامي مع «فنون التشكيل» رسما ونحتا وتصويرا هو وهم من الأوهام، ويستعرض أدلته من القرآن والسنة وآراء الفقهاء، التي تجيز الحلال منها، ويقول: إن الإسلام لا يخاصم الجمال ولا يعادي فنونه، والمسلم الأمثل لا يمكن أن يكون ذلك المتجهم، الذي ينزع عن جماليات الحياة «مباركة الإسلام»، ولكن هناك المعايير الإسلامية، الاعتقادية والأخلاقية، التي يجب أن تحكم موقف المسلم تجاه هذه الفنون، حتى تظل مصدرا حقيقيا للخير والجمال في حياة الإنسان.

وإذا كانت المهمة الأولى للفنون الجميلة في حياة الإنسان، هي الارتقاء بروحه على درب الإدراك والاستمتاع بآيات الجمال الإلهي في هذا الكون، فإن الإسلام يتقدم على هذا الدرب خطوات أبعد، ليجعل من هذه الفنون سبيلا من السبل التي تصوغ «الإنسان الرباني» الذي يدرك معنى أن الله «جميل»، وأن «ربانية الإنسان» رهن بشوقه وتعلقه وسعيه على درب التخلق بالأخلاقيات الجميلة.. درب الوعي بالجمال الإلهي المبثوث في هذا الوجود، وأيضا الاستمتاع بلذات هذا الجمال!

الجهاد في سبيل الله

أما المعلم الأخير من معالم «المنهج الإسلامي» فهو «الجهاد في سبيل الله» لتطبيق منهج الإسلام، ذلك أن هذا الدين ليس نحلة فكرية أو مذهبا نظريا، وإنما هو عقيدة وشريعة يكتمل عندما يتحول إلى حياة معيشة وبناء قائم وحضارة متميزة في الممارسة والتطبيق، إنه رهن باللحظة التي لا نقف فيها مع القرآن عند مرحلة «التلاوة» وإنما يصبح بالجهاد حياة يحياها المسلمون.

ويقول د.محمد عمارة: إن مقام الجهاد- في رسالة الإسلام وتكاليف الأمة ومعالم المنهج- في الذروة، وكما قال ﷺ «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد، وإذا كانت بعض الأمم قد اتخذت من «الرهبانية» النشاط العملي الذي جسدت به الدين، فانحصر بذلك، دينها في الأديرة والمغارات والرهبنة والرهبان، وماعدا ذلك دنيا لا علاقة لها بالدين، فلقد علمنا رسول الله ﷺ أن النشاط العالمي لأمة الإسلام هو الجهاد الإسلامي في مختلف ميادين الحياة، بل إن رهبانية هذه الأمة الجهاد، كما قال عليه الصلاة والسلام.

والجهاد، ككل معالم المنهج الإسلامي، فريضة طلائع هذه الأمة، عليها أن تستفرغ الجهد وتبذل الوسع في استخلاص معالم هذا المنهج (بالجهاد الفكري)، وأن تستفرغ الجهد وتبذل الوسع (جهادا) يضع معالم هذا المنهج في الممارسة والتطبيق، ولا يجب أن نقف عند حدود «التفقه» أي الفكر النظري، بل علينا أن نمارس الجهاد لتطبيق منهج الإسلام العظيم.

الرقابة على الفتوى واجب المرجعيات الفقهية المعاصرة

الذوادي بن بخوش قوميدي

«الفتوى ركن عظيم في الشريعة»(١)، و«المفتي قائم في الأمة مقام النبي ﷺ»(٢)، وهو «نائب عنه في تبليغ الأحكام»(٣).والإفتاء هو التأطير الشرعي لأفعال العباد في كل زمان ومكان، وهو واجب كفائي منوط بذوي الأهلية الاجتهادية والكفاءة العلمية، ولا حق فيه ولا حظ للدخلاء والغرباء والمتطفلين.ولقد فُتح باب الاجتهاد في عصرنا الحاضر على مصراعيه، بعد أن جَهِدَت أجيالٌ من العلماء المجددين في الدعوة إلى تنشيط حركة الاجتهاد الفقهي، ليستوعبَ الحاجة الفقهية الملحة في واقعنا المعاصر، بيد أن انفتاح باب الاجتهاد أمام المتأهلين له لم يمنع من دخول كثير من المتطفلين الجرآء، المسارعين إلى اقتحام ما لا يحسنون وقول ما لا يدركون، إن بجهل أو هوى، فنتج عن ذلك نتائج سلبية كثيرة

وعلى خلاف كل الصنائع والعلوم والفنون التي لا يقوم عليها إلا المتأهلون، ولا يدخل أبوابها إلا المتخصصون، فإن علوم الدين- ومنها مجال الفقه والفتوى- بقيت دون حراسة من قانون ولا رقابة من سلطان.

ومن هنا تجرأ كل من عَنَّ له رأيٌ أو ظهرَ له نظرٌ في فهم الدين أو تفسير نصوصه، فجهر به، أو سوَّد به الصحائف، غير آبه للمسؤولية المترتبة على رأيه أو فَتْواه، ومن غير احترام للتخصص الذي أصبح اليوم من مسلمات المنهج العلمي المقبول.

وقد نبتت في واقعنا نوابت شتى لا ترعى للفتوى حرمة، ولا للعلماء مقاما، تسارع في الإفتاء، وتسابق فيه الفقهاء، ولا تبني فرعا على أصل، ولا تتهيب من تحريم ولا تحليل، وتخبط خبط العشواء، فتميل ذات اليمين وذات الشمال، على غير هدى ولا ميزان اعتدال، ولا تبالي أن توقع الغِرِّيرينَ والسُّذَّج من الناس في تشديد وإفراط أو تسيُّب وانفراط.

وإن عصرنا- كما لا يخفى- هو عصر التنظيم والتقنين الذي يضبط كل مناحي الحياة، تحقيقا لمصالح الأفراد والمجتمعات، وإن لاستقرار الجانب التشريعي بالغَ الأثر في استقرار سائر جوانب الحياة في المجتمع، وعليه فإن تقعيد الفتوى وتنظيم الإفتاء وإحاطة هذا الجانب الحيوي بالاحترام، وفرض هذا الاحترام على عوام الناس يغدو واجبا شرعيا ومصلحة ضرورية لا يصلح حال الناس إلا بها.

المتطفلون ساهموا في الجراءة على أهل العلم والتشويش على عوام الناس ومناقضة سلم الأولويات وإثارة التفرق المذموم

ومن هنا نصل إلى لزوم الرقابة على الفتوى.

معنى الرقابة على الفتوى

نقصد بالرقابة على الفتوى إشراف الهيئات الفقهية المختصة محليا وعالميا على الممارسات الاجتهادية لكل من يتصدى للإفتاء، من أجل ضمان السير المنتظم لحركة الفتوى، لتسير على سنن الحق والاعتدال، ومن أجل منع المتطفلين الذين لم يُحصِّلوا أهلية الاجتهاد حتى لا تُتَّخَذَ الفتوى هواية لكل أحد.

وفرض الرقابة على الفتوى لا يعني احتكارها من طرف طبقة معينة من الناس، فليس في الإسلام سلطة بابوية تحتكر الفتوى والتوجيه لتمارس بذلك الزعامة الفوقية على الناس، ولكن ضبط الإفتاء بالشروط العلمية والمنهجية مصلحة كبرى تفرضها حرمة الدين ومصلحة العباد.

آليات الرقابة لدى الفقهاء

ولقد أدرك الغيورون على الفقه الإسلامي- من قديم- خطورة الفتوى فوقفوا على باب الحذر، واعتمدوا أساليب وآليات شتى لضبط نظام الإفتاء، يمكن أن نسجل منها ما يأتي:

١- اختيار المفتي للاطمئنان إلى كمال أهليته

كان السلف رضوان الله عليهم يختبرون من كان في طريق التأهل للفتيا، حتى إذا حصل الاطمئنان على أهليته لهذا المنصب من كل الجوانب الخلقية والعلمية والمنهجية أذنوا له بمباشرة الإفتاء.

ذكر الإمام أبو الحسن الماوردي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر بالحسن البصري وهو يتكلم على الناس، فاختبره فقال له: ما عماد الدين؟ فقال: الورع. قال: فما آفته؟ قال: الطمع، قال: تكلم الآن إن شئت(٥).

وكان من موازين انتقاء أهل الإفتاء ملاحظةُ اجتهاد المفتي وآرائه وتقويمها من أهل الخبرة الممارسين، فإذا قلت أخطاؤه، أذن له في الإفتاء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا كثرت إصابة المفتي وأفتى في عدة مسائل بخلاف السنة لم يمنع من الفتوى مطلقا»(٦).

٢- الإنكار على المفتي الذي لا يحسن الفتوى

وقد شدَّد العلماء النكير على من يتولّى الإفتاء وهو لا يحسنه، حتى قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن- شيخ الإمام مالك: «لَبَعْضُ من يفتي ههنا أحقُّ بالسجن من السُّرَّاق»(٧).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شديد الإنكار على من يفتي الناس وليس بأهل لذلك، حتى إنه كان يحتسب عليهم ويَزَعُهُم عن هذا التكلف لما لا يحسنون، فلما قال له أحدهم: «أَجُعِلْتَ محتسبا على الفتوى؟ قال له: يكون على الخبازين والطباخين محتسبٌ ولا

يكون على الفتوى محتسب؟!»(٨).

وصدق الإمام ابن تيمية في هذه الموازنة، فإن شأن الفتوى ليس بأهون من شأن الخبز والطبيخ، وإن سلامة الأديان لاشك أولى من سلامة الأبدان.

وفي مقارنة الإمام الكاساني الحنفي بين ضرر المفتي الماجن وضرر الطبيب الجاهل شاهد آخر لموازنة الإمام ابن تيمية السابقة، يقول الكاساني رحمه الله: «المفتي الماجن يفسد أديان المسلمين، والطبيب الجاهل يفسد أبدان المسلمين»(٩).

والمفتي الماجن «هو الذي يعلم الناس الحيل الباطلة، وقيل: الجاهل الذي يفتي عن جهل ولا يبالي أن يحرم حلالا أو يحل حراما، والماجن هو الذي لا يبالي ما صنع»(١٠).

ومُعتمد المفتي الماجن في ذلك الشُّبَهُ الباطلة والتأويلات الفاسدة، وغرضه إرضاء الناس بما يشتهون.

والمفتي الجاهل والمفتي الماجن كلاهما لا يصلح لمنصب الإفتاء، ومن لا يصلح للإفتاء يجب منعه منه(١١).

٣- الاحتساب على المفتين

ويبدو أن التطفل على الفتيا لم يسلم منه زمان، ولهذا استدعى تدابير وإجراءات احتياطية وعلاجية، فنجد ذلك عند أوائل المنظرين لنظام الإفتاء من قديم، إذ لم تقف جهود العلماء عند الإنكار والزجر باللسان، بل تعدت ذلك إلى تدخل الدولة بالتشريع الملزم والعقاب الملجم، من خلال نظام الحسبة(١٢).

ونظام الحسبة هو الإنكار الرسمي لما يقع من انحرافات في شتى مجالات الحياة، والاحتساب على المفتين فرع من الاحتساب العام، وهو النظام الذي يظهر فيه التعاون بين جهود العلماء وسلطة

الحكام، حراسة لمقاصد الشرع ومصالح الخلق.

والاحتساب على المفتين يبدأ بإنكار أهل العلم، وينتهي بتأديب السلطان.

٤- تضمين المفتي الضرر الحاصل من فتياه

لقد نص المنظرون لنظام الإفتاء من قديم أن المستفتي (وهو العامي) إذا عمل بفتيا المفتي فحصل منه تلف أو ضرر، فإن المفتي يتحمل مسؤولية التعويض عن الضرر، إذا ظهر أن خطأه كان من قبيل المخالفة للأدلة والأحكام القطعية، هذا إذا كان المفتي أهلا للفتوى أما إذا لم يكن أهلا لها فإن البعض يحمل المسؤولية للمستفتي لتقصيره في تقليد من لم يكن أهلا للإفتاء، والبعض الآخر يحمل المسؤولية للمفتي ويكلف ضمان ما أتلف بفتواه «لأنه تصدى لما ليس له بأهل، وغر من استفتاه بتصديه لذلك»(١٣).

٥- التعزير البليغ والزجر الشديد

ومع الضمان نَصَّ الفقهاءُ أيضا على أن من تَسَوَّرَ منصب الإفتاء دون أهلية فإنه يلزمه التعزير البليغ والزجر الشديد

مسؤولية الجماهير

ومع أن الرقابة الواعية من جماهير المسلمين لها في أغلب الأحيان الحكم العادل على من يتصدى للإفتاء وتمييز من هو أعلم وأقوم إلا أن سهولة انخداعهم تجعلنا نخاف على مسار الإفتاء والتوجيه، وقد شهد واقعنا المعاصر- شهادة عدل- على وقوع كثير من الانحراف بسبب فتوى، دون أن يفطن عوام الناس إلى مآلاتها الضارة.

مسؤولية العلماء

والتعويل الأكبر يقع على العلماء، لأن الحكام والعوام- في واقعنا المعاصر- قليلو العلم، ضعيفو الفهم، لا يضطلعون بما يضطلع به العلماء، في مجال الفقه والإفتاء، ولا يدركون حيثيات المنهج السليم الذي ينبغي الاحتكام إليه في ضبط الفتوى وتمحيص الصواب من الخطأ.

وبالنظر إلى انشغال الحكام وسهولة انخداع العوام فإن التعويل الأكبر يبقى على المرجعيات الفقهية، ممثلة في المجالس والمجامع الفقهية العالمية والمحلية، فهي من ينبغي أن تراقب الفتوى فتنظر في ممارسة المفتين أفرادا وجماعات، بما لها من سلطة معنوية، وإذا أضفنا إلى ذلك سلطة الإلزام القانوني والقضائي التي يَكْفُلُها الحاكم أمكن أن نجنب الفتوى الكثير من المزالق والانحرافات، سواء بالتشبيه للغافلين والجاهلين، أو الزجر للسفهاء والمتماجنين، أو الردع للجرآء المغرورين.

هوامش

(١) المنخول من تعليقات الأصول، لأبي حامد الغزالي، ص٤٦٢ . تحقيق د. محمد حسن هيتو، دار الفكر - دمشق ط٢، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

(٢) الموافقات في أصول الفقه، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، جـ٤، ص٢٤٤، تحقيق الأستاذ عبد الله دراز، طبعة دار المعرفة - بيروت.

(٣) السابق، جـ٤، ص٢٤٥ .

(٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت٤٢٠هـ)، ص ٩٦٢. تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية . بيروت ، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، ج٢٧، ص٣١١، تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية- الرياض.

(٦) إعلام الموقعين لابن القيم، ج٤، ص ٢٦٢، حققه وعلق عليه وعمل فهارسه عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه حسان عبد المنان دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

(٧) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني (ت٥٨٧هـ)، ج٧، ص ٩٦١. دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

(٨) المبسوط، لشمس الدين السرخسي (ت٤٩٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م - ج٢٤، ص١٥٧، بتصرف يسير.

(٩) انظر: نظام الإفتاء، د. عبد الكريم زيدان، ص ٨٥. دار البعث - قسنطينة - الجزائر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥هـ.

(١٠) الحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله. انظر: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لأبي الحسن الماوردي، ص ٠٦٢ .

(١١) صفة الفتوى، لابن حمدان الحنبلي، ص٣١ .

(١٢) قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي الحنفي، ص٦٦٥. الصدف ببلشرز - كراتشي - باكستان، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(١٣) الفقيه والمتفقه، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، ج٣، ص١٥٤، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.

(١٤) السابق، ج٣، ص ٥٥١.

الظواهر تؤكد قرب نفاد صبر كوكبنا على سوء معاملة البشر له

الأرض تغرق!

صالح محمد صالح

هكذا بدت الصورة على كوكب الأرض اعتبارا من عام ٢٠٠١ بسبب التغيرات الجذرية التي حدثت في المناخ منذ ذلك الوقت... تسارع في ذوبان القطبين الشمالي والجنوبي، فيضانات عارمة، حرائق مهولة، جفاف ومجاعات قاتلة، أعاصير مدمرة وأمواج عاتية، بيوت مهدمة وأسر مشردة، دموع ومآس وأحزان، وللمرة الأولى في تاريخ هذا الكوكب يتفق علماء كثيرون وسياسيون على أن السبب في هذا التردي المتزايد في الحياة على ظهر الأرض هو تسارع ظاهرة الاحتباس الحراري، خاصة بعد اكتشاف أن التيارات البحرية التي تلطف الأجواء في نصف الكرة الأرضية الشمالي بدأت تتباطأ وقد تتوقف مما قد يؤدي إلى دخول نصف الكرة الشمالي في عصر جليدي مصغر فيما يعاني النصف الجنوبي من ارتفاع كبير في درجات الحرارة، مما يحمل إنذارا لكل سكان هذه الأرض لتدارك الوضع أو مواجهة مستقبل مجهول.

من شنغهاي في الصين أطلقت هيئة مستشاري تغيرات المناخ IPCC التابعة للأمم المتحدة تحذيرا حادا حول احتمالات زيادة التغيرات المناخية الناتجة عن ظاهرة الاحتباس الحراري بصورة أسرع بكثير من المتوقع، وقد أثار هذا التحذير جدلا واسعًا، ليس فقط في الأوساط العلمية، بل أيضاً في الأوساط السياسية، حيث أصدر الاجتماع الذي حضره أكثر من ١٥٠ عالمًا و٨٠ عضوًا لجماعات البيئة من ٩٩ دولة تقريرًا يؤكد أن المتسبب الرئيسي في زيادة درجة الحرارة على سطح الكوكب هو التلوث الهوائي الناتج عن الأنشطة الإنسانية المختلفة وأن استمرار معدلات انبعاث غازات الصوبة الخضراء Greenhouse gases وعلى رأسها ثاني أكسيد الكربون في مستواها الحالي قد يعني كارثة محققة، حيث يحتمل زيادة درجة الحرارة ١٠,٥ درجات مئوية عن معدلها الحالي مع نهاية هذا القرن، مما يعني النقص الشديد في موارد المياه العذبة نتيجة لتبخرها وارتفاع مستوى المياه في البحار والمحيطات، نتيجة لذوبان الثلج في الأقطاب المتجمدة بمعدل قد يصل إلى عشرة أقدام مما سيؤدي إلى غرق معظم الدول الساحلية.

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١) وربما نعجب عندما نعلم أن هذه النتائج التي وصل إليها ١٥٠عالما من مختلف الاختصاصات تحدّث عنها القرآن في آية واحدة، فتأملوا معي هذه الآية الإلهية الرائعة، يقول تبارك وتعالى:

١- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الحديث عن ظاهرة الاحتباس الحراري وقد سماها القرآن بالفساد لأنها فعلاً أفسدت البيئة والتربة والنبات والإنسان والحيوان في البر والبحر.

٢- ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ هذا إخبار بأن الناس هم المسؤولون عن هذا الفساد وهذا الاحتباس.

٣- ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ وهنا حديث عن نوع من أنواع العذاب ليعتبر الناس ويعودوا إلى بارئهم ورازقهم ليرفع عنهم هذا العذاب. فعندما تجف المياه وتقلّ مصادر المياه العذبة بسبب هذا التلوث وعندما تكثر الكوارث الطبيعية وأهمها الأعاصير مثلاً، وعندما تتلوث الرياح تصبح الأمطار حمضية، محملة بغاز الكبريت غير صالحة لا للسقاية ولا للشرب فجميع هذه الأشياء هي نوع من العقاب من

الله تبارك وتعالى ليذيقهم بعض الذي عملوا.

٤- ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وهنا البشارة من الله تعالى أن هناك إمكانية لأن يعود الغلاف الجوي للأرض كما كان، وهناك إمكانية لتنظيفه وإعادة التوازن إليه، وهذا ما ينادي به علماء البيئة اليوم.

أسباب الظاهرة

ويمكن تعريف ظاهرة الاحتباس الحراري Global Warming على أنها الزيادة التدريجية في درجة حرارة أدنى طبقات الغلاف الجوي المحيط بالأرض، كنتيجة لزيادة انبعاثات غازات الصوبة الخضراء greenhouse gases منذ بداية الثورة الصناعية، والتي يتكون معظمها من بخار الماء، وثاني أكسيد الكربون، والميثان، وأكسيد النيتروز والأوزون، وهي غازات طبيعية تلعب دورا مهما في تدفئة سطح الأرض حتى تمكن الحياة عليه، فبدونها قد تصل درجة حرارة سطح الأرض ما بين ١٩ درجة و١٥ درجة مئوية تحت الصفر، حيث تقوم تلك الغازات بامتصاص جزء من الأشعة تحت الحمراء التي تنبعث من سطح الأرض كانعكاس للأشعة الساقطة على سطح الأرض من الشمس، وتحتفظ بها في الغلاف الجوي للأرض، لتحافظ على درجة حرارة الأرض في معدلها الطبيعي.

ومن المؤكد أن نظام المناخ على كوكبنا أكثر تعقيدًا من أن تحدث الزيادة في درجة حرارة سطحه بهذه الصورة وبهذه السرعة، فهناك العديد من العوامل الأخرى التي تؤثر في درجة حرارته؛ لذلك كان هذا الجدل الواسع بين العلماء حول هذه الظاهرة وسرعة حدوثها، لكن مع تزايد انبعاثات تلك الغازات وتراكمها في الغلاف الجوي ومع مرور الزمن بدأت تظهر بعض الآثار السلبية لتلك الظاهرة؛ لتؤكد وجودها وتعلن عن قرب نفاد صبر هذا الكوكب على معاملتنا السيئة له.

إن بعض المناطق على سطح الأرض بدأت تلمس ظاهرة الاحتباس الحراري بشكل درامي، فبعض الجهات في النصف الشمالي تشهد أعاصير مدمرة وفيضانات عارمة أو موجات برد وعواصف ثلجية غير مسبوقة، في حين تضرب موجات جفاف طويلة جدا ونقصا فادحا في مصادر المياه في النصف الجنوبي من الأرض، ويتفق العلماء على أن الوضع سوف يزداد سوءا في السنوات القليلة المقبلة خاصة في بعض المناطق الجافة أصلا والفقيرة، خاصة في إفريقيا على سبيل المثال التي سوف تشهد ارتفاع موجات الهجرة البشرية من اللاجئين بسبب مجاعات تأكل الأخضر واليابس، كما يؤكدون على أننا لو واصلنا السير على النهج الحالي ولم نتخذ إجراءات صارمة لخفض انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون فإننا لن نستطيع الحياة على هذا الكوكب مع نهاية القرن الحالي.

الدول الصناعية مطالبة بالحد من انبعاثات الكربون بنسبة كبيرة بحلول منتصف القرن الحالي وعلى الدول النامية التكيف مع التغير المناخي

اتفاق كيوتو

وفي سياق المساعي التي جرت والمعالجات التي اقترحت خلال المؤتمرات الدولية المنعقدة لهذا الغرض وقعت ١٩٥ دولة عام ١٩٩٧على الاتفاقية التي عرفت فيما بعد باسم مدينة كيوتو اليابانية على خفض جماعي لانبعاث الغازات الضارة بالبيئة بمعدل يزيد على خمسة بالمائة، لكي تكون التغيرات التي تطرأ على المناخ ضمن حدود يمكن تحملها والتأقلم معها.

يذكر أن العديد من العلماء يرون أن اتفاقية كيوتو بداية متواضعة وأنه يفترض أن يبلغ الخفض خلال خمسين سنة نسبة ستين بالمائة لكي تبقى التغيرات المناخية ضمن الحدود المقبولة، وقد أعلن الرئيس الأميركي باراك أوباما اخيراً إنشاء منتدى للطاقة والمناخ يضم ١٧ من أبرز القوى الاقتصادية في العالم، يهدف إلى معالجة قضية الاحتباس الحراري الناجمة عن الانبعاثات الصناعية السامة التي تهدد البيئة العالمية، في إطار الأمم المتحدة. كما يسعى نائب الرئيس الأميركي الأسبق آل غور لحض البرلمانيين الأميركيين على إعادة القيادة الأميركية في مكافحة التغيرات المناخية.

بداية فكرة جديدة

توجد الآن حركة جديدة ترى بأن السبب الرئيسي في زيادة درجة حرارة الأرض هو الرياح الشمسية، حيث تؤدي تلك الرياح بمساعدة المجال المغناطيسي للشمس إلى الحد من كمية الأشعة الكونية التي تخترق الغلاف الجوي للأرض، والتي تحتوي على جزيئات عالية الطاقة تقوم بالاصطدام بجزيئات الهواء، لتنتج جزيئات جديدة تعد النواة لأنواع معينة من السحب التي تساعد على تبريد سطح الأرض، وبالتالي فإن وجود هذا النشاط الشمسي يعني نقص كمية الأشعة الكونية، أي نقص السحب التي تساعد على تبريد سطح الأرض وبالتالي ارتفاع درجة حرارة سطح الأرض.

ويرى أصحاب هذا الفكر أنه أكثر منطقية وأبسط تبريرًا لارتفاع درجة حرارة الأرض، وأنه عند انخفاض هذا النشاط الشمسي المؤقت ستعود درجة حرارة الأرض إلى طبيعتها، بالتالي يرون ضرورة توفير المبالغ الطائلة التي تُنفق على البحث عن وسائل لتخفيض نسب انبعاث ثاني أكسيد الكربون؛ حيث إنهم مهما قاموا بتخفيض نسبه فلن يغير هذا من الأمر شيئا طالما استمر النشاط الشمسي؛ حيث إن الإنسان مهما زاد نشاطه على سطح هذا الكوكب فلن يكون ذا تأثير على النظام الكوني الضخم الذي يتضمن النظام المناخي للأرض؛ لذلك من الأفضل استخدام تلك الأموال في تنقية هواء المدن المزدحمة من الغازات السامة، أو تنقية مياه الشرب لشعوب العالم الثالث.

تحذير

حذر خبراء في برنامج الأمم المتحدة لشؤون البيئة من احتمال أن يؤدي التغير المناخي إلى نزاعات داخلية جديدة واضطرابات إقليمية وحروب تضرب بشكل أساسي بلدان المغرب العربي وجنوب آسيا والساحل الشرقي الإفريقي، ويقول التقرير إن التغير المناخي قد يؤدي إلى مخاطر أمنية تضرب مناطق عديدة في العالم. ومن أهم هذه المناطق منطقة الشمال الأفريقي (المغرب العربي) حيث يمكن أن يؤدي نقص المياه والمحاصيل الزراعية مع الارتفاع المستمر في أعداد السكان وضعف الحلول السياسية والقدرة على حل المشاكل إلى زيادة احتمالات حدوث أزمة سياسية، وضغوط تدفع إلى مزيد من الهجرة للخارج، ويشير التقرير أيضا إلى أن ارتفاع درجة الحرارة قد يؤدي إلى ارتفاع منسوب مياه البحر المتوسط وإغراق دلتا وادي النيل في مصر بالمياه المالحة التي تفسد الأرض الزراعية، أما منطقة جنوب آسيا التي تشمل الهند وباكستان وبنجلاديش فهي عرضة لمخاطر نقص المياه الذي يمكن أن يهدد حياة ملايين البشر.

معاني البناء في قصص شهداء أُحُد

د.نبيل فولي

منح الله الإنسان حريته في أن يختار بين الهدى والضلال، وقد اختار كثير من الناس- وإن لم يكونوا أكثر البشرية- جانب الهدى، ووُفقوا بفضل من الله للسير عليه، وهؤلاء الذين اختاروا الهدى طريقًا تفاوتت درجات تمسكهم به، وتباينت عطاءاتهم العملية في خدمته والتضحية من أجله، ولعل الشهيد في سبيل الله هو من الواقفين في الصفوف الأوَل من أهل الله عطاءً وتضحية.

لأجل هذا لا يُعَد الشهيد في سبيل الله خسارة تخسرها الأمة المسلمة، مع ما في الموت من مُصاب وفَقْد، فالشهيد رابح، وأمته التي تنتفع بتضحيته رابحة أيضًا، لكن لن يكون دم الشهيد ذا ثمن عند أمته إلا بأن يفهموا المغزى العميق لتضحيته، فالذي يبيع راحته، ويكابد الأهوال، ويعرّض نفسه لأسباب الهلاك، بل يفقد بالفعل ما يُعَد فقده مانعًا من التمتع بأي نعيم مما في الدنيا، وهو الحياة نفسها.. هذا الإنسان يشير بعطائه هذا إلى أن ما ضحى في سبيله هو شيء عظيم، ويستحق أن يُضحَّى من أجله، وهو دين الله وشريعته، ويشير أيضًا إلى أن الفوز الحقيقي للإنسان ليس في أن تطول حياته في الدنيا، ويمر من طفولته إلى شبابه وكهولته ثم شيخوخته المتقدمة والمتأخرة، وإن بقي أثناء ذلك قوي البنية موفور الصحة، ولكن الفوز هو في ربح الآخرة والظفر برضا مَن خَلَق الحياتين: الأولى والآخرة، الفوز هو في قيمة ما نأتيه من العمل فوق ظهر الأرض، لا في طول أيامنا وسنواتنا فيها.

والموت في سبيل الله ليس حادثًا متهورًا يرتكبه إنسان يطلب الموت لمجرد الموت، بل هو نوع من البناء في طول الحياة وعرضها، هو نشاطٌ مادته الخام روح الشهيد، وحياةٌ خيوط نسجها من دم الشهادة.

الشهادة في سبيل الله موت ظاهري تُصنَع به الحياة الحقيقية، لا لصاحبه فقط، ولكن له ولأمته على السواء.

وما دامت الشهادة في سبيل الله مساهمة من صاحبها في البناء، فلابد أن يكون للبناء هنا معنى أوسع من المعنى المادي المتداوَل له، فيصير نشر العلم النافع- حسب هذه الرؤية- بناءً، وتربية النفوس على الاستقامة بناء، وترك الأثر الصالح ينتفع الخلق به بناء، كما يمسي تقديم الإنسان من نفسه أسوة صالحة للسائرين في دروب الحياة ومتاهاتها المُضِلّة من أروع أنواع البناء، فربما تشجع به الجبان، وعلت به همة الخامل، وتنبه به إيمان الغافل.

ومن هنا فإن معاني البناء التي قدمها شهداء عهد النبوة، وأُقيمت عليها أعمدة الدولة الإسلامية الأولى، تنوعت وتعددت، وأسهمت بشكل عملي في تشييد هذه الدولة وتقوية شوكتها، ومن هذه المعاني الرائعة- التي لا يكفي لاستقصائها مثل هذا المقال القصير- ما يلي:

١- لم ير كثير من شهداء الصحابة هذا العز الباذخ الذي بلغه الإسلام بعد حوالي عشرين عامًا من الهجرة مثلاً، ولم يروا الإسلام يشرِّق ويغرِّب في قوة وعزّ، وتصبح لغته وتشريعاته وعلومه هي الأنضج والأنضر في دنيا الناس، وأبناؤه هم الأوفر نصيبًا من العلم والخُلُق القويم والثروة. لقد عاش هؤلاء الأصحاب أصعب لحظات الإسلام دون أن يمهلهم الأجل حتى يروا دينهم ودعوتهم وأوطانهم وأمتهم في مقدمة الأديان والدعوات والأوطان والأمم شكلاً ومضمونًا، فعلّمونا بذلك أن المضحِّي الصادق لا ينظر إلى الغنيمة الدنيوية للنصر، بل ينتظر الأجرة على تضحيته من الله- عز وجل- ويحب الخير للناس وإن لم يستمتع به على الأرض.

هذا مصعب بن عمير يضرب لنا في ذلك مثلاً رائعًا، حيث مات

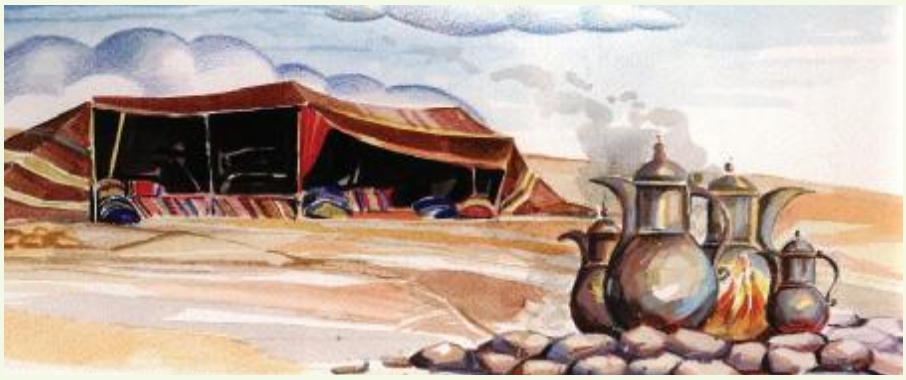

في أول الإسلام شهيدًا في غزوة أحد سنة ٣هـ، فكان من أحواله ما يُدهش ويُبهر، خاصة حين تُقارن بين حاله عند استشهاده وحاله قبل إسلامه، فهو في مكة الشاب المُعطار المرفّه، الذي يُعرَف من طيب رائحته قبل أن يبدو مَرآه للعيون، فما بالكم بثيابه ومتاعه وطعامه وشرابه؟! هذا العبد الصالح مات على هيأة أخرى لا تتفق مع حاله الأولى، عن خَبَّاب بن الأرتّ- رضي الله عنه- قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا (يجنيها ويقطفها)، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً، إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ (اسم نبات، مفرده إذخرة)»(١).

٢- والقيمة الثانية من قيم البناء التي قدمها شهداء غزوة أحد- رضي الله عنهم- هي إخلاص الشهيد في سبيل الله إلى آخر أنفاس الحياة، وهذا الإخلاص هو الذي يدعو صاحبه إلى أن يقدم أرقى ما عنده من الأداء الحياتي، وأثمن ما في حوزته من متاع الدنيا، يُصلح وقلبه يعشق الصلاح، ينشر الخير في جنبات الحياة منفعلاً به حريصًا على أن ينتفع به الخلق. وأمامنا نماذج متعددة من شهداء الصحابة في العهد النبوي لهذا الأمر:

وهؤلاء شهداء غزوة أحد جملة، يلقون ربهم، وتنتهي مهمتهم الدنيوية، لكنهم يأبون إلا

الموت في سبيل الله .. مادته الخام روح الشهيد وحياة خيوط نسجها من دم الشهادة

تجميل سيرتهم أكثر، فيقدمون لأهل الدنيا درسًا في الثبات والاستمرار، وعدم النكول عن الحق.

٣- ومن قيم البناء العظيمة التي تركها لنا شهداء غزوة أحد أن حياة المبادئ هي الأهم ولو متنا، ولهذا ذاعت بينهم هذه العبارة في غزوة أحد «موتوا على ما مات عليه رسول الله»، فحين أشاع المشركون في الغزوة

أنه ﷺ قُتل، انتهى أنس بن النضر- عم أنس بن مالك- إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل محمد رسول الله! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا كراما على ما مات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل(٢). وكأن الرجل العظيم أراد أن يَقْدُم على الله ومعه حُجّته بعدما ظن أن النبي ﷺ قد مات، وقضى أنس بن النضر نَحْبَه دون أن يعرف أن رسول الله قد بقي بعده، وأنه استمر يتقدم بدعوته في طريق جللته تضحيات ابن النضر وإخوانه- رضي الله عنهم- تلك التي صنعت سياجًا حمى الدعوة الإسلامية حتى بلغ صوتها العرب والعجم.

٤- أما موت المستمسك الذي لا يتزحزح عن موقعه مهما جللته المخاطر وأحاطت به الأهوال، فهو معنى آخر وقيمة بنائية أخرى سطّرها شهداء الصحابة في غزوة أحد، بل سجلها أكثر رجال هذا القرن المبارك، حتى من مات منهم على فراشه، وذلك أن حب الشهادة والبحث عنها كان روحًا عامة في هذا الجيل، وإن نالها بالفعل بعضهم دون بعضهم الآخر. ولأجل هذا لابد من التأكيد على أن الشهادة كانت «عشقًا» خاصًا لهم، لكنهم حرصوا على أن يفيدوا بهذا العشق أمتهم كأقصى ما يمكن الإفادة.

٥- ومن معاني البناء التي سُطِّرت بلغة الشهادة في غزوة أحد الإقدام على أداء الواجبات وتحمل المسؤوليات، وعدم التردد في ذلك، فكان إقدامهم على تحمل أهوال الحرب والتنافس على ذلك أشد من تنافس أهل الدنيا على دنياهم، وهو ما تحكيه قصص كثيرة شهدتها ساحة «أُحُد».

لقد مثلت هذه المعاني الراقية أسسًا للنجاة الأخروية، وعمدًا لبناء النموذج الإسلامي في السياسة والاقتصاد والتعليم والاجتماع، وشتى جوانب الحضارة والحياة، وهي أمور موصولة في الإسلام بالأصل والاعتقاد الذي يسري في كل جزء من حياة المؤمن سريان الدم في عروق الإنسان.

وبعد، فقد بقي للشهادة في سبيل الله موضعها في الوجدان المسلم منذ وقعت هذه التضحيات المبكرة في عهد النبي ﷺ وبعده، وغدت ذلك نصوص رائعة من القرآن والسنة، ترفع قدر الشهيد، وتُعلي من قيمة الشهادة، إلا أن إحياء معاني الشهادة لا ينبغي أن يكون بمعزل عن هذه القيم التي ارتبطت باستشهاد هذه الكوكبة من الجيل الأول الذي رافق النبي ﷺ حتى تظهر الوظيفة الحضارية والبنائية للشهادة في سبيل الله، ويؤصَّل لها بصورة تزيدها إشراقًا، وتحول دون تشويهها.

هوامش

(١) صحيح البخاري: كتاب ٢٣ الجنائز، باب إذا لم يجد كفنا إلا ما يواري رأسه أو قدميه غطى رأسه.

(٢) الطبري: التاريخ ٢/ ٦٦.

قضية

العرب وهجرة العقول

أحمد إبراهيم

أكثر من ٢٠٠٠ مليار دولار خسرتها الدول العربية بسبب هجرة العقول والكفاءات النادرة في الوقت الذي تستعين فيه بخبراء من الدول الأجنبية في مختلف المجالات، فيما يعد خسارة مزدوجة فادحة لا زالت تداعياتها مستمرة حتى الآن، في الوقت الذي جنى فيه الغرب من وراء ذلك الكثير بينما يرفض تعويض ما يعرف بدول الجنوب عن استنزاف أبرز عقوله ومواهبه وكفاءاته.

هذا التقرير يرصد بالإحصاءات والأرقام والدراسات الرسمية أوجه وحجم الخسارة الفادحة التي تكبدتها ولازالت الدول العربية جراء استمرار تعرضها لنزيف حاد في العقول لم يتوقف حتى يومنا هذا، وللأسف لا يبدو في الأفق أي إمكانية لتوقيفه!

التسمية ذاتها للقضية تغيرت بما له مغزاه ودلالته، فقد كانت الظاهرة تعرف خلال الستينات باسم نزف العقول brain drain= وأصبحت اليوم تعرف باسم النقل العكسي للتكنولوجيا Reverse Transfer of Techin تعبيراً عن الخسارة في الكفاءات البشرية وما لها من مضمون تكنولوجي وانتقالها إلى العالم الصناعي المتقدم.

وباعتبار أن النقل العكسي للتكنولوجيا هو واحد من ثلاثة مظاهر لتدفق الموارد الاقتصادية بين الدول وهي (رؤوس الأموال، السلع، المهارات الإنسانية)، فإن الدول الفقيرة والنامية تخسر أهم عناصر التطور وهو الإنسان مع العجز عن وقف ذلك نظراً لخضوعها للعرض والطلب وتزايد حاجة الدول المتقدمة إلى هذا العنصر صاحب الجودة المطلوبة.

وحسب ما ذكره تقرير صادر عن أكاديمية البحث العلمي المصرية فقد تزايدت ظاهرة هجرة العقول والكفاءات بشكل لافت للانتباه بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت وما زالت لدول الشمال سياسة خاصة لاجتذاب الخبرات المهاجرة من مختلف الدول على أساس انتقائي وبتخطيط واعٍ حتى بلغ الأمر خلال النصف الأول من السّتينات في الولايات المتحدة على سبيل المثال أن الأطباء والجراحين القادمين من الدول النامية كانوا يمثلون ٥٠٪ والمهندسين ٢٦٪ من مجمل القوة البشرية المضافة إلى الرصيد القومي من هذه التخصصات.

الغرب يحصل على أبرز كفاءات الدول الفقيرة مقابل المعونات التي يقدمها!

وتشير التقديرات حسب ما جاء بتقارير الأمم المتحدة إلى أن ثلاث دول من دول الشمال هي الولايات المتحدة الأميركية، وكندا، والمملكة المتحدة تستأثر بالنسبة الكبرى والتي تصل إلى ٧٥ ٪ من جملة التدفق في العقول والكفاءات المهاجرة من دول العالم النامي.

وتشير تقديرات مهمة توصلت إليها لجنة العلاقات الخارجية لمجلس النواب الأميركي إلى أن متوسط الوفر في نفقات التعليم والتدريب في الولايات المتحدة الأميركية نتيجة لهجرة كفاءات الدول النامية إليها يبلغ نحو بليون دولار سنوياً (أوائل السبعينات)، وقالت اللجنة إن هذه العملية تكاد تكون صورة عكسية للمعونة الأجنبية التي تتدفق من الدول الغنية إلى الدول النامية.

وتقول الحسابات التي توصلت إليها الأمم المتحدة إن حجم هذا التدفق لصالح الدول المتقدمة، فبالنسبة للولايات المتحدة الأميركية، وكندا، والمملكة المتحدة على وجه الخصوص يكاد يتساوى في قيمته حوالي (٣,٥٠ بليون دولار سنوياً في الستينات وأوائل السبعينات) مع حجم المعونة الرسمية للتنمية التي تقدمها هذه الدول الثلاث مجتمعة إلى العالم النامي خلال نفس الفترة.

وتعتبر الخسارة الاقتصادية التي تتحملها البلدان الموردة للكفاءات من أفدح الآثار المباشرة التي تترتب على هجرة الكوادر المتفوقة، وقد كشفت دراسة أميركية رسمية أن الولايات المتحدة الأميركية وفرت في عام ١٩٨٢ مبلغ ٨٨٣ مليون دولار في كلفة التعليم مقابل خسارة قدرها ٣٣٠ مليون دولار تحملتها الدول النامية وهو المبلغ الذي تم إنفاقه على تعليم تلك الكوادر العلمية والفنية المهاجرة.

أما فيما يتعلق بحجم خسائر دول العالم الثالث فقد قدرت منظمة (اليونكتاد) أنها خسرت في الفترة ما بين (١٩٦١- ١٩٧٢) ما مقداره ٥٠ مليار دولار نتيجة هجرة كفاءاتها للدول المتقدمة أي ما يعادل جميع مساعدات التنمية الرسمية الممنوحة لهذه الدول خلال الفترة نفسها من قبل الدول المتطورة.

بمعنى آخر فإن هجرة الكفاءات تمثل قوة معوضة للمساعدات الأجنبية وقد بلغت القيمة الاستثمارية المقدرة للأدمغة المهاجرة من الدول النامية إلى الدول المتقدمة ٥٠ مليار دولار كانت حصة الولايات المتحدة منها(٣٠ مليار دولار) فيما استحوذت كندا على(١٠ مليارات) منها.

ثلاث دول فقط تستنزف ٧٥٪ من جملة العقول المهاجرة من العالم الثالث

حرب استنزاف

وتشير أرقام إلى هجرة ما يقرب من ٧٥٠ ألفا من ذوي الكفاءات سنويًا إلى الخارج حيث تسود أوروبا موجة مقصودة من اجتذاب العقول، حيث تشير دراسات إلى أن القارة ستشهد انخفاضا في عدد السكان ومن هم في سن العمل والإنتاج وبالتالي فهي في حاجة لتعويض النقص المتوقع خلال الخمسين عامًا القادمة حيث تقول التقارير إن أوروبا بشكل عام تبحث عن مليون ونصف مليون متخصص لسد احتياجات مؤسساتها بينما يقدر العجز في العقول المتخصصة في الولايات المتحدة بـ ٣٤٦ ألف شخص.

وقد قرر الكونجرس الأميركي زيادة تصريحات الحصول على بطاقات الإقامة للمتخرجين الأجانب في مجال التكنولوجيا المتطورة من ٩٠ ألفا في السنة إلى ١٥٠ ألفا ثم إلى ٢١٠ آلاف في عام ٢٠٠١ وذلك بهدف تشجعيهم على البقاء في الولايات المتحدة وعدم الذهاب إلى بلادهم بعد حصولهم على خبرات كبيرة.

وتشير الإحصاءات إلى أن ٦٠٪ ممن درسوا في أميركا خلال العقود الثلاث الأخيرة لم يعودوا إلى بلادهم وكذلك الحال بالنسبة لأكثر من ٥٠٪ ممن درسوا في فرنسا.

وقد قامت بعض بلدان العالم الثالث بمبادرات في السبعينات في إطار الأمم المتحدة بغرض التوصل إلى إبرام اتفاقات دولية لتحجيم حركة الطاقة البشرية والمتخصصة المتدفقة منها إلى البلدان الصناعية الغربية والحصول على تعويضات مالية من الأخيرة لتغطية ما يلحق بالبلدان النامية من خسائر نتيجة هذه الهجرة إلا أن هذه المبادرات باءت بالفشل ورفضتها البلدان الصناعية.

كارثة عربية

وقد كشفت جامعة الدول العربية عن كارثة تهدد مستقبل الشعوب العربية حيث طالبت تقارير صدرت عنها اخيراً باستعادة علمائنا العرب في الخارج مشيرة إلى أن «إسرائيل» تفوقت في السباق العلمي مع العرب عن طريق إغراء العلماء الأوروبيين والأميركيين وتوطينهم داخل «إسرائيل» في الوقت الذي تتزايد فيه هجرة العلماء العرب للخارج وفشلت الدول العربية في استعادتهم حتى الآن.

وحذر تقرير صادر عن الجامعة في وقت سابق من خطورة الظاهرة على مستقبل الأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية للدول العربية حيث بلغت خسارتها من جراء هجرة عقولها العلمية للخارج أكثر من ٢٠٠٠ مليار دولار، وذكر التقرير أن الدول الغربية هي المستفيد الأكبر من احتضان أكثر من ٤٥٠ ألف عربي من حملة الشهادات والمؤهلات العليا.

ومما يلفت النظر في الوطن العربي أنه في مواكبة ازدياد معدلات هجرة الكفاءات العربية إلى الغرب يزداد اعتماد غالبية البلدان العربية على الكفاءات الغربية في ميادين شتى، أي أن الدول العربية تتحمل بسبب ظاهرة هجرة العقول خسارة مزدوجة بضياع ما أنفقته على تعليم وإعداد تلك الكفاءات من ناحية واستيراد الكفاءات الغربية من ناحية أخرى.

وقد تنبهت دول عديدة إلى قيمة تجمعات مواطنيها المغتربين في دول الغرب ونجحت دول مثل الصين عبر تهيئة البيئة العلمية بها في استعادة الكثير من علمائها في الخارج، وكذلك تايوان التي أعادت حوالي ٧٥٪ من علمائها المهاجرين من خلال مشروع حديقة العلم التي أنشأتها عام ١٩٨٠، وهناك أيضًا الهند وتركيا وكوريا الجنوبية وباكستان وماليزيا وإندونيسيا وكلها دول نجحت في استقطاب كفاءاتها المهاجرة وحققت من ورائهم الكثير من المكاسب العلمية والتكنولوجية إلا أن الدول العربية بسبب تناثر جهودها وغياب خطة عربية واضحة تشجع علماءها المهاجرين على العودة إلى وطنهم الأمر الذي يمثل تحديًا خطيرًا أمامها لابد من تجاوزه إذا أرادت اللحاق بركب التقدم في القرن الحادي والعشرين .

الخطاب الإسلامي الصحيح

الوسطية في الخطاب الإسلامي تنبع من قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ...﴾ (البقرة-١٤٣) ولها أبعاد عديدة، منها الوسطية الفكرية، والوسطية بين الجانبين المادي والغيبي، ووسطية الاتصال الخطابي، ووسطية البعد الزمني.

فالخطاب الإسلامي الوسطي هو خطاب الفكر الإسلامي الصحيح، الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، أي بين العقيدة الإسلامية وثقافاتها وأبعادها الحضارية من جهة وايجابيات الإنجازات الحديثة والمعاصرة في الفكر الإنساني من جهة اخرى، ويميل إلى التيسير في معالجة المشكلات الحياتية، وخاصة القضايا الجديدة وما تتطلبه من آراء وفتاوى ومعالجات فقهية، ويدعو إلى فهم واستيعاب الإنجازات الفكرية الغربية الإيجابية لما لها من منافع، مثل: آليات الديموقراطية والمؤسسات المدنية، والتداول السلمي للسلطة، وينفتح على فكر الآخر من خلال المجادلة بالتي هي أحسن أو الحوار، ورفض استخدام العنف والاقتتال داخل الأوطان الإسلامية، ويرفض العنف ضد غير المسلمين ما لم يكونوا محتلين للأوطان، ويهتم بالفنون والآداب والجمال في إطار الضوابط الأخلاقية الإسلامية، قال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾ (النساء ٦٩-٧٠).

د.محمد حجاب

وتنعكس الوسطية الفكرية على كل من الجانب النفسي والبعد الاجتماعي للفرد والمجتمع، فالخطاب الإسلامي يتوجه إلى الفرد باعتباره كيانا مستقلا له ذاتيته وإدراكه المتميز للأمور، حتى في العقيدة له الحرية الكاملة في الاختيار بين الإيمان وعدمه، وبين الخير والشر، وله القدرة على تهيئة الطرق لإنماء القوى الموجودة لديه وتوجيهها نحو الخير قال تعالى ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس:٧-٨).

وجاءت العبادات في فلسفتها لتقوية هذا الجانب في الإنسان، ولذلك يقول الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» البخاري ومسلم وغيرهما، لأن الصوم ينمي الإرادة الذاتية والخوف من الله، ويجعل للإنسان القدرة على السيطرة على شهواته ودوافعه الحيوانية، وذلك لحث الشباب على تنظيم غريزة الطعام، التي تعد أقوى الغرائز، ومن ثم السيطرة على الغرائز الأخرى وخاصة الغريزة الجنسية، وفي حديث الرسول ﷺ للشباب ما يوضح هذه الحقيقة، «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (رواه البخاري ومسلم وغيرها) وهذه المقاومة للغرائز هي نفسها الجهاد الأكبر الذي كان الصحابة يتحدثون عنه عقب عودتهم من الغزوات.

ولذلك، في ظل هذا الإطار أخذ الإسلام بمبدأ التكامل الوجداني بين جميع أفراد المجتمع لتحقيق الوسطية بين الفرد والمجتمع، من خلال صلة القلب بالقلب والعقل بالعقل والروح بالروح، لتسود في المجتمع الإسلامي روح المودة والمحبة، وبذلك تتحول الكثرة العددية إلى كيان واحد متكامل عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (رواه مسلم وغيره) وقال تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات -١٠).

المادي والغيبي

استهدف الخطاب الإسلامي من خلال التوازن بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين مجتمعه، تحقيق الاخوة الإنسانية بين البشر جميعا، بهدف دفع البشر إلى التعامل مع بعضهم وفقا للقيم الأخلاقية كالعدل والتراحم والصدق والتعاون، بهدف إقامة مجتمع إنساني يشعر كل من فيه بالأمن على نفسه وماله وعرضه وأسرته.

ولأهمية الجانبين المادي والغيبي في تحقيق الاخوة باعتبارهما الإطار الذي يتعايش البشر جميعا من خلاله، فقد تضمن الخطاب الإسلامي الحقائق الآتية:

- العالم المادي بكل محتوياته من حياة نباتية وحيوانية ومادية كالجبال والأنهار والبحار والسهول والشمس والقمر، قد خلقه الله للإنسان ليكون في خدمته، وجعله مسخرا له ومجالا لبحثه ودراسته من أجل تمهيد الكون كله لما فيه خير الإنسان وسعادته قال تعالى

﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الجاثية-١٣).

- الإنسان خلقه الله من طين، أي من مادة، ومن عنصر آخر هو الروح التي كرمه الله لأجلها، وطلب من ملائكته عند خلقه أن يسجدوا له، ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر-٢٩)، ومن منطلق هذا التكريم حمله الله مسؤولية الاستخلاف في الأرض ليكون خليفة الله في الأرض ليعمرها وينشر فيها الخير ويصنع الحضارة قال تعالى ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾(هود-٦١).

والعمارة هنا لا تقتصر فقط على العمارة المادية أي الحضارة، وإنما عمارة الآخرة، ولهذا دعا القرآن الكريم إلى الاهتمام بعمارة كل من الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص-٧٧)، أي التوازن بين المطالب المادية والمطالب الروحية، ولهذا فإن الإنسان مطالب بالإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر بكل ما فيه من الأمور الغيبية التي لا نعرف عنها شيئاً كالجنة والنار والحساب والثواب والعقاب، ولكننا علمناها مما جاء به الوحي وما أوضحه لنا الرسول ﷺ عن جوانب العالم الغيبى المختلفة.

وتتركز فلسفة الخطاب الإسلامي في تعميق الإيمان بالعالم الغيبي وموازنته بالعالم المادي حول تأكيد الجانب الخلقي الإسلامي، لوضع الفرد المسلم في أقصى درجة من الإثارة النفسية.

الاتصال الخطابي

يوازن الخطاب الإسلامي في التعامل مع البشر بين طاقاتهم وقدراتهم الأساسية، وتتمثل الطاقة في كل ما خص به الإنسان من

الموازنة بين الماضي السحيق للبشرية والمستقبل البعيد للإنسان .. ضرورة للمعالجة الزمنية

إمكانات لممارسة أنواع معينة من السلوك، أما القدرة فتعني الأفعال والتصرفات التي يستطيع الإنسان القيام بها، مثال ذلك أن الإنسان لديه طاقة لتعلم القراءة والكتابة، أما القدرة فتعني استطاعة القراءة والكتابة فعلا.

وقد راعى الخطاب الإسلامي في التكليف هذا التوازن بين القدرات والطاقات المختلفة، فجعل التكليف على قدرة الاستطاعة، قال تعالى ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ (البقرة-٢٨٦).

وقد اهتم الخطاب الإسلامي بمبدأ الطاقات والقدرات الأساسية أي بمراعاة مقتضى الحال، فالقدرة على الفهم والاستيعاب لدى الناس تختلف من فرد إلى آخر، فالإسلام يأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، أي أن أوازن بين لغة الخطاب ومحتواه وأساليبه وبين القدرات المختلفة للناس على الفهم والاستيعاب، لأن الفرد في نطاق الخطاب الإسلامي كيان مستقل متكامل عليه مسؤوليات، ولكن له حقوق، ومنها حق المعرفة والعلم والدعوة بالقدر الذي يتفق مع إمكانياته وطاقاته وقدراته المنطقية والعاطفية والروحية.

كما تعني الوسطية في الاتصال الخطابي الإسلامي الموازنة بين عنصري عملية الاتصال المرسل والمستقبل أو الداعية والجمهور، فالقائم بالاتصال وهو يعد شروحه وتفسيره لقواعد الدين أو وهو يقدم تحليلات لمشاكل الحياة، أو وهو يحدد أهدافه محكوم في الكفة الأخرى بجمهور يقف أمامه، يتسم باليقظة والوعي لكل ما يقدم له، ومتنبه لأي خروج عن إطار الدلالة الإسلامية من قبل القائم بالاتصال ليوجهه ويرده، وهو الأمر الذي اتضح في المحاولة الأخيرة للدكتورة آمنة داود في أميركا، عندما أعلنت عن عزمها إمامة المسلمين في صلاة الجمعة، أذاعت وكالات الأنباء والفضائيات ذلك الخبر، فانبرى الجمهور، عامة ومتخصصين لمواجهة هذه البدعة لدرجة جعلتها لا تجد مكانا للصلاة إلا فى كنيسة وتحت الحراسة المسلحة.

فبهذه الوسطية أو التوازن الإعلامي الذين ضمنهما الإسلام لخطابه تتحقق وظائف الإعلام الإسلامي في المجتمع، فيزود القائم بالاتصال الجمهور بالمعلومات الصحيحة والحقائق السامية وفقا لمتطلبات الدين الإسلامي، لا وفقا لأهوائه، وميول المؤسسات الإعلامية التي يعمل بها، ويتحدد هدفه في الموضوعية الهادفة التي تحقق الاستقرار للمجتمع.

كما أنه في إطار هذا التوازن الإعلامي يتحقق اهتمام شعور الإنسان بذاته كعقل ووعي مستقل، فلا يفرض القائم بالاتصال عليه فكره وآراءه ويسوقه إليها سوقا كما تفعل الدعاية وكما تفعل وسائل الإعلام الحديثة، أو تستغل غرائزه وعواطفه لفرض الإقناع عليه، لأن شعار الخطاب الإسلامى في التعامل مع الفرد المسلم نابع من قوله تعالى «لا إكراه فى الدين» (البقرة-٢٥٦).

وبهذا يصبح للجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية حق المراجعة وحق الضغط الاجتماعي على القائمين بالاتصال إذا خرجوا عن الأهداف السامية المعلنة التي أقرها الإسلام، ولذلك كان لإجماع الجمهور في الإسلام حق الحصانة لأنه الأمة تجمع على باطل.

البعد الزمني

وتحقق الوسطية هنا فى الخطاب الإسلامي بالموازنة بين الماضي السحيق للبشرية والمستقبل البعيد للإنسان ليرسم خطاه فى الحياة على هدي الاستفادة من تجارب الذين سبقوه من الأمم والأجيال، فيتعرف على المسيئين وعلى عاقبة أمرهم، فيتلافى أخطاءهم، وعلى جزاء المحسنين ليترسم هداهم، وليحدد لنفسه مستقبله المشرق، مدفوعا دائما إلى الأمام في كل عمل يقدمه، والمتأمل في تراثنا الإسلامي يجد مصداقا لهذه المعالجة الزمنية التي بدأت بنشأة الكون وخلق آدم والاستخلاف في الأرض ثم ما حكاه القرآن الكريم عن الأمم السابقة، الذين كذبوا الرسل وهؤلاء الذين اهتدوا بهداهم في كثير من الآيات، التي دعت المسلمين إلى التفكير والتدبر والسياحة في الأرض للتعرف على جوانب الماضي للعظة والعبرة، والعودة إلى النهج القويم.

العقوبات الجماعية في الفكر «الإسرائيلي»

د.رفيق حسن الحليمي

تشكل ظاهرة العقوبات الجماعية إبان الحروب والنزاعات حالة مرضية أقرب ما تكون إلى «الشذوذ» والانفلات من كل قيد، والخروج على مختلف الشرائع السماوية والقيم والأخلاقية والمواثيق الدولية وحقوق الإنسان في الحياة الكريمة، ولا تكاد تسلم أمة عبر تاريخ البشرية من مغبة الوقوع في هذه الجرائم «المحرمة»، باستثناء من أظلتهم العقائد الدينية السمحة وعملوا بها وامتثلوا لأوامرها ونواهيها، وتزودوا من معينها الصافي بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، والمثل العليا التي تحول دون الوقوع في تلك الجرائم إلى حد بعيد، إذ تعمل على كبح جماح المحارب وتقيده بقيود محددة وتمنعه من غلواء التطرف والتنكيل بالخصوم والمبالغة في العقاب الفردي والجماعي، حتى يسلم البشر والحجر، ولا يطال الآمنين من الأطفال والنساء والشيوخ والمتعبدين في بيعهم وصوامعهم ودور عبادتهم.

تتجلى هذه الأخلاقيات والقيم الإنسانية أو ما يسمى بـ «آداب الحروب» أكثر ما تتجلى في العقيدة الإسلامية بشكل واضح، ففي القرآن الكريم آيات بينات بهذا الخصوص، كقوله تعالى ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (النحل:١٢٦)، وقد حدد الأمر الإلهي في هذه الآية وغيرها بأن تكون العقوبة بمثلها فقط ولا زيادة فيها، وجعل في الصبر والعفو عند المقدرة مندوحة عن العقوبة، حتى للأسير في إساره وللمقاتل إذا استسلم، وفي الأحاديث النبوية ووصايا الخلفاء للقادة والمحاربين سلسلة من المبادئ والضوابط التي تشكل في مجموعها «آداب الحروب» وأخلاقياتها في الإسلام، وهي من الأمور التي تعلي من عظمة هذا الدين وتزيد من رفعته وشأنه، ولا يقدح في شأن هذه الآداب ولا يغض من قيمها الإنسانية بعض الحالات النادرة التي حدثت في بعض المواطن والمعارك، إذ لا تقاس الأمور «الكليات» بالمسائل النادرة والحالات القليلة الشاذة.

التوراة والعقوبة الجماعية

في التوراة- وتحديداً في الأسفار الخمسة التي تشكل الأساس للكتاب المقدس - حكاية بل حكايات لا يملك المرء إزاءها إلا الاقتناع بوضعها والزيادة فيها على الطريقة الإسرائيلية، إحدى هذه الحكايات تزعم أن تشكيم ابن أحد أمراء كنعان (وهو حمور أمير نابلس) وقع في حب «دينا» ابنة يعقوب عليه السلام، وكانت بينهما علاقة- كما جاءت في التوراة - يعف القلم عن سردها فطلب من أبيه أن يخطبها له، فعرض الأمر على يعقوب كما عرض عليه فكرة الزواج الجماعي من كلا الجانبين مقابل حياة كريمة مستقرة بدلا من حياة التنقل والترحال، وتعللوا بأن الكنعانيين لا يطهرون أولادهم وطالبوهم بالطهور الجماعي لأبناء الإمارة كلها... وقد تمت عمليات الطهور مع المبالغة في الحف عن عمد، فمرض أبناء الإمارة وأصبحوا مجهودين، وفي اليوم التالي دخل اثنان من أبناء يعقوب (ليفي وسيمون) وأعملا السيف في رقاب رجال الإمارة كلهم بمن فيهم شكيم ووالده، ونهبا ما وجداه من الموجودات والمقتنيات ثم فرا في جنح الظلام، وقد عاتبهما أبوهما على ذلك قائلا: لقد أحرجتماني (سفر التكوين عدد ٣٤).

قد تكون أحداث هذه الحكاية الأساسية حقيقية، رغم ما يلفها من تزييف واتهام لابنة نبيّ لكن تفسيرها على الطريقة الإسرائيلية واستنباط حكم معيّن تبنى عليه جرائم القتل الجماعي وتسوغ النهب والسلب هو المثير للغرابة، فهنا وهناك من الأحبار والمرجعيات الدينية اليهوديه من وجدوا فيها مسوغاً للقتل الجماعي ونهب الأغيار، وبمعنى آخر: شرعنوا العقاب الجماعي دينياً، وهو ما يتنافى مع أخلاقيات الحروب وآدابها، مع جوهر التوراة أصلا التي تنص على عدم القتل: «لا تقتل لا تقتل»، وهل من ذنب اقترفه شكيم بن حمور إلا أنه أراد الزواج من ابنه يعقوب، وهو ما لا يرتضيه الأسباط لأنهم كانوا يرون أن الكنعانيين «أنجاس» كما جاء وصفهم في التوراة مرات عدة! وقد جاء العقاب الفحش والجرائم والقتل الجماعي بغطاء من «المعتقد الديني» لما لهذا الغطاء من تأثير روحي كبير في النفوس.

التاريخ يعيد ذاته

هاهو التاريخ يعيد ذاته، فأعلى مرجع ديني قومي لدى اليهود (موردخاي إلياهو) يبعث في أثناء الحرب على قطاع غزة برسالة إلى رئيس وزراء إسرائيل إيهود أولمرت، ولكل قادة إسرائيل يذكرهم بقصة المجزرة التي تعرض لها شكيم بن حمور، وفكرة العقاب الجماعي لأعدائهم وفقاً لأخلاقيات الحرب، يقول «طبقاً لما ورد في التوراة فإن مدينة بأكلمها تحملت المسؤولية الجماعية عن السلوك غير الأخلاقي لأحد أفرادها»، ويضيف في رسالته «هذا المعيار

نفسه يمكن تطبيقه على ما حدث في غزة حيث يتحمل جميع سكانها المسؤولية لأنهم لم يفعلوا شيئًا من شأنه أن يوقف إطلاق الصواريخ» (جريدة الراي 2009/1/18م)، وهو بذلك يسّوغ القتل الجماعي والسلب والنهب ويرده إلى أساس ديني توراتي، ليعطيه شرعنة مطلقة وسنداً قويا من الاعتقاد وهو بذلك يطلق يد اليهود لمزيد من التدمير وسفك الدماء، وما ذنب البشرية إذا كانت التوراة التي بين أيديهم الآن، ويستنبطون منها الأحكام وفق أهوائهم غير التوراة الحقيقية التي لم يمسسها التحريف المتعمد؟!.

انظر: كيف يشرعن الأحبار أخلاقيات الحروب، وكيف يسوغون العقاب الجماعي، وكيف يفترون على كتاب الله (التوراة) جملة من الأكاذيب والافتراءات؟! لاشك أن لهم في ذلك مآرب أخرى بادية للعيان.

الترويج للأساطير دينيا: أكثر من ذلك مازال أحبارهم ومرجعياتهم الدينية يروجون للأساطير والأباطيل على أساس من التوراة ونسوا أن

شرعنة العقاب الجماعي تتنافى مع جوهر التوراة وأخلاقيات الحروب وآدابها

العالم قد تغير وأننا في عصر الفضائيات، ولم تعد الأساطير التي يروجون لها تنطلي على أحد إلا على البسطاء والبلهاء، فالزعيم الروحي لحزب شاس وأبرز الحاخامات (الحكماء) الشرقيين عوفاديا يوسف يزعم أن امرأة حسناء ظهرت أمام جنود إسرائيليين في غزة وكانت تساعدهم في حربهم وإرشادهم إلى مكان ناشطي حركة حماس، ويقول: إن الأم راحيل والدة النبي يوسف (عليه السلام) جاءت لمساعدة جنود إسرائيل في غزة، ويقول: ظهرت امرأة جميلة شابة أمام الجنود الذين أرادوا أن يقتحموا منزلاً فيه ثلاثة من «الإرهابيين» وحذرتهم من الدخول، وسألها الجنود: من أنت؟ فردت: ولماذا الاهتمام بمن أكون، وهمست أنا راحيل، قيل: ولاحقاً تبين فعلاً وجود مقاتلين من حماس في المنزل!

هكذا أصبح ظهور حسناء تساعد الجنود وتحذرهم من متفجرات وكمائن بين أبرز الإشاعات التي انتشرت في إسرائيل بعد وقف الحرب، قيل: وسئل موردخاي إلياهو الحاخام الأكبر عن الاشاعة وظهور راحيل، فقال: هذا صحيح أنا أرسلتها!! (جريدة الراي 2009/1/27م.

هذه الإشاعة رغم سخفها تستند إلى فكر توراتي، فراحيل هي زوجة النبي يعقوب ووالدة النبي يوسف عليهما السلام ولها مكانتها في التراث الديني، وغالباً ما يذهب صانعوا الإشاعات إلى الدين، أو إلى بعض مظاهره ورموزه حتى يعززوا من شأن الإشاعة، وليتقبلها الناس من دون نقاش وليعتقدوا أنها حقيقة واقعة لا مراء فيها، فالجندي القاتل للطفل وللمرأة وللشيخ بحاجة ماسة إلى مسوغ أو سند يؤازره في جرائمه ويهون عليه ما يقوم به من تدمير وتقتيل وليس هنا أقوى من السند الديني كورقة رابحة وغطاء يستغله الأحبار لإيقاع العقوبات الجماعية ضد الأغيار، ويأتي اختيار سيدة «حسناء» ترشد الجنود وتساعدهم في حربهم للضرب على وتر حساس، حيث يكون الجندي في فراغ نفسي فيجد في الحسن متعة وفي الجمال متنفساً وفي المرأة تشوقاً وقد سمعنا أن بعض الجنود العرب كانوا يحملون في جيوبهم صوراً لبعض الممثلات والمغنيات، وكان الناس يطلقون على جيشهم جيش «فلانة» الممثلة.

قد يخطر على الفكر سؤال: لماذا لم ترشدهم تلك المرأة الحسناء إلى مكان الجندي الأسير وتحريره، وهذا أحد أهداف الحرب على غزة، ولماذا لم ترشدهم إلى منصات الصواريخ، ولماذا ولماذا؟ أسئلة كثيرة تطرح نفسها مع القناعة بأن الإشاعة كالأكذوبة قد تحقق الهدف المنشود في لحظة عابرة، ولكن عندما تتكشف الحقيقة وينجلي غبار المعركة لا يبقى للإشاعة ذكر ولا أثر، وغالباً ما يكون لها فعل سلبي وأثر عكسي، فينقلب السحر على الساحر ويرتد الكذب على الكاذب، تذكرنا هذه بإشاعة مماثلة سرت في أواخر السبعينيات وتحديداً بعد هزيمة ١٩٦٧م من القرن الماضي، وهي ظهور السيدة مريم العذراء وتجليها في بعض كنائس القاهرة والاسكندرية وقد انشغل الناس بهذه الاشاعة كثيراً، وسألت أستاذا جامعياً عنها فقال: نحن قوم مهزومون وقد وجدوا في ترويج هذه الإشاعة ما يشغل الناس عن التفكير في الهزيمة والواقع المؤلم.

صناعة الفقيه الاقتصادي بالمصارف الإسلامية

في ظل اتساع المعاملات الاقتصادية بين الأفراد، أو بين المؤسسات والدول، فإن المسلمين ليسوا بمعزل عن هذا الواقع، ولكنهم يخوضون غمار هذا العالم، وهم يستشعرون أن المعاملات المالية لها خصوصية في الشريعة الإسلامية تجعلهم حريصين على الحلال والحرام، ومن هنا انتشرت المصارف الإسلامية لتحقق أمرين: الأول، تلبية ضرورة عصرية لتسهيل تعاملات الناس المالية والاقتصادية، والثاني، أن تتسم هذه التعاملات المالية والاقتصادية بموافقة الشرع الإسلامي وعدم مخالفته، سواء فيما يتعلق بالبعد عن الربا أو صحة العقود والبيوع، أو تحقيق مقاصد الشريعة في المال.

عبدالحافظ الصاوي

نظرا لأهمية البعد الشرعي في عمل المصارف الإسلامية، وما يستتبعه الأمر من وجود اجتهاد في النوازل الاقتصادية الحديثة، التي فرضتها التجربة، أتت الدراسة الهامة للدكتور قطب الريسوني، أستاذ الفقه وأصوله بجامعة الشارقة لتعالج قضية تأهيل أعضاء الرقابة الشرعية بهذه المصارف للاجتهاد، فحملت الدراسة عنوان «نحو تأهيل اجتهادي لأعضاء هيئة الفتوى بالمصارف الإسلامية.. رؤية في تفعيل الممارسة الشرعية»، والدراسة بمباحثها الخمس، تقدم لنا ما يمكن أن نطلق عليه صناعة الفقيه بالمصارف الإسلامية.

ضرورة وجود الفقيه الاقتصادي

أشارت الدراسة إلى أن تجربة المصارف الإسلامية ليست حديثة عهد، ولكنها اكتسبت زخما جعلها ملء السمع والبصر، سواء في عالمنا العربي والإسلامي أو حتى في البلدان غير الإسلامية، ومن هنا كثرت الدراسات والأبحاث التي ترصد الظاهرة وتقومها، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الأبحاث والدراسات، وجود قصور في الناحية الشرعية الخاصة بالتعاملات المالية، وطالبت هذه الدراسات والأبحاث في معظمها بأهمية توافر الفقهاء المتخصصين في النواحي المالية من حيث العدد والكيف، بحيث يمكن تلبية حاجة المصارف الإسلامية من هذا التخصص، فضلا عن باقي المؤسسات المالية الإسلامية الأخرى مثل أسواق المال الإسلامية (البورصات) أو شركات التأمين التكافلي، أو الفنادق الإسلامية. ويؤكد الريسوني على أن حاجة المصارف الإسلامية- وغيرها من المؤسسات المالية والاقتصادية- تنبع من كون العديد من تعاملات هذه المؤسسات حديثة، وتطلب معرفة فقهاء الشريعة بمكوناتها الفنية حتى يمكنهم إصدار الفتاوى الخاصة بها، ومن هنا فتعامل الفقيه في قضايا المصارف الإسلامية يتطلب تمتعه بالحس الاجتهادي، وألا يكون فقيها تقليديا، يحفظ النصوص، ويسرد الأدلة، ولكن ينبغي أن يتصف بالقدرة على الإفتاء المبني على قواعد أصولية سليمة، تأخذ الواقع المعيش بعين الاعتبار، إذ اشترط الأصوليون من علمائنا أن يلم المفتي بعلمين حتى تتوافر شروط الصحة في فتواه، وهما العلم بالنص الشرعي والدراية بالواقع، ولذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله «لا يصح لفقيه أن يقول في ثمن الدرهم ولا خبرة له بسوقه»، وكان من أهم أسباب تضارب الفتوى بين الهيئات الشرعية للمصارف الإسلامية في المسألة الواحدة، ذلك الغياب للمعرفة الاقتصادية والمالية، والاعتماد على ما يقدمه الآخرون للمفتين من تعريف أو توصيف للمعاملات المالية والاقتصادية، وبطبيعة الحال فإن التكوين العلمي لمفتي المصارف الإسلامية أتى من خلال مناهج وبرامج مؤسستنا التعلمية المعنية بالنواحي الشرعية، حيث يغلب عليها هذا الفصل بين العلوم الشرعية وباقي العلوم العصرية، وبخاصة الاقتصادية منها، وهو ما يجعل الفقيه المعني بالفتوى للمصارف الإسلامية يعتمد على إعادة تكوين خلفياته المالية والاقتصادية بعد أن ينهي تخرجه من المؤسسات التعليمية،

ويجد نفسه أمام واقع يُفرض عليه، ومما يشار إليه في هذا المضمار، أن من أكبر التحديات التي تواجه المصارف الإسلامية، تلك الهشاشة في الإطار الحاكم على المعاملات المالية بالمصارف الإسلامية، ولاشك أن وجود هؤلاء المفتين الشرعيين في المصارف الإسلامية، هو مبعث ثقة الأفراد في شرعية تعاملات هذه المصارف، فعلى الرغم من تعدد التعريفات حول المصرف الإسلامي فإن مضمون هذه التعريفات ينصرف إلى أنه «مؤسسة تلتزم في معاملاتها المالية، ونشاطاتها الاستثمارية، بالشريعة الإسلامية أحكاما ومقاصدا، مع الالتفاف إلى تطلعات المجتمع الإسلامي إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية»، ومن هنا فالحاجة ملحة وضرورية لوجود الفقية الاقتصادي.

شروط الصنعة

ثمة اتفاق على أن من يعمل بالإفتاء بالمصارف الإسلامية، هو في حكم المجتهد، بسبب مستجدات التعامل المالي والاقتصادي، ولذلك فلابد أن تتوافر فيمن يتصدى لهذه المهمة امتلاك الأدوات المؤهلة للاجتهاد، والتي بلورتها دراسة الريسوني في الشروط الآتية:

١- اللغة العربية، لا يشترط فيمن يعمل بالإفتاء بالمصارف الإسلامية أن يكون إماما في اللغة العربية، ولكن يكفيه أن يكون ملما بما يسعفه في فهم النصوص الشرعية ومدلولاتها.

٢- أصول الحديث، وينبغي للمفتي أن يكون متقنا لهذا العلم، لمعرفة رتبة الحديث، من حيث الصحة والضعف، ليحسن الاستدلال في فتواه، فالأمر يتعلق بالحلال والحرام في المعاملات، وليس فضائل الأعمال من الترغيب والترهيب أو الأخلاق والآداب.

٣- أصول الفقه، وعلم الأصول من أساسيات الإفتاء في المصارف الإسلامية، لأن معظم القضايا هي من المستجدات التي لا يرجع فيها لنص، ولكن يعتمد المفتي بشكل كبير على القواعد الفقهية.

٤- علم المقاصد، وهو مما يصون النظرة الاجتهادية، ويساعد المفتي في تحقيق مراد الله عز وجل في حياة الناس، ويحقق مصالحهم العاجلة والآجلة.

٥- فقه المعاملات المالية، وهذا الفرع من الفقه لابد أن يتقنه من يتصدى للإفتاء في المصارف الإسلامية، فهو مجال النوازل المالية والاقتصادية، ووجود خلل أو نقص لدى المفتي في هذا التخصص يؤدي إلى خطأ الفتوى وعدم دقتها.

٦- علم الخلاف، وهذا الفن يعين المفتي على معرفة مناهج الاستنباط وأصول الاستدلال التي جرى عليها الأئمة المحتهدون في فهم مراد الله من الوحي، والاستفادة من التراث الفقهي الثري والضخم.

٧- فقه الدعوة، ويعد هذا الأمر من المستجدات التي لم تدركها من قبل الكتابات المعنية بالاجتهاد، ومن خلال هذا الفقه يعمل المفتي على ترشيد العاملين بالمصارف الإسلامية من حيث السلوك المهني الإسلامي، وتعميق معرفتهم بالتعاملات المالية الشرعية، وكذلك طمأنة جمهور المتعاملين بسلامة تعاملاتهم من الناحية الشرعية.

٨- أدب الجدل والمناظرة، وتأتي أهمية هذا الجانب من خلال قراءة ما تعرضت له المصارف الإسلامية من انتقادات، سواء بالحق أو الباطل، ومهمة المفتي أن يدافع عن التجربة في ضوء الممارسات الصحيحة والسليمة شرعيا، فكم من المسائل الفقهية كان محل خلاف، ولكنْ سيئ الحوار والجدل حولها، مثل الوعد الآمر بالشراء في بيع المرابحة، والبيع بالتقسط، وقاعدة ضع وتعجل.

٩- المعرفة الاقتصادية والقانونية، ولذلك ذهب ابن القيم- رحمه الله- إلى أن المفتي لا يتأتى له الحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن، والأمارات، والعلامات، حتى يحيط به علما.

المؤسسية تتيح إمكانية سد العجز الكبير الذي تعاني منه المصارف الإسلامية لغياب المفتين

المؤسسية الطريق الصحيح

تخلص دراسة الريسوني إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات المهمة، من أجل صناعة وتأهيل الفقيه المجتهد في مجال المصارف الإسلامية، ومن أهم ما أشارت إليه الدراسة ما يلي:

■ في الوقت الذي تعج فيه دنيا المال والاقتصاد بالمؤسسية، ينبغي أن تكون مهمة صناعة المفتين بالمصارف الإسلامية مهمة مؤسسية، بدءا بالدراسات الجامعية المتخصصة، أو إنشاء شعب للإفتاء الاقتصادي بكلية الشريعة، أو وجود لون من الدراسات العليا، يؤهل المفتي بالشكل الذي يجعله قادرا على التعامل مع المسائل المالية بنفس الدرجة من الإتقان للنواحي الشرعية.

■ المؤسسية تتيح لنا إمكانية سد العجز الكبير الذي تعاني منه المصارف الإسلامية من غياب المفتين. على أن يكون القائمون على أمر التدريس في هذه المعاهد والأقسام المتخصصة، علماء أكفاء، تتوافر فيهم شروط تأهيل وصناعة المجتهد، سواء كان هؤلاء المختصون من علماء الشريعة أو الاقتصاد أو القانون.

■ أن يحسن اختيار من يلتحقون بهذه المؤسسات والمعاهد، فمن يؤهل للاجتهاد لابد أن يكون متمتعا بسعة الأفق، ومستوفيا لشروط علمية ونفسية، تؤهله للالتحاق بهذه الصنعة، ولا يقتصر التعليم والتدريب على التخرج من هذه المؤسسات أو المعاهد، ولكن لابد من التدريب المستمر بعد التخرج، وإقامة ورش العمل والندوات والمؤتمرات المتخصصة، وأن يستفيد المفتي من جهود المجامع الفقهية والإصدرات العلمية الرصينة، والفتاوى المعاصرة للعلماء المتخصصين.

■ ثمة أمر هام يعاني من جوانب القصور في مجال الإفتاء المالي والاقتصادي، وهو قلة عدد الإصدارات العلمية الدورية، وكذلك ندرة الجمعيات العلمية المتخصصة في مجال الإفتاء المالي والاقتصادي، ولا يخفى على أحد أن مهمة رعاية هذه الأعمال- من وجهة نظر المحرر- من وجود الإصدارات المتخصصة أو الجمعيات العلمية، يجب أن تقوم بها المصارف الإسلامية، باعتبارها المستفيد الأول من مخرجاتها.

رئيس جمعية الحفاظ على الحياة في بريطانيا والأمم المتحدة د.عبدالمجيد قطمة:

دول إسلامية تستورد حيوانات مصعوقة كهربائيًّا ومحقونة بمواد خنزيرية

لندن - خاص

حذر د.عبدالمجيد قطمة، رئيس جمعية الحفاظ على الحياة في بريطانيا والأمم المتحدة، من تناول لحوم الحيوانات المذبوحة على غير الطريقة الإسلامية والمصعوقة كهربائيا، والمستوردة من دول أوروبية كنيوزلندا والبرازيل، مؤكدا أن دولا عربية على قائمة الدول التي تستورد الحيوانات المصعوقة كهربائيا، والمحقونة بمواد خنزيرية، والتي ثبت علميا ضررها وتأثيرها على صحة الإنسان. تخصص د. عبدالمجيد قطمة، في الطب العقلي والنفسي، وعمل بمستشفيات بريطانيا، وتفرغ أخيرا للكشف عن أضرار الحيوانات المصعوقة كهربائيا على مدار ٣٥ عاما، والمصدرة لدول عربية وإسلامية، له ٢٠٠ بحث ومحاضرة، قدم بعضها كتقارير دولية للحكومة البريطانية، تتعرض للأضرار الصحية جراء أكل هذه الحيوانات المصعوقة كهربائيا.

«الوعي الإسلامي» حاورت د.عبدالمجيد قطمة، بمقر جمعيته الطبية بلندن.. وإليكم نص الحوار:

■ في البداية، ما حقيقة التحذيرات التي تطلقها من جراء استيراد دول عربية كبرى لدجاج مصعوق كهربائيا؟ وهل هناك دليل على صعق هذه الحيوانات وعدم خضوعها للذبح على الطريقة الشرعية؟

- بعض الدول في العالم الإسلامي المترامية أطرافه تأكل حيوانات غير مذبوحة، وصعقت بالكهرباء بزعم أن الذبح طريقة وحشية يتم التعامل بها مع الحيوانات، وكثير من هذه الحيوانات تحقن بمواد خنزيرية، والدليل على ذلك دراسات وأبحاث وتحليلات لعينات عشوائية من الدجاج، سواء المكتوب عليها «حلال» والمنتشرة في بريطانيا ذاتها أو دول أوروبا، أو المصدرة للدول العربية ومنطقة الخليج، ويا ليت الأمر مقتصر على الدجاج، بل يشمل البقر المشكوك فيه، وهناك دول عربية تمثل حقلا لمثل هذه اللحوم، فكثير من هذه الدول تستورد ذبائح مصعوقة ومخالفة للشرائع السماوية.. وهناك بعض الدول الأوروبية تعترف بالصعق، إذن فالطامة كبرى.

الهدف من حقن بعض الحيوانات بمواد خنزيرية تجاري والمسلمون مسؤولون عن هذه المصيبة

■ وما الفائدة الصحية للحم المذكى أو المذبوح على طريقة الشرائع السماوية دون الصعق الكهربائي؟

- اللحم المذكى لحم صحي، فضلا عن أن الذبيحة لا تشعر بوجع أو ألم، وقد أثبتت الطريقة السماوية في الذبح فائدتها الصحية من خلال نقاء اللحم وخلوه من البكتيريا والجراثيم، التي تبقى في الذبيحة المصعوقة نتيجة بقاء الدماء في عروق هذه الذبيحة، مما يتسبب في قيء وإسهال يؤديان إلى تسمم حقيقي ووفاة.

والعلم الحديث أكد فوائد كثيرة للحيوانات المذبوحة على الطريقة الشرعية. المخاطر الصحية والأضرار الطبية

للحيوانات المصعوقة كهربائيا، أو تناول الحيوانات المتبقي في عروقها الدم من خلال شعيراتها الدموية كثيرة، لأن هذا الدم يتجمد وينقل إلى الإنسان الإفرازات الضارة والسموم، والدول غير الإسلامية لا تبغي من وراء ذلك- غالبا- سوى تحقيق أكبر عائد من الأرباح التجارية، إذ يزن دم كل ذبيحة كيلوجرامات عدة، إذ تمثل كمية الدم ١٣/١ من وزن الحيوان تقريبا، فلو كان وزن الحيوان ٤٠٠ كيلوجرام مثلا، فإن الجهة المصدرة ستربح (٤٠٠ × ١٣/١) ٣٠ كيلوجراما، تقريبا، إذا صدرت الذبيحة بدمها، وإذا ذبح الحيوان بالطريقة الإسلامية فإنه يفقد ٢/ ٣ دمه، تقريبا، ويتبقى الثلث الأخير، وهو في الغالب غير ضار.. والذبح غير الإسلامي يؤدي إلى استنزاف ٨ كيلوجرامات على الأكثر من كل ذبيحة، فالذبح الإسلامي إذن سيؤدي إلى خسارة تجارية قدرها ١٢ كيلوجرامات للمتعهد، فإذا احتوى الطن الواحد على ٨ حيوانات بعظامها، فإن المتعهد سيخسر (٨ ×١٢) ٩٦ كيلوجراما، وإذا صدّر صفقة قوامها ٥٠٠ طن مثلا، فإنه سيخسر (٥٠٠٠ × ٩٦) ٤٨٠٠٠٠ كيلوجراما.

ولك بعد ذلك أن تتصور حجم الخسارة بالدولار، حسب سعر اللحوم العالمي، إذا طبق النظام الإسلامي في المذابح والمسالخ في الدول المصدرة للحوم، وكثير منها دول غير إسلامية، لا يهم المصدرون فيها سوى تحقيق الأرباح التجارية، ولذلك فإنهم يتعمدون حبس الدم في الذبائح، وذلك دون اعتبار لأي أضرار ستلحق بالناس، المهم هو المكاسب المالية، وليمرض المستهلكون، أو يموتوا..لا يهم!

■ ولكن طريقة الصعق ليست جديدة، وكل دول أوروبا تستعملها مع حيواناتها دون الشعور بوجود أزمة.

- حقيقي أن دول أوروبا تستخدم الصعق بالكهرباء، ولكن غير حقيقي عدم وجود أزمة، فأمراض الدنيا تصيب الإنسان الذي يأكل الذبائح المصعوقة، فهناك دراسة أكدت أن ٣٠ في المائة من الدجاج، على سبيل المثال، تموت قبل صعقها بالكهرباء فتؤكل وهي ميتة، والشرائح السماوية أكدت حرمة أكل الميتة والدم وما ذبح لغير الله، والأمراض المنتشرة في عالمنا الحالي نتيجة أكل هذه الأطعمة بهذه الطريقة تسبب حالة من التسمم.

الحيوانات التي تصعق كهربائيًا تتسبب في عشرات الأمراض للإنسان فضلًا عن وحشية التعامل معها

■ ما أشهر الدول التي تتعامل بهذه الطريقة المحرمة من قبل الشرائع السماوية والمؤذية طبيا؟

- يأتي على رأس القائمة ثلاث دول ألمانيا ثم سويسرا واسبانيا، وهي تجارة رائجة في أوروبا، الهدف منها الغش، وإطعام المسلمين والمسيحيين واليهود كذلك أطعمة محرمة من قبل شرائعهم السماوية، فضلا عن تحقيق مكاسب مادية طائلة من جراء تصدير هذه الحيوانات إلى دول العالم.

■ وما الهدف من حقن هذا الدجاج بمواد خنزيرية؟

- الهدف في البداية رفع وزن الدجاج، ولذلك يراد تثبيت المياه عن طريق المواد الخنزيرية، حيث تحتاج المياه المحقونة بجسم الحيوان للمواد الخنزيرية لتثبيتها.

■ وكيف اكتشفتم ذلك؟

- عرفنا ذلك قدرا عندما قمنا بتحليل عينات من المواد المصدرة للدول العربية، وتحليل ما هو موجود في الأسواق الأوروبية وتحديدا العاصمة البريطانية لندن.

■ ما الأمراض التي تترتب على تناول أطعمة مصعوقة؟

- أثبتت بعض الدراسات العلمية أن تناول هذه الأطعمة يؤدي إلى أمراض كثيرة، منها الفشل الكلوي، لأن هذه الحيوانات عندما تصعق يتوقف الدم بداخلها، وهذه الدماء تؤدي إلى حالات تسمم، فضلا عن موت الكثير من هذا الدجاج قبل الذبح.. فبقاء الدماء في شرايين الدجاج وموت بعضه قبل الذبح، والحالة التي يبقى عليها هذا الدجاج أثناء الصعق تحول من طبيعة شرائح اللحم وتركيبته، وتؤدي إلى التسمم.

ونستطيع أن نقول إن الحلال فقط من نسبة المصدر أو الموجود في بريطانيا- من المعروض والمكتوب عليه «حلال»- ٥ في المائة فقط، والخطر والخوف على كل بلاد العرب والمسلمين، والانخداع بكلمة «حلال».

■ وما المخرج للحفاظ على طعام المسلمين سواء في بلادهم أو في البلاد الأجنبية؟

- نحتاج إلى رقابة شديدة في حالات الاستيراد، ووجود منظمات عالمية قوية على الساحة لمراقبة المذبوحات في بريطانيا وغيرها، ومنع أي مذبوحات ذبحت مخالفة للشرائع السماوية من دخول البلاد.

■ من المسؤول عن هذه الفوضى؟

- المسؤول الأول عن هذه الفوضى هم المسلمون أنفسهم، فرغم أن عدد المسلمين ٢ مليون في بريطانيا فإن أغلب ذبائحهم مخالفة للشريعة، ورغم أن تعداد اليهود لا يصل إلى ٤٠٠ ألف فإن رقابتهم أكثر صرامة، ويشددون على ذبائحهم، فضلا عن عدم وجود رقابة على الذبائح المستوردة من الخارج إلى الدول العربية والإسلامية.

د.البرقوني مدير العلاقات الخارجية بالرئاسة الإسلامية في مقدونيا لـ «الوعي الإسلامي»:

مسلمو مقدونيا ينفضون غبار الشيوعية ويسعون لاستعادة هويتهم الإسلامية

همام عبدالمعبود

أكد د.علي البرقوني، مدير العلاقات الإسلامية والخارجية بالرئاسة الإسلامية العليا في مقدونيا، وممثل البنك الإسلامي للتنمية، أن أوضاع المسلمين في مقدونيا قد تحسنت بشكل مطرد منذ توقيع اتفاق أوهريد عام ٢٠٠١م، حيث حصل ألبان مقدونيا بموجبه على العديد من الحقوق التي حرموا منها لعقود، وعوملوا خلالها كمواطنين من الدرجة الثالثة، مشيرًا إلى أن وصول المسلمين لمناصب رفيعة في الحكومة والبرلمان والسلك الدبلوماسي قد أنهى عقودا من التمييز.

وأبدى د.البرقوني في حوار خاص لمجلة «الوعي الإسلامي» تخوفه الشديد من أن الخلافات بين الأحزاب الألبانية تعرقل مساعي المسلمين للحصول على حقوقهم كافة، مطالبًا هذه الأحزاب بنبذ الخلافات، والتوحد خلف هدف واحد يتمثل في حصول الألبان على ما يليق بهم كأغلبية داخل مقدونيا.

وإليكم نص الحوار:

■ في بداية الحوار، نود أن تخبرنا عن الطريقة التي وصل بها الإسلام إلى مقدونيا؟ وهل ارتبط دخول الإسلام للبلاد بالفتح العثماني لمنطقة البلقان؟

– تدل العديد من الوثائق على أن معرفة الشعب المقدوني بالإسلام كانت سابقة للفتح العثماني لمنطقة البلقان في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث نجح السلطان مراد في إخضاع مقدونيا، شأنها شأن أكبر مناطق البلقان، ولعب الجوار الجغرافي مع تركيا دورًا مهما في تعريف المقدونيين بالإسلام، حيث تفاعلوا معه بشكل إيجابي، فأسلم آلاف المقدونيين، ثم جاءت الانفراجة الكبرى غداة الفتح العثماني للمنطقة، حيث اعتنق الإسلامَ عدد كبير من مواطني مقدونيا، التي تحولت إلى حاضرة للدين الحنيف في منطقة البلقان، وشيدت مئات المساجد والمراكز الإسلامية، لدرجة أن عدد حافظي القرآن في مقدونيا يشكل العدد الأكبر بالنسبة لجميع الولايات الخاضعة للدولة العثمانية.

مسلمو مقدونيا يتطلعون لاسترداد سبعة ملايين متر مربع مسلوبة منذ العهد الشيوعي

واستمرت أوضاع المسلمين في تحسن وازدهار ما يقرب من خمسة قرون، إلى أن خرج العثمانيون من البلقان، وتسلم الشيوعيون مقاليد السلطة لأكثر من سبعين عاما، حاربوا فيها الدين بطرق شتى، وأغلقوا المساجد والمدارس الإسلامية، وحولوها إلى مخازن للغلال وإسطبلات للخيل، وذهبوا بمن يتمسكون بدينهم إلى المعتقلات، ومع هذا فقد حافظ الشيوخ على دينهم، وتمسكوا بتعليمه لأبنائهم في السراديب والأقبية، رغبة في الحفاظ على هويتهم.

■ لكن الأوضاع في يوغوسلافيا السابقة كانت تبدو أقل وطأة من نظيرتها في بلدان حلف وارسو السابقة؟

– بالفعل.. فبعد مؤتمر بريوني في منتصف ستينيات القرن الماضي أُقِرتْ العديد من الحقوق المدنية لأصحاب الديانات الأخرى، وتمتع البعض بنوع من الحكم الذاتي، وخففت بذلك القيود التي كانت مفروضة على الأديان، وسمح لألبان مقدونيا باستقدام مدرسين ألبان، لتعليم أبنائهم اللغة الأم، وكذلك إمدادهم بمعلومات عن دينهم وهويتهم، وهو ما أسهم في وجود روابط بين مسلمي مقدونيا وهويتهم الإسلامية، بشكل خلق نوعا من التفاؤل لدى الألبان باستعادة هويتهم بعد بدء تهاوي جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية، وحصول البلاد على الاستقلال.

ولكن ما حدث بعد عام ١٩٩٢م، كان بمثابة الصدمة لهم، حيث استمرت سياسات التهميش والتمييز ضدهم من قبل حكومات مقدونيا المتعاقبة، واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثالثة! وهو ما مهد الأجواء لاندلاع حالة من التمرد في صفوفهم، وتشكيل جيش التحرير الوطني لتحسين هذه الأوضاع، واستعادة حقوق مسلمي مقدونيا.

■ هلا تفضلتم بتعريف القراء بطبيعة الوجود الإسلامي في مقدونيا حاليا؟

– يشكل مسلمو مقدونيا حاليًا ما يزيد على ٧٠ بالمائة من سكان البلاد، حيث يتجاوز تعدادهم مليون

و٤٠٠ ألف نسمة، من مجمل تعداد السكان البالغ ٢,٦ مليون نسمة، وتزيد هذه النسبة إذا وضعنا في الاعتبار أن هناك أكثر من مليوني مقدوني يعيشون في المهجر، الغالبية الساحقة منهم مسلمون، ويعيش المسلمون في معظم مدن مقدونيا، وعلى رأسها العاصمة سكوبيا، وتيتوفو، وتستوفا، وكموتا، وغوستيفار.

ويمتلك مسلمو مقدونيا عددا كبيرا من المساجد والمراكز الإسلامية، يصل عددها إلى٧٥٠ مسجدا، بينها عدد كبير من المساجد الأثرية المقامة على الطراز التركي، وعلى رأسها مسجد مصطفى باشا، في العاصمة سكوبيا، والذي تجري له حاليا عملية ترميم شاملة، بتكلفة تزيد على مليون ونصف المليون يورو، وهو رقم ضخم جدا يكشف عظمة وضخامة المسجد، إذا وضعنا في الاعتبار أن تكلفة إنشاء مسجد كبير في مقدونيا حاليًا لا تزيد على ٤٠٠ ألف يورو.

■ ذكرت في السطور السابقة أن ألبان مقدونيا حرموا طويلا من حقوقهم، وعوملوا لسنوات طويلة كمواطنين من الدرجة الثالثة، فهلا أوضحت لنا الموضوع بشيء من التفصيل؟

– عانى ألبان مقدونيا لعقود طويلة من ألوان الظلم والاضطهاد كافة؛ فحرموا من التعلم بلغتهم الأم، ومنعوا من تبوؤ مناصب رفيعة في المؤسسات الحكومية، أو حتى الحصول على جواز سفر، وهي الأوضاع التي حاولنا تغييرها بشكل سلمي، ولكن محاولاتنا باءت بالفشل، مما حتم تشكيل جيش التحرير الوطني، والدخول في معارك شرسة مع حكومة سكوبيا، استدعت تدخل جهات دولية، مما أفضى إلى توقيع اتفاقية «أوهريد» في ١٣ أغسطس ٢٠٠١م.

امتلاء المساجد بالمصلين وانتشار الحجاب وزيادة الحجيج مظاهر للصحوة الإسلامية

وقد حصل الألبان بموجب هذه الاتفاقية على العديد من الحقوق منها التعلم بلغتهم المحلية، والحصول على الجنسية، والحصول على جواز السفر، وإنشاء جامعات خاصة بهم، وشهدت أوضاع المسلمين تحسنًا مطردًا كدخول البرلمان والحصول على وظائف في الجيش والشرطة والسلك الدبلوماسي، حتى وصل عدد النواب المسلمين في البرلمان المقدوني إلى ٢٨ نائبا، رغم أن نسبتهم من السكان تؤهلهم للحصول على ما يزيد عن٥٠ نائبا.

■ لديكم طموحات عديدة، فهل تمتلكون مؤسسات دينية تساعد على تلبية هذه الطموحات، لا سيما على الصعيد الشرعي؟

– تعد الرئاسة الإسلامية العليا بقيادة الشيخ سليمان أفندي رجبي، أهم المؤسسات الإسلامية في مقدونيا؛ حيث لا تقتصر أنشطتها على الجانب الشرعي، من تعيين الأئمة، والعناية بالمساجد، وتسيير قوافل الدعوة، وتحديد الأعياد الإسلامية، وإرسال الطلاب للدراسة في الجامعات الإسلامية الكبرى، بل تتدخل في مسائل عديدة للمحافظة على حقوق مسلمي مقدونيا، وكانت آخر النجاحات التي حققتها انتزاع موافقة السلطات الحكومية على تدريس العلوم الإسلامية في مناهج التعليم العام.

وتتبع الرئاسة الإسلامية ١٣ دارا للإفتاء، تنتشر في أغلب المناطق ذات الأغلبية المسلمة، وتقوم هذه الفروع بدور كبير في تنمية الوعي الديني لمسلمي مقدونيا، وربطهم بدينهم، والإشراف على المئات من كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم، المنتشرة في أغلب التجمعات المسلمة، وهي الكتاتيب التي جعلت مسلمي مقدونيا يتصدرون قائمة الدول الأكثر حفظا للقرآن في جميع بقاع منطقة البلقان.

■ ما تتحدثون عنه يشير لنوع من الصحوة الإسلامية في مقدونيا، نود أن توضح لنا مظاهرها؟

– نعم.. هي صحوة إسلامية، ومظاهرها متعددة، فلا يستغرب المارة في المدن المقدونية من الإقبال الشديد على المساجد لأداء الصلوات، وكذلك ينتشر اللباس الشرعي للفتيات والسيدات (الحجاب)، فضلا عن الارتفاع المطرد في عدد الصائمين خلال شهر رمضان، والمقبلين على أداء فريضة الحج، حيث يقوم ما يقرب من ٣٥٠٠ حاج سنويًا بزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء فريضة الحج، وهو عدد مناسب إذا قيس بعدد مسلمي مقدونيا، وهو ما يقدم دليلا على ارتفاع مستوى الوعي الديني لدى ألبان مقدونيا، والمحافظة على التراث الإسلامي.

■ تعد مشكلة الأوقاف الإسلامية من أهم المشكلات التي تواجه مسلمي البلقان، فكيف تعاملتم معها في مقدونيا؟

– تعمل الرئاسة العليا للمسلمين في مقدونيا بكل جهد لاسترداد هذه الأوقاف المسلوبة منذ العهد الشيوعي، والبالغ مساحتها ما يقرب من سبعة ملايين متر مربع، وتحظى في هذا الإطار بدعم من الاتحاد الأوروبي، والذي اشترط التزام حكومة سكوبيا بإعادتها للألبان، لبدء مفاوضات الشراكة معها.

وقد بدأت الحكومة بالفعل في إعادة بعض المساحات، وتقوم الرئاسة العليا للمسلمين باستخدام ريعها للإنفاق على البعثات الخارجية للطلاب، الممولة من صندوق الوقف الطلابي لدعم مئات الطلاب المبتعثين للدراسة في الجامعات الإسلامية في تركيا ومصر والمملكة العربية السعودية، وهي بعثات تجاوز عدد خريجيها ١٤٠٠ خريج.

الشيخ يوسف بن عيسى القناعي

(١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)

هو مصلح الكويت الكبير الشيخ يوسف بن عيسى بن محمد بن حسين بن سلمان بن علي بن محمد بن سري القناعي.

وينتسب - رحمه الله تعالى - إلى أسرة عربية كبيرة من أسر الكويت، وهي «أسرة القناعات»، والأسرة ينتهي نسبها إلى بطن الزقاعين من قبيلة «السهول».

مولده ونشأته

ولد الشيخ يوسف بن عيسى في مدينة الكويت سنة ١٢٩٦هـ - الموافق ١٨٧٦م، في عهد الشيخ عبدالله الصباح.

تكوينه العلمي

المرحلة الأولى

بدأ الشيخ في سن السابعة من عمره حفظ القرآن الكريم، على يد الملا دخيل الجسار، وبعد الانتهاء من حفظ القرآن الكريم وختم قراءته أخذ يستكمل مبادئ العلوم السائدة في مجتمعه، فتعلم الخط ومبادئ الحساب عند السيد عبدالوهاب بن السيد يوسف الرفاعي، وعند الشيخ عبدالوهاب الحنيان في سنة ١٨٩٣م، وكان الشيخ يوسف في بعض الأحيان ينوب عنه في إعطاء الدروس، ولم يكن الشيخ عبدالوهاب يأخذ منه شيئاً مقابل الدروس التي كان يتلقاها.

المرحلة الثانية

وهذه المرحلة تبدأ بعد أن استكمل دراسة مبادئ العلوم الأولى التي كان يتلقاها أقرانه من أطفال الكويتيين، وهذه العلوم كانت تخدم تطلعاتهم المتواضعة واحتياجاتهم العصرية، ولكن الشيخ لم يقنع بهذه العلوم الأولية، فاشتاقت نفسه الى الافضل، فبدأ بدراسة الفقه والنحو، فقرأ على الشيخ عبدالله بن خالد العدساني قاضي الكويت، في وقته متن الآجرومية، ومتن أبي شجاع في الفقه الشافعي ثم تطلع إلى التوسع في العلم فدرس على شيخ الكويت في وقته عبدالله خلف الدحيان مبادئ الفقه ومتن الآجرومية أيضاً.

المرحلة الثالثة

أ- رحلته إلى الأحساء

كانت الأحساء في ذلك العصر إحدى حواضر العلم الشرعي التي تزخر بعلماء الفقه على المذاهب الأربعة، وعلوم العربية، فتاقت نفسه الى طلب العلم في مدارس الأحساء فرحل إليها، وكان ذلك في سنة ١٣٢١هـ - الموافق (١٩٠٣).

ولقد وصف الشيخ هذه الرحلة قائلاً: في سنة ١٣٢١هـ - سافرت إلى الأحساء لطلب العلم ومعي المرحوم أحمد بن الشيخ خالد العدساني، وداود بن صالح المطوع، وبصحبتنا كتاب من الشيخ عبدالله العدساني إلى شيخنا المرحوم عبدالله بن عبدالقادر مضمونه التوجيه لنا.

وقد قرأ الشيخ على شيخه الأحسائي هذا ألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل، وقد حفظها حفظاً متقناً، وشرح التيسير في الفقه للعمريطي، وهو عبارة عن منظومة في الفقه الشافعي فحفظها الشيخ وأتقن فهمها.

كما قرأ على الشيخ عبدالرحمن بن صالح آل عبدالقادر كتاب «متن المنهاج» للإمام النووي في الفقه الشافعي.

وبقي الشيخ على هذه الحالة في الأحساء تسعة أشهر، قضاها في طلب العلم، وَحَصَّل في هذا الزمن القصير ما كان يُحَصَّل في عامين، ثم غادر الأحساء عائداً إلى الكويت سنة ١٣٢٢هـ - الموافق (١٩٠٣م).

عودته إلى الكويت

أقام الشيخ بعد عودته من الأحساء في الكويت عاماً كاملاً، درس فيه على بعض العلماء المتواجدين في الكويت أمثال الشيخ أحمد نور الفارسي.

مصلح الكويت ساهم في فتح أول مدرسة لتعليم القرآن ومبادئ الحساب والكتابة .. وأول من نادى بتأسيس مدرسة عصرية في البلاد

رحلته إلى البصرة

كانت رحلته إلى البصرة سنة ١٣٢٣هـ - الموافق (١٩٠٤م). وأقام بها عدة أشهر في ضيافة خاله سالم البدر استعداداً لرحلته إلى البلد الحرام بمكة المكرمة، واتصل فيها بمجموعة من العلماء وأخذ عنهم بعض العلوم. نذكر منهم

١- الشيخ علي الحمداني، وقرأ عليه كتاب شرح الجوهر المكنون.

٢- الشيخ السيد عبدالعزيز الناصري.

٣- الشيخ عبدالعزيز التكريتي، قرأ عليه الشافية لابن الحاجب.

٤- الشيخ مصطفى الحافظ، درس عليه شرح السيوطي على الألفيه.

رحلته إلى مكة المكرمة

كانت نفسه تتوق إلى مكة المكرمة حيث مركز العلم، ومجمع العلماء، فقرر السفر إليها حاجاً في ٢٣ من رجب ١٣٢٣هـ - الموافق ٢٣ من سبتمبر (٥٠٩١).

وقد وفق الله شيخنا في مقصوده فالتقى بمجموعة من العلماء الأجلاء الذين كان لهم الفضل في بناء شخصيته العلمية. ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم

١- الشيخ شعيب المغربي، وهو من كبار علماء مكة المكرمة، وقد أدرك الشيخ يوسف معه شرح البخاري كما درس معه متن الفية ابن مالك، ودرس على يده شرح السلم في المنطق إلى أن أكمله.

٢- الشيخ يوسف الأفغاني، قرأ عليه كتاب شرح الجوهر المكنون، وشرح السيوطي على ألفية ابن مالك في النحو.

٣- الشيخ عمر باجنيد قرأ عليه شرح المنهاج.

٤- الشيخ عبدالكريم الداغستاني، وقرأ عليه جمع الجوامع، وتفسير البيضاوي.

٥- الشيخ عبدالله السناري، أخذ عنه علم التجويد.

٦- الشيخ سعيد اليماني، قرأ عليه شرح الروض، وشرح جمع الجوامع.

مرحلة القراءة والاطلاع

لقد ساعدته القراءة والاطلاع الواسع في شتى محاور المعرفة، على إنارة الطريق له، ولقد أثرت فيه مؤلفات ابن تيمية وابن القيم الجوزية، ومجلة المنار الغراء أكبر أثر في إنارة السبيل أمامه.

أعماله

أولا: في مجال الإصلاح التعليمي

عاد شيخنا سنة ١٣٢٥هـ - الموافق (١٩٠٧م)، من مكة المكرمة وكله أمل في إصلاح التعليم في الكويت، ذلك التعليم المتواضع القائم على كتاتيب تجاوزها الزمن، فتطلع الى دفع عجلة التعليم الى الأمام، والعمل على إدخال الكويت في مرحلة التعليم النظامي، فكان له ما أراد في المدرسة المباركية، ومن بعدها المدرسة الأحمدية، حينما أراد إدخال اللغة الإنجليزية في مواد التدريس.

ويتمثل إصلاحه التعليمي في المجالات التالية:

أ- المدرسة المتواضعة

بمجرد عودته الى الكويت فتح أول مدرسة صغيرة لتعليم القرآن الكريم، ومبادئ الحساب والكتابة، واستمر في مدرسته الصغيرة بضعة أعوام يدرس فيها وحده.

ب- دوره في إنشاء المدرسة المباركية (١٣٢٨هـ - ١٩١٠م).

يعتبر الشيخ يوسف أول من نادى بتأسيس مدرسة عصرية في الكويت ويرجع الفضل في إنشاء هذه المدرسة إلى ثلاثة من الفضلاء في الكويت وهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، الشيخ ناصر المبارك الصباح، والسيد ياسين الطبطبائي، فهم أول من حث على تأسيسها، وأول من رغب الجمهور في الإنفاق في سبيلها، وقد كان لآل خالد الكرام أيضاً أياد بيضاء عليها، لا تقل عن أيادي من سواهم، وله الفضل في الإشراف على بنائها، ووضع مناهجها وإدارتها والتدريس فيها، وكان يدرس فيها علوم التجويد والصرف والحديث.

جـ- دوره في إنشاء المدرسة الأحمدية (١٣٣٩هـ - ١٩٢١م).

أراد الشيخ يوسف إدخال تعليم اللغة الإنجليزية ومادة الجغرافيا والعلوم العصرية في المدرسة المباركية، وعد ذلك من إصلاح التعليم الذي ينشده هو وزميله مؤرخ الكويت عبدالعزيز الرشيد، وقيل: إن حاكم الكويت في وقته الشيخ أحمد الجابر الصباح حثه على ذلك.

د- دوره في البعثات العلمية (١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م).

سعى الشيخ جاهداً من أجل إرسال الشباب الكويتي لاستكمال دراسته في بعثات علمية خارج الكويت لإيمانه أن الشباب المؤمن الواعي هو ذخيرة المجتمع وحصن المستقبل الناهض، وتحققت مساعيه بإيفاد أول بعثة تعليمية إلى العراق سنة ١٣٤٣هـ - الموافق ١٩٢٤م، وكانت مكونة من ستة طلاب هم:

الشيخ فهد السالم الصباح، وسليمان محمد العنزي، ومحمود عبدالرزاق الدوسري، وخالد سليمان العدساني، وأحمد عمر العلي، وعبدالكريم محمد البدر.

هـ - دوره في تأسيس مجلس معارف

وفي أكتوبر ١٩٣٦ أصدر الشيخ أحمد الجابر أمرا بتشكيل مجلس للمعارف يتولى شؤون التعليم، فأجريت الانتخابات، وتكون المجلس من اثني عشر عضوا برئاسة الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وانتخب الشيخ يوسف بن عيسى مديراً فخرياً للتعليم، وعبدالملك الصالح سكرتيراً وأميناً للصندوق.

و- دوره في تأسيس المكتبة الأهلية

في أعقاب تأسيس المدرسة الأحمدية سنة ١٩٢١م، رأى مجموعة من أبناء الكويت ومن بينهم الشيخ يوسف ضرورة إنشاء مكتبة أهلية عامة تضم بين

جنباتها من الكتب النافعة العديدة ما يهذب العقول وينير الأذهان، وبفضل جهود الشيخ ومن معه من رجال الكويت فتحت المكتبة أبوابها للقراء سنة ١٣٤١هـ - الموافق ١٩٢٣م، فتبرع لها كثير من الأهالي بالكتب والأموال، كما تم نقل كتب الجمعية الخيرية إليها.

دوره في الحياة النيابية والسياسية

أ- سعيه إلى تأسيس مجلس الشورى ١٩٢١

انطلاقاً من مبدأ الشورى الذي هو أساس التعاون والتناصح بين الحاكم والرعية، وأن الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه بالمشاورة وهو النبي الذي لا ينطق عن الهوى تعليماً لأمته كي يقتدى بسنته، ولما كانت الكويت تسير في سلم التطور السياسي، طالب الشيخ يوسف الذي آمن بالشورى وأهميتها في استقرار البلاد، ومن معه من خيار أهل الكويت، بمبدأ الشورى وتأسيس مجلس خاص بها، وتنظيم الحكم في البلاد، وقد عرض الأمر على الشيخ أحمد الجابر أمير البلاد سنة ١٩٢٢م فوافق على ما طلبوا وعاهدهم على ألا يبرم أو ينقض أمراً إلا بعد موافقة المجلس الشوري، وقد تشكل المجلس من اثني عشر عضوا منهم الشيخ يوسف.

ب- دوه في إنشاء المجلس البلدي

لقد كانت فكرة إنشاء البلدية فكرة رائدة نحو التطوير في الخدمات والتخطيط المدني المنظم، ولا عجب إذا كانت هذه المؤسسة هي من أفكار شيخنا رحمه الله تعالى، حيث يرجع الفضل بعد الله تعالى إلى مساعيه الحميدة في إنشائها ووقوفها لتأدية دور البناء والإصلاح.

توليه القضاء

بعد وفاة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان طلب الشيخ أحمد الجابر الصباح من الشيخ يوسف أن يتولى منصب القضاء لأنه تعين عليه ذلك، وتعذر الشيخ بالتجارة

كان للقناعي دور بارز في تأسيس المكتبة الأهلية لتهذيب العقول وإنارة الأذهان

التي جعلها حجة لعدم توليه القضاء ولمعرفته بخطورة هذا المنصب، ونتيجة لإصرار الشيخ أحمد الجابر قبل المنصب ولكن بشرط أن يكون ذلك لفترة مؤقتة إلى حين العثور على قاضٍ آخر وعلى ألا يأخذ عليه أجرا.

مجلسه (ديوانيته)

عرف المجتمع الكويتي منذ القدم الديوانيات التي أصبحت سمة من سماته، والديوانية تتشكل بتشكل صاحبها وروادها، ولقد تأثرت ديوانية الشيخ يوسف به فأصبحت ديوانية علمية تعليمية ثقافية، واتسمت بهذه الاتجاهات في جميع أطوار حياة صاحبها.

فقد كان مجلسه (ديوانيته) في أول حياته يغلب عليه الطابع التعليمي، حيث كان روادها تلاميذ يأخذون من الشيخ الدروس الفقهية.

إنتاجه العلمي

أولاً: مؤلفاته المطبوعة

١- المذكرة الفقهية في الأحكام الشرعية.

٢- الملتقطات (حكم وفقه وأدب وطرائف).

٣- صفحات من تاريخ الكويت.

ثانياً: مؤلفاته المخطوطة

ذكر الشيخ أحمد الشرباصي في تاريخه عن الكويت نقلاً عن مقابلة مجلة الرائد مع الشيخ يوسف: أنه ذكر في المقابلة معه أن له «رسالة في حكم النوط»، و«رسالة في التحكيم بين الشيخين عبدالله خلف ومحمد عبدالقادر الهلالي، في مسائل فقهية حصل فيها نزاع بين الاثنين».

إنتاجه الشعري

لم يكن الشيخ يوسف شاعراً بالمعنى الحرفي، وإنما كان نظمه للشعر لا يتجاوز الأبيات والمقطوعات منه، بما يعبر بها عن أحاسيسه تجاه قضايا المجتمع، أو بما يبث من آرائه عن طريقها. وسوف نعرض نموذجاً من شعره ومن خلاله نتعرف على شخصية الشيخ، وآرائه.

مدح للرسول ﷺ

يارحمة للعالمين ويامنارا للهدى
ياصاحب الخلق العظيم وبحر جود بالندى
ماذا يقول الواصفون بوصف حسنك مذ بدا
وبما يقول المادحون بشعرهم إذ اشدا
فالله زادك بالثنا وكفى بربك مسعدا
أهدي اليك فريدة ويعوقها طول المدى
فعسى الأثير بحملها يكون عني منشدا
وعسى القبول يزفها إليك ياعلم الهدى
شوق إليك يهزني مامر ذكرك بالندى
ويصدني عن هجرتي ألَمُ ألَمَّ فأقعدا

من تلاميذه

١- الشيخ سالم بن مبارك الصباح، حاكم الكويت من (١٩١٧ - ١٩٢١م) فقد قرأ عليه النحو.

٢- الشيخ عبدالله السالم الصباح، حاكم الكويت (١٩٥٠ - ١٩٦٤م)، الذي قرأ عليه النحو.

٣- الشيخ محمد بن محمد صالح التركيت.

وفاته

فجعت به الكويت ظهر يوم الخميس ٥ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ الموافق السادس من يوليو سنة ١٩٧٣م عن عمر يناهز ٩٦ عاماً وهو في جلال الشيخوخة، بعد أن قدم الكثير من صحته ووقته وماله من أجل وطنه وأمته، وقد خرجت الكويت عن بكرة أبيها تشيعه إلى مثواه الأخير رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنته.

المنتج الثقافي.. كيف يسوّق؟

د. فاتح ممدوح عبدالحليم

قد يشاطرني القارئ الكريم الرأي حول المادة الثقافية التي يتعامل معها سواء كانت صحافية أو أدبية أو فنية أو غيرها، وذلك من حيث مقومات نجاحها وركائز تسويقها، البداية مع صانع المادة، فهذا الركن المهم سواء كان فرداً أو فريق عمل، في جميع الأحوال يجب أن ينظر نحوه بموضوعية وحيادية، أعني ضرورة التركيز على كفاءته ومهاراته وإبداعاته.

صناع كثيرون استطاعوا أن يقدموا نتاجهم الثقافي بإحدى بطريقتين، الأولى من خلال أساليب وطرائق ملتوية، وهذه تحمل في الظاهر صفة أعمال، لكنها في حقيقتها مجرد أوهام لا علاقة لها بالمجال المطروق، فهي أصلاً أقحمت فيه، لأن أساسها الذي ارتكزت إليه رخو وهش، ولا يستطيع أن يواكب العصر وتبدلاته، أما الطريقة الثانية فهي السبيل الصحيح الذي تسلكه أي مادة إبداعية من بدايتها إلى نهايتها.

أشير أيضا هنا إلى مهمة تتعلق بتفاعل المتعامل مع المنتج، فيجب ألا يتابع صانع المنتج الثقافي مديحه وإطراءه فقط، لأنه قد يكون مفروضاً عليه القيام بذلك، بل يجب أيضا أن يتابع نظرات عينيه وتفاعله وهمساته.

الركن المهم الآخر هو المتعامل.. وهذا الطرف تعلق عليه آمال كبيرة في تسويق المنتج الثقافي، خاصة إذا كان على مستوى متميز من الوعي والثقافة، حقيقة لن تثمن أي مادة بشكل صحيح ما لم يكن لهذا الطرف الحضور اللافت، فهو القادر على الإسهام في نجاح المادة السليمة، فالكثير من الأعمال الثقافية أدت رسالتها وحققت هدفها في ظروف كان لهذا العامل الأثر الفاعل والمهم فيها، في وقت هبطت أعمال رغم الترويج القوي لها، لأن أصحابها أو من خلفهم لم يستطيعوا أن يفرضوها عليه، وهو بالتأكيد يعرف كيف يتصرف مع الصحيفة التي تبنتها، ولن يتحكم أحد في طريقة تعامله مع وسيلة الإعلام التي تبثها أو بالأحرى التي تنشرها وتروج سمومها.

ركن مهم آخر، وربما يكون الأهم في تلك المعادلة، إنه جودة المنتج الثقافي، فالمادة التي تتحدث بلغة الجمهور، وتنطلق من طموحاتهم وأحلامهم وتلامس همومهم ومشكلاتهم لابد أن تحظى بثقة المتعاملين وسيتابعونها باشتياق كبير، يدخل أيضا الإبداع في سياق الحديث عن نوعية المنتج الثقافي، فهو المحرك الأساس لأي عمل جاد ومتفرد، كذلك تدخل مقدرة صانعه على تطوير نفسه والارتقاء بمادته حتى يستطيع أن يسوقها كمنتج ثقافي يهدف إلى تقديم الجديد الممتع والمفيد لا العبث بمشاعر وأحاسيس المتعاملين.

وإذا كان لمضمون المادة وجوهرها الأثر المهم فإن لطباعة المادة أو طريقة عرضها وتقديمها الدور الفاعل أيضاً، ما أريده من هذا الأمر هو أن يقدر المنتج على إبراز المنتج وإعطائه بعده الحقيقي، لا أن يكتفي بتلميعه بغض النظر عن محتواه.

ولا يمكن تجاهل دور الإعلام في تسويق المنتج الثقافي، فالإعلام الخارج عن حدود العصر لا يمكنه أن يؤدي دوره في تسويق المنتج الحقيقي، وهو يبرع فقط في تسويق المنتج المعتوه أو المشوه، وبصراحة أقول آن الأوان للتفكير في الترويج الصحيح لمنتج ثقافي سليم، ولتتكاتف جميع وسائل الإعلام في الكشف عنه والبحث في أدق تفاصيله.

إذن لا تقتصر عملية التسويق على قطبي المنتج (صانع المادة والمتعامل) بل تمت لتشمل الأسواق من حيث متابعتها ومراقبة حركاتها ومتطلباتها وإقامة الفعاليات والأنشطة الثقافية والمعارض والندوات وتبني مشروعات لاحتضان الأعمال الثقافية الإبداعية، وكذلك السياسة التسويقية من ناحية نظامها والقائمين عليها، فهؤلاء إن تعاملوا مع المنتج الثقافي الإبداعي على أساس أنه ثروة وطنية فإن العملية التسويقية سوف تنجح.

وختاماً عزيزي القارئ فإن ما أريد الوصول إليه هو احترام المتعامل للمنتج، ولن يتحقق ذلك ما لم يقدم صاحب المنتج الثقافي.

دار الإفتاء المصرية

إنشاء دار الإفتاء المصرية كان في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣١٣هـ الموافق لشهر نوفمبر سنة ١٨٩٥م.

ويبدو أن وظيفة الإفتاء كانت في أول الأمر من اختصاص شيخ الأزهر ثم صارت بعد ذلك وظيفة مستقلة منذ تعيين فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فيها.

ثم تتابع بعد ذلك تعيين المفتين باسم «مفتي الديار المصرية» بقرار من رئيس الدولة، فصار المفتي الرسمي للدولة يعين بقرار من رئيس الجمهورية، وتحت مسمى «مفتي جمهورية مصر العربية» ويكون بدرجة وزير.

مهام دار الإفتاء المصرية

لدار الإفتاء المصرية وظائف محددة، من أهمها ما يأتي:

أ- الاجابة عن أسئلة السائلين على اختلاف أجناسهم وصفاتهم وأوطانهم فيما يتعلق بالحكم الشرعي عما يسألون عنه.

ب- بيان الحكم الشرعي فيما يرد إليها من قضايا محكمة الجنايات الخاصة بعقوبة الإعدام.

ج- تدريب المبعوثين بدار الافتاء.

د- إصدار البيانات الخاصة بتحديد أول وآخر كل شهر عربي.

هـ- طبع الفتاوى الإسلامية التي تصدر عنها، وقد صدر حتى الآن اثنان وعشرون مجلدا عن دار الإفتاء المصرية اشتملت على آلاف الفتاوى.

وهذه المجلدات توزع مجانا على دور المحاكم على اختلاف درجاتها، حتى يطلع عليها السادة القضاة والمستشارون وغيرهم.

ماذا يقصد بالإفتاء؟

يقصد بالإفتاء هنا، الإفتاء الشرعي الذي يتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات والآداب، وغير ذلك من المسائل التي لها أحكامها المستقرة في شريعة الإسلام، إذ وظيفة المفتي الشرعي، بيان الحكم الديني في مسألة من المسائل من حيث كونها من الأمور المباحة، أو المندوبة، أو المكروهة، أو الواجبة، أو المحرمة.

ولفظ الإفتاء وما اشتق منه من حيث اللغة، معناه الكشف والبيان والإيضاح.

والمفتي، من يتصدى للفتوى بين الناس وهو فقيه تعينه الدولة ليجيب عما يشكل من المسائل الشرعية.

والخلاصة، أن وظيفة المفتي، بيان الحكم الشرعي في مسألة من المسائل، على حسب الظاهر من السؤال، وبمقتضى الأدلة الشرعية.

منزلة الإفتاء في الإسلام

والإفتاء في الأمور الشرعية بصفة خاصة، وفي غيرها بصفة عامة، أمانة كبيرة، وتبعة عظيمة، لأن المفتي في مسألة ما، مسؤول أمام الله - تعالى - عما أفتى به، فإن أفتى بالحق والصواب كان له أجره، وإن أفتى بالخطأ والجهل والهوى كان أمره فرطا، وكان عقابه لا يعلم شدته إلا الله تعالى.

سؤال أهل العلم واجب

والناس منذ أن أوجدهم الله -تعالى- متفاوتون في عقولهم وفي عملهم، وقد أوجب- سبحانه- على من يجهل شيئا من أمور دينه أو من أمور دنياه، أن يسأل أهل العلم الأمناء وأن يستفتي أهل الفتوى الذين يوثق بدينهم وعلمهم وخلقهم ونزاهتهم، امتثالا لقول الله- تعالى- ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (الأنبياء: ٧).

والمقصود بأهل الذكر هنا، كل عالم في مجال تخصصه، ففي مجال الفقه نسأل الفقهاء، وفي مجال الطب نسأل الأطباء، وهكذا.

من صفات المفتي وآدابه

١- يقصد بالمفتي هنا، المفتي الشرعي والرسمي للدولة بصفة خاصة، وغيره ممن يتصدى لهذه المهمة الخطيرة - متطوعا- بصفة عامة.

كما أننا نعني بالافتاء ما يتعلق بالمسائل الشرعية الهامة والعامة بصفة خاصة، وما يتعلق بغير ذلك من المسائل الشرعية العادية بصفة عامة، إذ الفتاوى أنواع، منها ما يستطيع الإجابة عنها المستنيرون من طلبة العلم الشرعي في المراحل المتوسطة أو العالية، كمعظم أحكام الطهارة والعبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج، ومنها ما يستطيع الاجابة عنها العلماء المتخصصون كمسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث ووصية، وما يشبه ذلك من الاحكام الشرعية التي تحتاج إلى دقة في الفهم، وسعة في العلم.

ومنها ما لا يستطيع الاجابة عنها الا الراسخون في العلم، كالمسائل الشرعية التي لها آثارها في رسم سياسة الدولة، وفي تنظيم أمورها، كحقوق وواجبات الحكام والمحكومين، وكأمهات المسائل المعقدة من جوانب متعددة كبعض المعاملات المالية.

٢- ومن صفات من يتصدى للإفتاء أن يكون في ذاته سليم العقيدة، نقي السريرة، محمود السيرة نظيف اليد واللسان، شجاع القلب، لا يثنيه عن النطق بكلمة الحق ترغيب أو ترهيب، ولا يمنعه تواضعه مع عامة الناس وأوساطهم من أن يكون متعاليا على المغرورين والفاسقين والمنافقين، والظالمين، واضعا نصب عينيه دائما تقديم المصلحة

حسونة النواوي

محمد عبده

بكري الصدفي

محمد المطيعي

محمد البرديسي

عبدالرحمن قراعة

عبدالمجيد سليم

حسنين مخلوف

علام نصار

حسن مأمون

أحمد هريدي

محمد خاطر

جاد الحق علي

عبداللطيف حمزة

محمد طنطاوي

نصر فريد واصل

أحمد الطيب

علي جمعة

العامة، في حدود شريعة الله، على المصالح الخاصة.

هذه بعض الصفات الذاتية والنفسية للمفتي الرسمي للدولة بصفة خاصة، ولغيره ممن يتصدون للفتوى بصفة عامة.

أما صفاته العلمية فمن أهمها، الحفظ التام للقرآن الكريم، مع الفهم السديد لمعاني ألفاظه ولسمو هداياته، والاطلاع الواسع على السنة النبوية الشريفة وشروحها، والإحاطة الواعية بروح التشريع، واختلاف الآراء، وتطور الزمان والعادات، إلى غير ذلك من العلوم التي لا غنى لكل راسخ في العلم عنها.

والخلاصة أن على رأس صفات المفتي الشرعي أن يكون في ذاته ورعا تقيا نقيا عفيفا محافظا على الفرائض والسنن، وأن يكون في علمه حافظا لكتاب الله تعالى، مدركا لمعانيه، واعيا لسنة رسول الله ﷺ، ملما بالفقه وأصوله متمكنا من الترجيح بين الآراء بعقلية بصيرة سليمة من الاضطراب، خبيرا بتراكيب اللغة العربية وعلومها وأساليبها.

٣- وأما آداب المفتي فمن أهمها، عدم التسرع في الفتوى ولاسيما في الأمور الهامة التي تحتاج إلى دراسة متأنية واعية، كما تحتاج إلى استشارة أهل الخبرة كل في مجال تخصصه، ومن الأمانة والاستقامة أن يقول لا أدري في كل مسألة ليس مدركا لحكمها الشرعي.

والخلاصة أن الفتوى في الأمور التي تقبل الاجتهاد تختلف من شخص الى آخر ومن حالة الى حالة.

من تولى هذا المنصب؟

١- فضيلة الشيخ حسونة النواوي (١٨٩٥ - ١٨٩٩م).

٢- فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده (١٨٩٩ - ١٩٠٥ م).

٣- فضيلة الشيخ بكري الصدفي (١٩٠٥- ١٩١٥م).

٤- فضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي (١٩١٥ - ١٩٢٠م).

٥- فضيلة الشيخ محمد إسماعيل البرديسي (ستة أشهر عام ١٩٢٠م).

٦- فضيلة الشيخ عبدالرحمن قراعة (١٩٢١ - ١٩٢٨م).

٧- فضيلة الشيخ عبدالمجيد سليم (١٩٢٨ - ١٩٤٦م).

٨- فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف (١٩٤٦ - ١٩٥٠م).

٩- فضيلة الشيخ علام نصار (١٩٥٠ - ١٩٥٢م).

١٠- فضيلة الشيخ حسن مأمون (١٩٥٥ - ١٩٦٤م).

١١- فضيلة الشيخ أحمد محمد عبدالعال هريدي (١٩٦٠ - ١٩٧٠م).

١٢- فضيلة الشيخ محمد خاطر محمد الشيخ (١٩٧٠ - ١٩٧٨م).

١٣- فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق (١٩٧٨ - ١٩٨٢م).

١٤- فضيلة الشيخ عبداللطيف عبدالغني حمزة (١٩٨٢ - ١٩٨٥م).

١٥- فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي (١٩٨٦ - ١٩٩٦م).

١٦- نصر فريد واصل (١٩٩٦ -٢٠٠٢م).

١٧- أحمد الطيب (٢٠٠٢ -٢٠٠٣م).

١٨- الدكتور علي جمعة (٢٠٠٣ - وحتى الآن).

إعداد : علي الحربي

طراز جديد من أجهزة نوت بوك

طرحت شركة أسوس طرازا جديدا من الأجهزة المحمولة صغيرة الحجم من نوع «نت بوك» إيي بي سي تي ٩١ ينتمي إلى فئة الحاسبات اللوحية التي تعمل باللمس وزودت أسوس التايوانية حاسبها الجديد بشاشة مقاسها ٨,٩ بوصة ومعالج طراز أتوم زد ٥٢٠ تبلغ سرعته ١,٣٣ جيجاهرتز من إنتاج شركة إنتل الأميركية ويدخل في تركيب الجهاز الجديد قرص صلب ثابت الأجزاء من نوع سوليد ستيت درايف تبلغ سعته التخزينية ١٦جيجابايت وتقدم أسوس لمشتري الجهاز الجديد مساحة تخزينية عبر الإنترنت تبلغ سعتها٢٠ جيجابايت ويعمل حاسب إيي بي سي تي ٩١ اللوحي الجديد الذي ينتمي إلى فئة أجهزة نت بوك وفق نظام التشغيل ويندوز إكس بي.

١٨ مليار رسالة غير مرغوبة بالبريد الإلكتروني يوميا

أوضحت الشركات المعنية بالأمن الإليكتروني أن هناك زيادة في نشاط مجرمي الإنترنت في العمل، وكشفت أن حجم رسائل البريد الإلكترونية من نوع سبام التي يتم إرسالها يومياً وصل إلى نحو ١٨٠ مليار رسالة أي نحو ٩٠ في المائة من إجمالي حجم البريد الإلكتروني المرسل في أرجاء العالم كافة، وكان تقرير سابق عن الأمن الإلكتروني لشركة مايكروسوفت الأميركية قد كشف أن ٩٧ في المائة من البريد الإلكتروني رسائل غير مرغوب فيها مشيرا إلى أن معظم البريد الإلكتروني عبارة عن إعلانات متطفلة عن عقاقير ومنتجات خردة وغالبا ما تكون مصحوبة بملفات ضارة وأوضح إدجيبسون كبير مستشاري الأمن الإلكتروني بمايكروسوفت أن ارتفاع معدلات البريد الإلكتروني غير المرغوب فيه بهذا الشكل هو بفعل تطور خدمات الإنترنت وسرعة تدفقها.

موقع جامع للأحاديث النبوية الشريفة

يعتبر موقع sonnaonline.com بوابة تضم في قاعدة بياناتها أكثر من أربعمائة كتاب مسند من الأحاديث النبوية والسنن والآثار وتحمل بين طياتها أكثر من عشرين وخمسمائة ألف حديث وأثر مسند بدءا من الصحاح والسنن والمسانيد ومرورا بالمستدركات والمعاجم والمشيخات وانتهاء بالمنتخبات والأجزاء ويعرف بأكثر من ثلاثة ملايين موضع للرواة ويشرح الموقع أكثر من خمسمائة ألف كلمة ويقسم الأحاديث والآثار تقسيما موضوعيا لأكثر من عشرين ألف ترجمة تم التنسيق بينها حتى تبدو كأنها كتاب واحد للسنة وذلك وفقا لمناهج علماء الفقه والحديث، ويضم الموقع الأقسام التالية: مدخل لدراسة السنة - تعريفات - عرض - ملتقى الحديث - تقسيم موضوعي- الناسخ والمنسوخ - الفهارس.

ويمكنكم زيارة الموقع على العنوان التالي:
www.sonnaonline.com

خدمة من جوجل تعطي المعلومة بلمسة زر

أطلقت جوجل نسخة تجريبية عن وظيفة جديدة لمحرك البحث التابع لها باسم جوجل سكويرد تسمح بإظهار نتائج البحث وتنظيمها على شكل جداول، وخلافا لعملية البحث التقليدية عبر محرك جوجل فان الخدمة الجديدة لا تعطي وصلات إلى مواقع انترنت بل تظهر مباشرة المعلومات المطلوبة في جدول مؤلف من عدة أعمدة مع صور إذا كانت متوافرة، ووفقا لما ذكرته الشركة فهذه الأعمدة التي تعطي معلومات ذات طبيعة مختلفة حول البحث نفسه تتضمن معلومات وفقا لمعايير محددة مسبقا من قبل جوجل والتي يمكن تعديلها أو استكمالها من قبل المستخدمين وفي حال شمل البحث شخصية ما فإن النتيجة ستتضمن على سبيل المثال عمودا حول تاريخ ولادته وآخر حول مهنته وعرض النتيجة على شكل جدول يسمح كذلك بعمليات مقارنة ويمكن للمستخدمين إضافة معلومات على البحث الأساسي.

طراز جديد من الهواتف الذكية

بدأت شركة إيه تي آند تي الأميركية للاتصالات في تسويق طراز جديد من الهواتف المحمولة الذكية التي تنتجها شركة نوكيا الفنلندية

ويعمل الجهاز الذي ينتمي إلى فئة الهواتف المنزلقة وفق نظام التشغيل سيمبيان إس ٦٠ ويدعم تشغيل عدد من الخدمات التي تقدمها إيه تي آند تي ومنها تحويل الجهاز إلى مودم للاتصال بالإنترنت ودعم استقبال رسائل الوسائط المتعددة وإرسالها، وزودت نوكيا الجهاز بلوحة مفاتيح كاملة وكاميرا تصل درجة وضوح الصور التي تلتقطها إلى ٢ ميجابكسل يمكنها تصوير الفيديو بالإضافة إلى شاشة مقاسها ٢,٤ بوصة، ويتميز الجهاز الجديد باحتوائه على تكنولوجيا بلوتوث ونظام تحديد المواقع العالمي GPS.

ويحتوي هاتف نوكيا سيرج على ذاكرة داخلية سعتها ١٢٨ ميجابايت بالإضافة إلى منفذ لبطاقات الذاكرة الإلكترونية نوع مايكرو إس دي التي يمكن أن تصل سعتها التخزينية إلى ٨ جيجابايت.

إعداد : هالة محمد

عدم الإفطار يؤدي إلى مزيد من الدهون

حذرت دراسة طبية حديثة من إهمال وجبة الإفطار لما تمثله من آثار سلبية على صحة الإنسان لأنه يكتسب بذلك مزيدا من الوزن والدهون نظرا لشعوره بالجوع الشديد مع حلول وجبة الغداء ولأنه يستهلك كميات هائلة من السعرات الحرارية ليعوض ما لم يتناوله في الإفطار، وتوضح الأبحاث أن إهمال وجبة الإفطار بمنزلة إعطاء إشارات خادعة للمخ برغبة الشخص في تناول سعرات حرارية أعلى خاصة الأطعمة الغنية بها التي تزيد مخاطر ومعدلات بدانته.

وكانت الأبحاث قد اعتمدت على صور أشعة الرنين المغناطيسي لدراسة كيفية تأثير السلوكيات والعادات الغذائية على آلية عمل مركز «الشعور بالمكافأة» بالمخ الذي يلعب دورا مهما في الاحساس بالسعادة واللذة ومدى استجابة واستمتاع الجسم بهما، وأتاحت صور الأشعة بالرنين المغناطيسي مراقبة آلية زيادة تدفق الدم كرد فعل لنشاط المخ.

أجريت الدراسة على أكثر من عشرين شخصا من زائدي الوزن ممن اعتادوا على إهمال وجبة الإفطار، إذ تم عرض مجموعتين من الصور عليهم ضمت الأولى صورا للأطعمة مرتفعة السعرات الحرارية كالحلوم والبيتزا والشيكولاته في الوقت الذي احتوت فيه المجموعة الثانية صور أطعمة وعناصر صحية كالخضراوات والسلطة والأسماك، وكان قد لوحظ ازدياد نشاط المخ خاصة «مركز الشعور بالمكافأة» عند رؤية صور الأطعمة المرتفعة بالسعرات الحرارية بالمقارنة بصور الأطعمة الصحية في الوقت الذي تم إعادة الاختبار نفسه بين المتطوعين بعد مرور ٩٠ دقيقة من تناولهم وجبة الإفطار إلا أن صور الأشعة لم تكشف عن نشاط ملحوظ لمراكز المكافأة بالمخ.

كما جاءت صور الأطعمة الغنية بالسعرات الحرارية في مقدمة اختبارات الأشخاص الذين اعتادوا إهمال وجبة الإفطار.

الأمومة تقلل نسبة الإصابة بالأمراض

أكدت دراسة فرنسية حديثة أن الأمومة تفيد صحة المرأة بصفة عامة، وتمنع عنها الإصابة بالعديد من الأمراض.

وأثبتت الدراسة التي أجراها فريق طبي بقيادة البروفيسور «ايانور شوارز» أن النساء اللاتي أرضعن اطفالهن على الأقل لمدة عام تتضاءل لديهن مخاطر الإصابة بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم ومستوى الكوليسترول مقارنة بالأخريات، كما تقل لدى السيدة التي ترضع طفلها نسبة الإصابة بأمراض القلب والشرايين بصفة عامة.

مغارة الجليد الشفافة مـــــ

تعتبر مغارة الجليد الشفافة القاطنة جبال الالب جوهرة سياحية وتاريخية، إذ يقصدها أكثر من ٣٠٠ ألف زائر سنويا منذ أكثر من نصف قرن.

وبسبب ارتفاع درجة حرارة الأرض في السنوات الأخيرة، تعرضت الكتلة الجليدية «مير دو جلاس» (بحر الجليد) للذوبان وفقدت منذ عام ١٩٩٤ من أربعة الى خمسة أمتار من ارتفاعها سنويا، مما أدى إلى انخفاض مستوى مدخل المغارة التي تقع عند السفح الغربي للجبل على ارتفاع ١٧٠٠ متر.

وأعرب جان ماري كلاري المشرف على المغارة لمجلة «باري ماتش» عن

علماء فضاء يكتشفون كوكبًا جديدًا

قال علماء فضاء في الولايات المتحدة إنهم اكتشفوا كوكبا جديدا يبعد ٤١ سنة ضوئية عن الأرض ويدور في فلك نجم كانكري ٥٥، ويعد الخامس الذي يتم اكتشافه، ما يجعل من كانكري ٥٥ النظام الشمسي الوحيد المعروف خارج النظام الذي نعيش فيه والذي يدور في فلكه هذا العدد من الكواكب.

وقد اكتشف علماء الفضاء أكثر من ٢٥٠ كوكبا حتى الآن خارج النظام الشمسي، ولكن الفريق الذي اكتشف النجم الأخير هو الذي حقق أعلى رقم من الاكتشافات.

والكوكب الجديد هو كوكب غازي يفوق وزنه وزن الأرض ٤٥ مرة، ويقع داخل مجموعة نجوم السرطان الثابتة.

ويعتقد العلماء أن الكوكب الجديد الذي يتمتع سطحه بحرارة معتدلة والذي يملك قمرا أو أقمارا صخرية قد يحتوي نظريا على المياه.

ويملك الكوكب الجديد أوجه شبه كثيرة مع الأرض، فهو يدور في مجال نجم عمره ووزنه عمر ووزن الشمس نفسه والنظام الذي يدور فيه هذا النجم لديه كوكبه الغازي الشبيه بالمشتري، وهو النجم الخامس في النظام الشمسي، كما أن موقعه في المجموعة شبيه بموقع المشتري في مجموعتنا الشمسية.

بروتين في أدمغة الذبابة يكافح السرطان

قال علماء أميركيون وسنغافوريون إن بورتين بي بي تو أي PP٢A الموجود في دماغ ذبابة الفاكهة يكبح عملية نمو الأورام في دماغ الإنسان ويمنع تشكلها، ويسيطر على الخلايا العصبية فيه.

وقال الباحثون «إذا نظرنا إلى آليات انشطار الخلايا الجذعية عند الذباب والثدييات نرى أن هناك تشابها فيها»، وهذ الدراسة عن بروتين بي بي تو أي PP٢A في ذباب الفاكهة وبعض الثدييات قد تكون مفيدة في البحث عن بعض أنواع الأورام السرطانية عند البشر وربما عن عدد آخر كبير منها.

ـــــــهددة بالانـهيار

قلقه إزاء سلامة الموقع، مشيرا إلى أن المغارة قد فقدت ٨٠ مترا من ارتفاعها.

يذكر أن مقدمة كتلة بحر الجليد قد تراجعت في السنوات الـ ١٤ الأخيرة ٤٠٠ متر بسبب ارتفاع درجة حرارة الأرض، ويتوقع الخبراء أن تتراجع هذه المقدمة مسافة تتراوح ما بين ٦٠٠ و٩٠٠ متر في السنوات العشرين المقبلة.

فتاوى الوعي

فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

(٢٠٤٠) فدية الصيام

يتقدم أحيانا أشخاص بفدية صيام شهر رمضان وذلك لعجزهم عن الصيام، وبما أن اللجنة لديها مشروع العون الغذائي وهو مشروع يعنى بشراء المواد الغذائية وتوزيعها على الأسر المحتاجة، لأن اللجنة بأمس الحاجة لشراء المواد الغذائية، فهل يجوز وضع هذه الفدية في حساب المشروع والتصرف بها على مدار السنة.

يجوز تقديم الفدية عن الصيام إلى إحدى الجهات الموثوقة المعنية بتوفير الغذاء للفقراء، سواء تم صرف ذلك في رمضان أو غيره، على أن يلتزم بصرف ذلك على الفقراء دون غيرهم من وجوه الخير أو مصارف الزكاة.

إفطار الطلبة في رمضان

هل يجوز للطلبة الإفطار في رمضان بحجة الدراسة والامتحانات وأن الصيام يؤثر على النتائج؟ أرجو الإفتاء في ذلك.

من كان عمله شاقا ويجهده الصوم معه أو طرأت عليه أعمال زائدة في رمضان كمذاكرة الطلبة للامتحانات، فليس لأحد من هؤلاء أن يصبح مفطرا بل عليه أن ينوي الصيام من الليل ويظل صائما ما لم تشق عليه متابعة الصيام مشقة شديدة فله عندئذ أن يفطر، وذلك متروك لدينه وتقديره واستطاعته فإن بلغ الأمر به إلى هذا الحال فأفطر فعليه القضاء فقط.

(٢٠٤٢) الحقن المجهري في نهار رمضان

هل يجوز حقن رحم المرأة بمني زوجها الشرعي أثناء الصيام؟

حقن رحم المرأة بمني زوجها أثناء الصيام مفطر ويفسد صومها وعليها القضاء دون الكفارة، ولذا ينبغي تأخير ذلك إلى الليل أو في غير شهر رمضان.

(١٧٣١) صوم طاقم الطائرة

أيهما أفضل بالسفر الصيام أم الإفطار في شهر رمضان وخصوصا إذا كان الأمر يتعلق بطاقم الطائرة؟

الأفضل للمسافر في رمضان أن يفعل ما هو أيسر عليه من الصوم في رمضان أو الإفطار فيه مع القضاء، فإن كان إفطار الطيار فيه مزيد سلامة وبعد عن الخطر له وللطائرة والركاب فيكون الإفطار أفضل وإن كان في صومه خطورة ولو بنسبة قليلة وجب عليه الإفطار.

(١٧٣٥) بقاء الطيارين خارج البلد أكثر من ثلاثة أيام

طبيعة العمل تتطلب أحيانا بقاء طاقم الطائرة خارج الكويت لمدة ثلاثة أيام، فهل يجب الصيام في هذه الأيام؟ مع العلم أن الفترة أحيانا تكون أكثر من ثلاثة أيام وأحيانا أقل من ذلك.

يجوز الأخذ برخصة الإفطار للمسافر مادام لم يعزم على الإقامة في بلد خمسة عشر يوما فأكثر، أما إذا عزم على الإقامة ما لا يزيد على خمسة عشر يوما فيجوز له الإفطار وقصر الصلاة وذلك لما ورد من أحاديث وآثار منها قول ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما «إذا قدمت بلدة وأنت مسافر وفي نفسك أن تقيم خمس عشرة ليلة فأكمل الصلاة بها وإن كنت لا تدري متى تظعن فاقصرها».

(١٤٣٢) تناول المرأة لحبوب منع الحمل

ما حكم الشرع في تناول المرأة الحبوب المانعة لنزيف الدم أثناء العادة الشهرية وذلك من أجل أن تصوم المرأة كل أيام رمضان؟

بقاء دم الحيض وعدم خروجه يسبب أمراضا لجسم المرأة، وقد يسبب أيضا منع الحمل، وبقاء دم الحيض مخالف لسنة الله الكونية في المرأة فكأننا ننازع القدر، وثبت عن السيدة عائشة أنها كانت تقول كنا نحيض في رمضان ونقضي أيام الحيض بعد رمضان، وإن أجاز البعض ذلك بناء على الحج فالحج فيه دليل، ولأن الحملة لا تستطيع انتظار المرأة صاحبة العادة الشهرية فأجازوا لها شرب ماء الأراك وهذا ليس بضار بالصحة.

وأيضا قال الرسول ﷺ لعائشة عندما جاءتها العادة الشهرية: «فاقضي ما يقضي الحاج غير أنك لا تطوفي بالبيت» فلم يؤيد ﷺ تناول شيء لإيقاف الدم.

(١٤٣٣) بيع الطعام لمن يتناوله

هل يجوز بيع الطعام لمن يتناوله بالنهار في رمضان للمسلمين أو غير المسلمين؟

لا يجوز بيع الطعام لمن يعلم أنه يتناوله في نهار رمضان من المسلمين إلا أن يكون له عذر يبيح له الفطر كأن يكون مسافرا أو مريضا، أما بيعه لغير المسلمين فجائز.

من القواعد الفقهية

إذا نفى الشارعُ عبادة أو معاملة فهو لفسادها، أو نفى بعضَ ما يَلزمُ فيها فلا تُنفى لنفي بعض مستَحبّاتها.

- إذا نفَى الشّارع عبادة أو معاملة فهو إما لفسادها من أصلها، أو لانتفاء بعض ما يلزَم فيها من واجبات، أو غيرها.

- العمل إذا فُعل كما أوجَبَه الله تعالى فإنّه لا يصحُّ نفيه لانتفاء شيء من مستحبّاته التي ليست بواجبة.

النفيُ: قد يكون نفيا للوجود مثل: لا خالقَ إلا اللهُ.

وقد يكون نفيا للصحّة مثل: لا صلاةَ إلا بطُهور.

وقد يكونُ نفياً للكمال مثل: لا صلاةَ بحضْرَة الطّعام - على أحد القولين الأصلُ في نفي الشّرع أن يكونَ نفيا للصحّة لا نفيا للكمال إلا بدليل.

القواعد والضوابط الأصولية والفقهية- عبدالرحمن بن ناصر السعدي

من قرارات مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي)

قرار ٩٣ (١٠/١) بشأن المفطرات في مجال التداوي

أولا: الأمور الآتية لا تعتبر من المفطرات

١- قطرة العين، أو قطرة الأذن، أو غسول الأذن، أو قطرة الأنف، أو بخاخ الأنف، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٢- الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية وغيرها إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٣- ما يدخل المهبل من تحاميل (لبوس)، أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي.

٤- إدخال المنظار أو اللولب ونحوهما إلى الرحم.

٥- ما يدخل الإحليل، أي مجرى البول الظاهر للذكر والأنثى، من قسطرة (أنبوب دقيق) أو منظار، أو مادة ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة.

٦- حفر السن، أو قلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك وفرشاة الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٧- المضمضة، والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق ٨- الحُقن العلاجية الجلدية، أو العضلية، أو الوريدية، باستثناء السوائل والحقن المغذية.

٩- غاز الأكسوجين.

١٠- غازات التخدير (البنج) ما لم يعط المريض سوائل (محاليل) مغذية.

١١- ما يدخل الجسم امتصاصا من الجلد كالدهونات، والمراهم، واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية.

١٢- إدخال قسطرة (أنبوب دقيق) في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء.

١٣- إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء، أو إجراء عملية جراحية عليها.

١٤- أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من الأعضاء ما لم تكن مصحوبة بإعطاء محاليل.

١٥- منظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل (محاليل) أو مواد أخرى.

١٦- دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي.

١٧- القيء غير المتعمد بخلاف المتعمد (الاستقاءة).

ثانيا: ينبغي على الطبيب المسلم نصح المريض بتأجيل ما لا يضر تأجيله إلى ما بعد الإفطار من صور المعالجات المذكورة فيما سبق.

إعداد : محمد شفيق

الانشغال بالله عن الصحبة

■ سئل إبراهيم بن أدهم: لم لا تخالط الناس؟ فقال: إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تكبر علي، وإن صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملل، ولا في وصله انقطاع، ولا في الأنس به وحشة.

ثلاثيات

■ قال عبدالله بن محمد: ثلاث من كن فيه حوى الفضل وإن كان راغباً عن سواها، صحة العقل، والتمسك بالعدل، وتنزيه نفسه عن سواها.

■ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخوف ما أخافه عليكم ثلاثة: شح مطاع، وهوى متبع، إعجاب المرء بنفسه.

■ ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان الصدقة، وكتمان المصيبة، وكتمان المرض.

■ كن حاضراً عند ثلاثة: عند صاحب حاجة، وعند ضال طريق، وعند منكوب دهر.

أخشى ما أخشاه

■ قال أحد الصالحين: أخشى ما أخشاه يوم القيامة أن يقال لي هل علمت؟ فأقول نعم، فيقال: وماذا عملت بما علمت؟

قيل للطمع

■ قال بعضهم: لو قيل للطمع من أبوك؟ قال: الشك في المقدور، ولو قيل له: ما حرفتك؟ قال: الحرمان، وقيل: الطمع يذل الأمير، واليأس يعز الفقير.

بين

■ بين الشقاء والسعادة تذكر عواقب الأمور.

■ بين الجنة والنار تذكر الحياة والموت.

■ بين السبق والتأخر تذكر الغاية والهدف.

■ بين الصلاح والفساد يقظة الضمير.

■ بين الخطأ والصواب يقظة العقل.

الحوار مع الشيطان

قال حاتم: كل صباح يقول لي الشيطان: أي شيء تأكل اليوم؟ فأقول الموت! فيقول: أي شيء تلبس؟ فأقول: الكفن! فيقول أين ترقد؟ فأقول في القبر!

يا دنيا ما أطيبك!

■ روى أن عبدالملك بن مروان لما أحس بالموت قال: «ارفعوني على شرف فكان ذلك، فتبسم الروح، ثم قال: يا دنيا ما أطيبك! إن طويلك قصير، وإن كثيرك لحقير، وإن كنا منك لفي غرور، وتمثل بهذه البيتين من الشعر:

إن تناقش يكن نقاشك يارب
عذاباً ولا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب صفوح
عن مسيء ذنوبه كالتراب

دوام النعمة

إذا شئت أن تبقى من الله نعمة
عليك فسارع في حوائج خلقه
ولا تعصين الله ما نلت ثروة
فينزع عنك الله واسع رزقه

الجنة بيت المؤمنين

■ قال الإمام محمد عبده: إن كان اليهود سيدخلون الجنة، فإننا داخلوها لأننا آمنا بموسى، وإن كان النصارى سيدخلون الجنة فنحن داخلوها لأننا آمنا بعيسى، فإذا كنا داخليها فلن يدخلها اليهود ولا النصارى لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

جعل حبه كله لربه

■ كان لابن عباد ولد شغفه حبا فضمه مرة إلى صدره وقبله، فقال له الغلام: أتحبني يا أبتاه؟ فأجاب والده: نعم أحبك يا بني، فقال الغلام: أتحب الله يا أبتاه؟ فأجاب الأب: نعم أحب الله يا بني، فقال الغلام: كم قلبا لك يا أبتاه؟ فأجابه أبوه: قلب واحد يا بني، قال الغلام: وكيف يجتمع اثنان في قلب واحد يا أبتاه؟ هنا أدرك ابن عباد أن كلام ولده إلهام من الله، فندم علي ما فعله، وجعل حبه كله لربه!

آيات الخالق

■ بينما كانت امرأة عجوز تمشي الهوينى إذ مر أعرابي يقود بعيراً محملاً، فقالت: إلى من تحمل الهدية؟ فقال: ليست هذه هدية، وإنما هي هدى، قالت وما هداك؟ قال: كتاب في الدليل على وجود الله، فضحكت العجوز، فاستغرب الاعرابي وقال: ألم أنبئك بالصريح؟ فما هذا الضحك يا أماه؟ قالت: يا بني أنا لست أضحك منك، وإنما أضحك ممن لا يقر بوجود مولاه بعد مشاهدة هذا الكون وما فيه من الآيات ثم هو يقنع بحمل بعير، فقال لها: أما علمت أنه إذا عميت البصائر فلتقرأ النواظر؟ قالت: صدقت يا بني.

الخروج عرياناً

■ قيل لمعروف الكرخي في علته: أوصّ فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عرياناً، كما دخلت اليها عرياناً!

خصال الحق الثلاث

■ أنشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه شعر زهير بن أبي سلمى ، فلما بلغ قوله

فإن الحق مقطعه ثلاث
يمين أو نفار أو جلاء

فجعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفضيله بينها ويقول: لا يخرج الحق إلا من إحدى ثلاث: إما يمين أو محاكمة أو حجة!

كلام حكيم

■ سئل حكيم عن أحمق الناس فقال: الفقير المحتال، والضعيف الصوال، والغني القوال. وسئل عن أجدر الناس بالاحترام، فقال: من إذا أعطي شكر، إذا منع عذر، وإذا موطل صبر، وإذا قرب منح، وإذا بعد مدح، وإذا ظلم صفح.

دعاء

■اللهم إني استغفرك لما تبت منه ثم عدت فيه، وأستغفرك لما وعدتك من نفسي وأخلفتك، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليّ فتقويت بها على معصيتك، وأستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها!

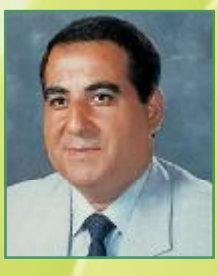

الختام مسك

د. عبدالمنعم عبدالله حسن

ويبقى للمظلوم أقوى سلاح

لايزال الصراع بين الحق والباطل قائما ما قامت الحياة، مستمرا ما استمرت الدنيا، ولايزال الخلاف بين الناس مشتعلا، والخصومات محتدمة، والصراعات متقدة، ولاتزال القلوب مختلفة والنفوس متباينة والطبائع متغايرة، إلا من رحم ربي.

ومع نصوع الحق، وإشراق شمسه، وقوة ضيائه، فإن ضباب العناد يحاول أن يحجب ضوء الحق، وغيوم اللدد تحاول أن تخفي سنا الحقيقة، وعتمة الخصومة تحاول أن تواري نور الصدق.

وللباطل أساليبه الملتوية، وطرقه المعوجة، ودروبه العنيدة، ومتاهاته المحيرة، واتهاماته الجائرة، وتلفيقاته الكاذبة، وحججه الملفقة، وأقواله المنمقة، وجداله المدافع، ولسانه اللاذع، لتضيع بين هذه المتاهات الحقائق، وتتوه الوثائق، ويخرج الباطل من ساحة الحكم منتصرا، ويفوز الظالم، ويقهر المظلوم، وتطوى ملفات القضايا، ويسدل الستار، فهل ينتهي الأمر عند ذلك؟

لا... إن هذه الملفات ستفتح مرة ثانية، ويستأنف الحكم فيها، وتبسط الحقائق من جديد، وتناقش الوقائع في عدل مطلق، وإنصاف محقق، وميزان بالقسط، وفصل بالعدل، والموعد الآخرة، والحاكم رب العالمين الذي يقول ﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ (السجدة: ٢٥).

ولا يفرح الظالم بما حققه من نصر ظلما، وإن أصر على أن يفرح فليفرح ولكن بقطعة من النار اقتطعها كما قال النبي ﷺ فيما روته أم سلمة رضي الله عنها «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار» (متفق عليه) ولا يحزن المظلوم، فإن شهرت في وجهه أسلحة الباطل، فلم يزل بين يديه أقوى سلاح وهو الدعاء، فالدعاء سلاح المؤمن، يتسلح به المظلوم ليضرع وقت السحر - والظالم يغط في نوم عميق - ليناجي الحق الذي لا تضيع عنده الحقوق، فتسري دعوته الى آفاق بعيدة، محتمية بأقوى الأقوياء، مستجيرة بجبار الأرض والسماء، مستغيثة بالقاهر فوق عباده، فتخترق دعوة المظلوم الحجب، وتفتح لها أبواب القبول، حيث قال النبي ﷺ «ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» (رواه الترمذي).

دعوة المظلوم.. سلاحه الذي يأخذ به حقه وافيا، حين يهدر حقه بين البشر.. ويا له من سلاح، يهابه من يعرف قدره، ويتقيه من يدرك خطره، ويخافه من يخشى أثره.

ومن ثم قال الرسول ﷺ لمعاذ لما بعثه «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (متفق عليه).

ولما كان المسافر يمتلكه الرجاء ليسلم في سفره متحصناً بكل أسباب النجاة، كان من دعاء المسافر التعوذ من دعوة المظلوم، فلقد كان النبي ﷺ إذا خرج في سفره قال «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال» (رواه مسلم).

قد تضيع الحقوق، وتبرق أسلحة الظالم ولكن يبقى للمظلوم أقوى سلاح يبقى له الدعاء.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

جديد مشروع «روافد»

ارتسامات في بناء الذات

(د. محمد بن إبراهيم الحمد)

التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي

(د. ثرية أقصري)

هووهي: قصة الرجل والمرأة في القرآن الكريم

(د. عودة خليل أبو عودة)

ص. ب: 13 الصفاة، رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

هاتف 22487106 (00965) - فاكس: 22468134 (00965)

البريد الإلكتروني rawafed@islam.gov.kw

الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

بشرى سارة

على C.D

قراءنا الأعزاء نزف إليكم
بشرى صدور C.D
بصيغة pdf لتوثيق
مسيرة المجلة التاريخية
في رحاب الصحافة الهادفة
خلال ٤٦ عاما

info@alwaei.com - www.alwaei.com الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩